الباب الثالث

الدراسات التطبيقية على الإشهار القرآني

الفصل الأول : حقيقة وجود الإشهار في القرآن

الفصل الثاني : سورة يوسف نموذجا

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

حقيقة وجود الإشهار في القرآن

تحدثنا فيما سبق عن الإشهار كوسيلة تواصل بين البشر، يستخدم اللغة والصورة والصوت والموسيقى، وهو عمل تجاري يقوم على أسس علمية، يقتات منه كثير من الناس، هو مندس في كل حياتنا اليومية العامة والخاصة وإن لم نشعر بذلك، ومن أهم صفات الإشهار ـ كما رأينا سابقا ـ أنه :

١ـ عملية تواصل بين البشر تفرضها طبيعة الاجتماع البشري لتبادل المنفعة.

٢ـ التعبير عن رأى يجتهد صاحبه في الدفاع عنه (صدقا أو كذبا) أو تسويقه .

٣ـ يظهر الطبيعة النفسية للأشخاص كحب الفخر وكراهية الخديعة والفشل .

٤ـ يمتد في التاريخ البشري قبل نزول آدم إلى الأرض، ثم وجود المجتمعات .

٥ـ متغلغل ومندس في كل أحاديث البشر، حتى أصبح عادة كلامية عندهم .

٦ـ له بريق يشد انتباه السامع لما يحمله من أخبار سعيدة؛ ولو كانت كاذبة .

إذا كان الإشهار بهذه الصفات؛ فيجب علينا أن ننظر إليه في هذا الإطار على أنه يمثل جانبا هاما لا غنى عنه في حياتنا اليومية قديما وحديثا .

لو انطلقنا إلى النص القرآني العظيم حاملين في أذهاننا تلك الصفات عن الإشهار؛ لنبحث فيه عن تلك الظاهرة بكل صفاتها وخصائصها فنجده مفعما بالحياة، يحمل في جوانبه تاريخ البشرية القديم والحديث والمعاصر، وآراء وأفكار كثيرة عن الأشياء (سلع وغيرها) المادية والمعنوية، ليوصلها إلينا باستخدام كل الأساليب والنظريات التي نظن

أنها تحمل فكرا جديدا وأساليب حديثة، ولكن بعد الدراسة تبين لنا أن هذه النظريات والأساليب موجودة من قبل في القرآن الكريم؛ وقد استخدمها بالفعل، فالنص القرآني ثابت باق كما هو منذ عهد نزوله، والجديد هو معرفتنا به وبجهود تلك النظريات التحليلية المعاصرة، ويكفينا حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في وصف كل ما يحويه القرآن من معرف قديمة وحديثة ومعاصرة؛ وانظر إلى نص هذا الحديث الشريف " اَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الرِّفَاعِيُّ، حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ الْجُعْفِيُّ عن حَمْزَةَ الزَّيَّاتِ عَنِ أَبِي الْمُخْتَارِ الطَّائِيِّ عَنِ ابْنِ أَخِي الْحَارِثِ عَنِ الْحَارِثِ، قَالَ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا النَّاسُ يَخُوضُونَ فِي أَحَادِيثَ فَدَخَلْتُ عَلَى عَلِيٍّ فَقُلْتُ: أَلَا تَرَى أَنَّ النَّاسَ يَخُوضُونَ فِي الْأَحَادِيثِ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ: قَدْ فَعَلُوهَا قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: أَمَا إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: سَتَكُونُ فِتَنٌ قُلْتُ: وَمَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا قَالَ: كِتَابُ اللَّهِ كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ... الحديث "[1].

هذا الحديث رسول الله يوضح لنا عظمة ما يحويه النص القرآني، وهو يدفع بنا إلى بذل الجهد والعرق في فهمه، باحثين فيه عن كل جديد وقديم ومعاصر، ولدينا الآن ظاهرة اجتماعية لغوية كنا نظن أنها حديثة وقد أثبتنا من خلال الدراسة السابقة التاريخ الكبير لهذه الظاهرة، وتجذرها في التاريخ البشري، بما يجعلنا نبحث عنها في كتاب الله، وقد وجدنا أمثلة كثيرة فيه ذكرناها عبر الدراسة السابقة .

لهذا يجب دراسة النص القرآني الإشهاري لتحقيق الأغراض الآتية:

١. النظر في هذا النص، للبحث عن ظاهرة الإشهار فيه بصورة أكبر.

٢. توظيف النظريات الحديثة لفهم النص القرآني بصورة أكبر في الإشهار .

---

(١) رواه الترمذي (٢٩٠٨)، والدارمي (٤٣٥/٢)، والبغوي في شرح السنة (١١٨١)، والصحيح أنه موقوف على علي. وأخرجه من طريق أخر الطبراني في الكبير (١٦٠/٨٤/٢٠).

٣. فهم دور تلك النظريات في توضيح جوانب في الإشهار لم تكن معروفة .

٤. التأكيد على أن بناء النص الإشهاري القرآني سبق بناء الإشهار الحديث .

٥. محاولة تتبع هذه الظاهرة في سورة محددة من القرآن الكريم؛ لتطبيق معطيات تلك النظريات بصورة أكبر وأعمق وأشمل .

آليات العملية الإشهارية في القرآن:

تتكون منظومة العمل الإشهاري في القرآن الكريم من:

١. غاية: يسعي إلى تحقيقها البائع هي الترويج لسلعته، وإقناع المستهلك بها .

٢. بائع أو مشهر يسعي لتحقيق هذه الغاية: وهو في النص القرآني قد يكون الحق تبارك وتعالى معلنا عن سلعته (الجنة) أو معرفا بنفسه أو محذرا من عقابه وعذابه، وقد يكون المعلن هو أحد خلقه يعلن عن ربه (نبي ـ طائر ـ أحد الأشخاص الذين ذُكرتْ قصصهم بالقرآن ـ وقد يكون الشيطان نفسه).

٣. المشتري: وهو كل من تقدم ليشتري هذه السلع، فمن عمل صالحا هو من كانت غايته شراء سلعة الله (الجنة)، كذلك الذي عمل السوء تقدم لشراء سلعة إبليس (جهنم) .

٤. اعتمد الإشهار القرآني على معرفته بالطبيعة البشرية في إقناع المتلقي بسلعته، من إثارة الجانب النفعي المادي داخل المتلقي من حب المال وحب الجمال وغيره، والجانب النفسي من حب الخلود والتفاخر بالنفس والتأثر بكل المؤثرات الخارجية والداخلية على نفسه .

٥. دور النظريات الجديدة في آلية عمل هذه المنظومة: تقوم هذه النظريات بتفسير عمل الإشهار في الذهن البشري، وإلقاء الضوء على جوانب في هذه العملية الإشهارية، كانت ولازالت موجودة فيها، تؤثر في

آليات عمل هذه الظاهرة، فتجعلنا نرى تلك الظاهرة بصورة أوضح وأشمل .

٦- يجب دراسة النص القرآني في ضوء معطيات النظريات الإشهارية التي تحدثنا عنها، ليس بهدف التأكيد على أن القرآن سبق تلك النظريات وعقول أصحابها بآلياتها وأساليبها الجديدة، فهو أمر معروف سلفا؛ لكن لهدف آخر، وهو إعادة النظر إلى النص القرآني في ضوء آليات ومفاهيم جديدة، ومن زوايا لم ينظر إليها السابقون من قبل، فكل إشهار ورد في القرآن سبق أن تحدث عنه المفسرون، وحلله علماء اللغة والنحو والبلاغة وغيرهم، ولكننا نجد أن كثيرا من هذه الآراء الجديدة والزوايا التي دخل من خلالها أصحاب هذه النظريات؛ لم يتعرض لها علماء السلف الصالح، لهذا تصبح هذه الدراسة ذات بُعْد جديد لم يتعرض له السابقون، فتكون الصورة أكثر وضوحا، ومن هنا تأتي قيمة هذه النظريات في فهم، وتحليل النص القرآني. وقد اخترنا للبحث في هذه الظاهرة سورة يوسف عليه السلام لهذه الأسباب:

أ - وجود عمليات إشهارية كثيرة فيها تصل إلى أكثر من عشر عمليات .

ب - تنوع العمليات الإشهارية بها، من عمليات مادية ومعنوية وتنوع السلع .

ج - تناولت السورة السيرة الذاتية لنبي الله يوسف في مراحل عمره المختلفة مع وصف لمواقف الشدة والفرح في حياته؛ مما يجعلها تعج بالحياة وتنبض بالحيوية والأشخاص والأفعال المتنوعة والمتناقضة أحيانا، فهي سوق لتلك النفوس: تبيع وتشتري وتُباع وتُشترى، يجب أن ننظر إليها في إطار هذا المفهوم لنرى ما بها من إشهار بصورة واضحة وصحيحة .

د - بيان الانفعالات الإنسانية التي بالسورة، وكيف وظفها أصحابها في إطار عمليات تجارية إشهارية ناجحة لتحقيق أغراضهم منها .

الفصل الثاني

سورة يوسف عليه السلام نموذجاً

١. شيء عن السورة ومكانتها وفضلها:

سورة يوسف سورة مكية كلها كما ذكر ذلك القرطبي " عن ابن عباس وقتادة إلا أربع آيات منها، ويروى أن اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف فنزلت السورة، وقال سعد بن أبي وقاص (أنزل القرآن علي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتلاه عليهم زمانا، فقالوا: لو قصصت علينا، فنزل (نحن نقص عليك) فتلاه زمانا فقالوا: لو حدثنا، فأنزل (الله أنزل أحسن الحديث) [١].

نزلت هذه السورة لتجيب عن تساؤل اليهود، كما ذكر ذلك أيضا الرازي بقوله: " روى أن علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين: سلوا محمدا لمَ انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر وعن كيفية قصة يوسف، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وذكر فيها أنه تعالى عبر عن هذه القصة بألفاظ عربية، ليتمكنوا من فهمها ويقدروا علي تحصيل المعرفة بها [٢].

إن سورة يوسف قصة كاملة لحياة نبي كريم ابن الكريم ابن الكريم ابن نبي الله إبراهيم، ومن هنا ينطلق عقلنا إلى معنى كلمة (حياة) تروى في سورة قرآنية؛ لنتصور أنها ستتحدث عن كل شيء في حياته عليه السلام، فهي آيات تعج بالحياة بكل ألوانها ومواقفها وأفراحها وأتراحها في سيرة هذا النبي، لذا نتوقع أن نجد فيها كثيرا من الإشهارات التي تفرضها طبيعة الحياة البشرية، فالإشهار مندس في حياتنا، ولا نكاد نشعر به، فيوسف في هذه القصة يُباع ويُشترى، ويُعْلن كنبي عن الله ربه، وغيرها من الإشهارات التي في السورة.

---

(١) تفسير القرطبي: ج٥، ص٣٣٤٧.
(٢) التفسير الكبير: مجلد٩، ج ١٨، ص٦٨.

هذه السورة تسرية من الله عن نفس نبيه بإخباره عن معاناة الأنبياء والرسل من قبله؛ ليكون إمامهم في الصبر، بل إمام أولي العزم من الرسل .

اليهود: تعرض السورة لأهم صفات اليهود من حب المال والتجارة، ولا مانع لديهم من بيع أي شيء، حتى ولو كانت السلعة أخاهم .

الإشهار في السورة: تعرض السورة لأنماط مختلفة من البيع والشراء لسلع شتي، لهذا تضمنت أساليب متنوعة للإشهار كالتي ذكرتها هذه النظريات .

شخصية البطل: يوسف محور القصة وتدور حوله الأحداث، وهذا إشهار عنه، وهو رمز وقيمة إنسانية، يسعى كثير إلى التمثل بحياته، واعتباره قدوة لهم يحملها الإشهار عنه فالمنتج لابد أن يشير لقيمة إنسانية عالية يعليها ليتحرر من الهدف التجاري المباشر وهو البيع، فالإشهار لا يعلن عن منتج فحسب، بل يرفع قيمة إنسانية داخل نفس المشتري، ليثير فيه رغبة إنسانية عالية تدفعه إلى الاقتناع بالمنتج ثم الإسراع بالشراء .

يوسف عليه السلام رمز وقيمة إنسانية تحملها سيرته الذاتية من: الصبر على ألوان الظلم والثبات علي الدين، ونموذج للأخلاق العالية من الطهارة والعفة رغم حسنه الذي فتن به كل من رآه إلى جانب التضحية والتسامح، كل هذه القيم الإنسانية التي جاءت في سورة يوسف تجعلنا نختارها نموذجا للإشهار القرآني، فقد ذكر بنكراد قضية القيمة، والرمزية والمثل الأعلى في الإشهار قائلا: " تتحول المعلومات المتضمنة في الملفوظات التقريرية... إلى رغبة في الشراء. من خلال تضمين الملفوظات التقريرية بعدا جديدا يصبح بموجبه المنتج موضوع (قيمة) لا مادة معروضة للبيع... إن موضوع القيمة هو المسئول عن الرغبة التي تتولد عند المتلقى وتدفعه إلى شراء المنتج لا يستهلك لنفعيته، بل لإحالته علي طريقة

في العيش وفي تصور الحياة، وهنا يكمن الجوهر الحقيقي للإشهار؛ فبائع الأحذية لا يبيع أحذية، بل يبيع أقداما جديدة [1] .

١.١ القيمة والرمز في شخصية يوسف عليه السلام :

أصبح يوسف عليه السلام (كشخصية محورية في هذه القصة) رمزا وقيمة، يسعي الناس إلى التمثل بها في كثير من المواقف الحياتية المشابهة، ويظهر هذا من خلال تلك العبارات التي نستعملها في مجتمعنا إلى اليوم هذا، نحو:

١. الصبر علي ظلم الإخوة، يقول من ظلمه إخوته: (أنتم إخوة يوسف).
٢. الجمال الباهر، يقال: (فلان يوسف في الحسن) .
٣. النصر بعد الصبر، يقال: (نصرك الله كما نصر يوسف).
٤. العفة والطهر يقال لمن يوصف بذلك: (هو في عفة يوسف وطهارته)
٥. براءة المتهم ظلما، فيقال (هو بريء براءة الذئب من دم ابن يعقوب).

ومن هذا يبدو ارتباط الوصلة الإشهارية بما تحمله من إعلان عن شخص أو منتج أو قيمة إنسانية بالواقع المحيط بالمتلقي ليُقبل عليه، لأنه يحمل قيمة يسعى إليها ورغبة دفينة بداخله يحققها هذا لمنتج أو الشخص المعلن عنها .

٢.١ مجهولية الرمز ومعلوميته في قصة يوسف عليه السلام :

يقول سعيد بنكراد: " كل العناصر الممثلة في الصورة تحيل على النوع الذي تنتمي إليه من خلال فعل كنائي ضمني. فالفتاة التي تحتسي مشروبا مثلا، ينظر إليها باعتبارها تحيل على كل الفتيات... فالنموذج الممثل يجب أن يظل مجهولا، ويجب ألا يثير حوله أي اهتمام، فالذي يجب أن يحضر في الإرسالية هو العوالم التي تثيرها هذه الفتاة بحيث

(١) الصورة الإشهارية: ٢١٠.

تصبح هي التحقق الممكن للفتاة التي يحملها كل مستهلك في وجدانه[1].

إن ضرورة مجهولية النموذج الذي ذكره بنكراد ليس صحيحا، لأنه ليس مجهولا كما يدّعي، بل إن ما يراه المتلقي فتاة شقراء حسناء كاملة الجمال، هو الوجود الفعلي لها، بما تثيره في نفس المتلقي من رغبات دفينة، لولا ذلك ما كان له أن يهيم فيها، كما تفعل صورة كل فتاة جميلة، ولكنه لا يعرفها بصورة شخصية، فهي ليست فلانة الجميلة (فنانة. ملكة جمال. عارضة أزياء) وربما كانت تلك المعرفة سببا في إعراضه عنها، إن ما قدمته الفتاة لمشاهديها من بطاقة تعارف أغنت عن كل بطاقات ومؤهلات وتعريفات خاصة بها، إنها بطاقة حسنها وجمالها ومفاتنها، فأصبحت في نظر المتلقي شيئا معروفا محفوظا، لأنها تطابق - بنسب مختلفة - ما في نفسه من صورة للجمال، إن مجهولية النموذج في هذا الموضع لم يلاحظ فيها بنكراد عنصر المعرفة الأبدية بهذه الفتاة، وهي المعرفة بالجمال الذي يهيم فيه كل إنسان يحب الجمال، هي نموذج معروف لكل البشر غير مجهول كما يزعم بنكراد .

إن النموذج الذي في سورة يوسف معروف بالجمال لكل من رآه أو تخيله أو سمع عنه، ليس من خلال بطاقة تعريفية يقدمها المعلن عن قدومه، بل بطاقة تعارفه لمن لا يعرفه هي حسنه المتناهي في الجمال الملائكي أولا، كشيء يشد الناظر إليه لأول مرة، ثم يعيش معه في أنوار النبوة التي تُظهر ما معه من آداب وأخلاق النبوة، وخُلُق يفوق جمال الخِلْقة، هذا لمن شرح الله صدره للإيمان؛ فرأى هذه الأنوار، أما غيره فيشده جمال الخِلْقة فقط. (كما حدث لزليخا التي فُتنتْ بجمال الخِلْقة

(١) الصورة الإشهارية: ص ٢١٠.

أولا، ثم آمنتْ باللّه ونبيه فرأتْ نور النبوة باديا في وجه يوسف عليه السلام، فتحولت الفتنة داخلها إلى الافتتان بجمال الإيمان باللّه وهدايته، ورأتْ فيه نور النبوة) .

ورغم قول بنكراد بضرورة مجهولة النموذج إلا أنه تراجع عن هذا الشرط بقوله: " ومع ذلك يمكن استحضار حالات لا يكون فيها النموذج مجهولا. بل يكون اختياره جزءا من الوصلة لشهرته.فكثيرا ما تستعين الوصلة بمشاهير من عالم الفن أو الرياضة أو الموسيقى. وهم هنا نماذج للنجاح والنجومية التي يحلم بها كل مستهلك... وفي هذه الحالة فإن النموذج المنتقى يعد في ذاته أداة للإقناع، إنه هنا لكي يكون نموذجا يحتذي به "[1] .

لقد أثبتنا أن مجهولية النموذج الذي ذكره بنكراد غير صحيح، لأن هذه الفتاة معروفة لكل محب للجمال، وكذلك نجوم الفن والرياضة، تثير في نفس المتلقي رغبات دفينة، من الحرص علي النجاح مثلهم، وكذا احتذاء حذوهم، أما قوله (أنه أداة للإقناع، لأنه نموذج يحتذي به) نجد هذا القول متحققا في شخصية يوسف عليه السلام؛ فهو نموذج يحتذى به للعفة والطهارة والصبر والإحسان والتسامح، حتى صار مضرب المثل في تلك الصفات، كما رأينا .

٢. نماذج الإشهار في سورة يوسف:

بعد قراءة متمهلة لهذه السورة الكريمة عن نبي اللّه يوسف عليه السلام؛ أمكنني حصر ما فيها من آيات يمكن أن تمثل نماذج مختلفة للإشهار .

ويمكن عرض هذا التصور الذي تكوّن لدي لأنواع الإشهار في السورة في الشكل الآتي :

---

(١) المرجع السابق: ٢١١.

أولا : إشهار عن الله سبحانه وتعالى :

في قوله: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩] .

ثانيا : إشهار عن يوسف عليه السلام في مراحل عمره المختلفة :

أ ـ في صباه:

١ـ بضاعة يزهدها البائع في قوله: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ [يوسف: ٢٠] .

٢ـ بضاعة يكرمها المشتري آملا منها المنفعة والولد في قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً﴾ [يوسف: ٢١] .

ب ـ في شبابه: بضاعة تُعرض في صمت في قوله: ﴿وَقَالَتْ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١] .

ج ـ في رجولته:

١ـ يوسف مفسر أحلام للسجناء في قوله: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٣٦] .

٢ـ يوسف مفسر أحلام للملك في قوله: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٦] .

٣ـ يوسف يُطلب كمستشار للملك في قوله: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف: ٥٤] .

٤ـ يوسف يطلب وظيفة وزير زراعة للملك في قوله: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥] .

ثالثا: إشهار عن إخوة يوسف:

أ) إشهار عن أخيه بنيامين (سلعة مطلوبة للعرض فقط) : ﴿**وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ (٥٩) فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلا تَقْرَبُونِ (٦٠)**﴾ [يوسف] .

ب) إشهار إخوة يوسف عن أنفسهم والفخر بقوتهم: ﴿**إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾ [يوسف:٨]

٢- ﴿**قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذاً لَخَاسِرُونَ**﴾ [يوسف:١٤]

رابعا: الإشهار عن سلع متنوعة:

أ) إشهار عن عمل أدبي (قصة) في قوله: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنْ الْغَافِلِينَ**﴾ [يوسف: ٣] .

ب) إشهار عن سلعة مزجاة في قوله: ﴿**فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ**﴾ [يوسف: ٨٨] .

ج) إشهار عن أشياء مفقودة في قوله: ﴿**قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ**﴾ [يوسف: ٧٢] .

خامسا: إشهار عن سلعة أخروية:

﴿**إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[يوسف: ٩٩] .

نعرض في الصفحات التالية بالدراسة والتحليل لبعض من هذه الإشهارات:

الإشهار الأول

الإشهار عن الله سبحانه تعالى

قال تعالى علي لسان يوسف عليه السلام : ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[يوسف: ٣٩] .

أولاً : مع اللغويين والمفسرين :

مع اللغويين :

أرباب: قال ابن سيده: " الرَّبُّ: الله عز وجل والاسم: الربابةُ، والربوبية: كالربابة... ورب كل شيء مالكه ومستحقه، وقيل صاحبه... والجمع أرباب وربوب... ورَبَّهُ يَرُبُّه رَبّا : ملكه " [(١)] .

قال الراغب الأصبهاني:

" الرب في الأصل: التربية وهو إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حد التمام، فالرب: مصدر مستعار للفاعل. ولا يقال الرب إلا لله تعالى، المتكفل بمصلحة الموجودات، وبالإضافة يقال له ولغيره، يقال رب الدار ورب الفرس صاحبهما، ولم يكن من حق الرب أن يجمع، إذ كان إطلاقه لا يتناول إلا الله تعالى ـ لكن أتى في نفسه، والرب لا يقال في التعارف إلا في الله، وجمعه أربة وربوب بلفظ الجمع فيه على حسب اعتقاداتهم ـ لا على ما عليه ذات الشي " [(٢)] .

قال الدامغاني:

" والوجه الثامن؛ الرب هو المالك والسيد (ارجع إلى ربك) أي مالكك وسيدك (إنه ربي) أي سيدي. والوجه التاسع: الرب الكبير (فاذهب أنت وربك) يعنون كبيرك وأخاك " [(٣)] .

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم: ج ١١، ص٢٠٦.
(٢) المفردات في غريب القرآن: الحسن بن علي الراغب الأصبهاني، مكتبة الأنجلو، ٢٦٩ ـ ٢٧٠.
(٣) الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز: محمد الدامغاني، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ٣٧٨.

obeikandl.com

مع المفسرين:

تفسير ابن كثير:

قال ابن كثير: " إن يوسف عليه السلام أقبل على الفتيين بالمخاطبة والدعاء لهما إلى عبادة اللّه وحده لا شريك له، وخلع ما سواه من الأوثان التي يعبدها قومهما، فقال: (أأرباب متفرقون خير أم اللّه الواحد القهار) أي الذي ذل كل شيء لعز جلاله وعظمة سلطانه " [1].

وتتبين من كلام ابن كثير: أن يوسف دعاهما لعبادة اللّه.

تفسير القرطبي:

قوله تعالى: (يا صاحبي السجن) أي يا ساكني السجن؛ وذكر الصحبة لطول مقامهما فيه، كقولك: أصحاب الجنة، وأصحاب النار. (أأرباب متفرقون) أي في الصغر والكبر والتوسط، أو متفرقون في العدد (خير أم اللّه الواحد القهار) وقيل: الخطاب لهما ولأهل السجن، وكان بين أيديهم أصنام يعبدونها من دون اللّه تعالى، فقال ذلك إلزاما للحجة؛ أي آلهة شتى لا تضر ولا تنفع (خير أم اللّه الواحد القهار) الذي قهر كل شيء. وقيل: أشار بالتفرق إلى أنه لو تعدد الإله لتفرقوا في الإرادة ولعلا بعضهم على بعض، وبين أنها إذا تفرقت لم تكن آلهة " [2].

ذكر القرطبي:

- سبب النداء عليهما بصاحبي السجن.
- وأنهما كان بين أيديهما أصنام يعبدونها، وهو بيان أنه اقتنص الفرصة ليدعوهما إلى عبادة إله واحد قهار؛ أثناء عبادتهم الأصنام التي لا تنفعهم.
- بين عاقبة تعدد الآلهة عليهم وعلي الناس.

---

(١) تفسير ابن كثير: ج٢، ص٤٧٩.
(٢) تفسير القرطبي: ج٥، ص٣٤٢١.

تفسير الرازي:

" اعلم أنه عليه السلام لما ادعى النبوة في الآية الأولى، وكان إثبات النبوة مبنيا على إثبات الإلهيات لا جرم شرع في هذه الآية في تقرير الإلهيات، ولما كان أكثر الخلق مقرين بوجود الإله العالم القادر، وإنما الشأن في أنهم يتخذون أصناما على صورة الأرواح الفلكية، ويعبدونها ويتوقعون حصول النفع والضر منها لا جرم كان سعي أكثر الأنبياء في المنع من عبادة الأوثان. فكان الأمر على هذا القانون في زمان يوسف عليه السلام، فلهذا السبب شرع ههنا في ذكر ما يدل على فساد القول بعبادة الأصنام وذكر أنواعا من الدلائل والحجج:

الحجة الأولى: قوله: (أأرباب متفرقون خير أم اللّٰه الواحد القهار) وتقرير هذه الحجة أن نقول: إن اللّٰه تعالى بين أن كثرة الآلهة توجب الخلل والفساد في هذا العالم، وكون الإله واحدا يقتضي حصول النظام وحسن الترتيب، فلما قرر هذا المعنى في سائر الآيات، قال ههنا: متفرقون خير أم اللّٰه الواحد القهار والمراد منه الاستفهام على سبيل الإنكار.

والحجة الثانية: أن هذه الأصنام معمولة لا عاملة ومقهورة لا قاهرة، فإن الإنسان إذا أراد كسرها وإبطالها قدر عليها فهي مقهورة لا تأثير لها، ولا يتوقع حصول منفعة ولا مضرة من جهتها، وإله العالم فعال قهار قادر يقدر على إيصال الخيرات ودفع الشرور والآفات، فكان المراد أن عبادة الآلهة المقهورة الذليلة خير أم عبادة اللّٰه الواحد القهار، فقوله: أأرباب (إشارة إلى الكثرة فجعل في مقابلته كونه تعالى واحدا)، وقوله: متفرقون (إشارة إلى كونها مختلفة في الكبر والصغر واللون والشكل، وكل ذلك إنما حصل بسبب أن الناحت والصانع يجعله على تلك الصورة) فقوله: متفرقون (إشارة إلى كونها مقهورة عاجزة وجعل في مقابلته

كونه تعالى قهارا ، فبهذا الطريق الذي شرحناه اشتملت هذه الآية على هذين النوعين الظاهرين)

والحجة الثالثة: أن كونه تعالى واحدا يوجب عبادته؛ لأنه لو كان له ثان لم نعلم من الذي خلقنا ورزقنا ودفع الشرور والآفات عنا ، فيقع الشك في أنا نعبد هذا أم ذاك، وفيه إشارة إلى ما يدل على فساد القول بعبادة الأوثان، وذلك لأن بتقدير أن تحصل المساعدة على كونها نافعة ضارة إلا أنها كثيرة، فحينئذ لا نعلم أن نفعنا ودفع الضرر عنا حصل من هذا الصنم أو من ذلك الآخر أو حصل بمشاركتهما ومعاونتهما ، وحينئذ يقع الشك في أن المستحق للعبادة هو هذا أم ذاك، أما إذا كان المعبود واحدا ارتفع هذا الشك وحصل اليقين في أنه لا يستحق العبادة إلا هو، ولا معبود للمخلوقات إلا هو، فهذا أيضا وجه لطيف مستنبط من هذه الآية.

الحجة الخامسة: وهي شريفة عالية: وذلك لأن شرط القهار أن لا يقهره أحد سواه، وأن يكون هو قهارا لكل ما سواه، وهذا يقتضي أن يكون الإله واجب الوجود لذاته، إذ لو كان ممكنا لكان مقهورا لا قاهرا ويجب أن يكون واحدا ، إذ لو حصل في الوجود واجبان لما كان قاهرا لكل ما سواه، فالإله لا يكون قهارا إلا إذا كان واجبا لذاته وكان واحدا ، وإذا كان المعبود يجب أن يكون كذلك فهذا يقتضي أن يكون الإله شيئا غير الفلك وغير الكواكب وغير النور والظلمة وغير العقل والنفس، فهذا الحرف الواحد كاف في إثبات هذا التوحيد المطلق وأنه مقام عال، بقي فيها سؤالان:

السؤال الأول: لم سماها أربابا وليست كذلك ؟

والجواب: لاعتقادهم فيها أنها كذلك، وأيضا الكلام خرج على سبيل الفرض والتقدير، والمعنى أنها إن كانت أربابا فهي خير أم الله الواحد القهار .

السؤال الثاني: هل يجوز التفاضل بين الأصنام وبين الله تعالى حتى يقال إنها خير أم الله الواحد القهار ؟

الجواب: أنه خرج على سبيل الفرض، والمعنى: لو سلمنا أنه حصل منها ما يوجب الخير فهي خير أم الله الواحد القهار[1] .

هذا القول للرازي يثبت ذكاء الرجل وحسن فطنته وعلمه الواسع وقدرته على استنباط المعاني والأحكام من النص القرآني، ولكن هناك خلاف مع الرجل؛ هو أنه يرى المقصود بأرباب أي آلهة، ولكن (والعلم عند الله) أن مقصود يوسف هو القادة والحكام الذين يتولون أمرهم في السجن والعاملون عليهم من الحراس وسواهم، وما يدفعني إلى هذا الاعتقاد هو :

١- سياق الحال: وهو مستنبط من المكان والزمان، فالمكان: السجن، والزمان: زمان الحدث الآني، فهم بالفعل سجناء الآن في السجن، فعلاقتهم بالرب بمعنى السجان آت من الحالة التي هم فيها فهي لا تسمح لهم إلا بهذا المعنى .

٢ ـ حاجة هؤلاء القوم إلى رب يحميهم، وليس إلى إله يعبدونه، ولهذا اختار من صفات الله كلها صفتي (الوحدانية والقهر) لهذا لم يقل يوسف لهما:

أألهة متفرقون للأسباب السابقة، ولأن الربوبية درجة أقل من الألوهية، وكما رأينا لدى أصحاب المعاجم أن كلمة رب تطلق على الله وعلى غيره، نحو رب الدار ورب الفرس.

فهذا كله يؤكد أن المقصود بأرباب هم الحكام والأمراء والسادة القائمون على قيادة السجن، والله أعلم .

(١) تفسير الرازي التفسير الكبير: المجلد التاسع، ج١٨، ص١١٥.

في ظلال القرآن:

وقد قال بهذا الرأي قبلي أ. سيد قطب: " وينتهز يوسف هذه الفرصة؛ ليبث بين السجناء عقيدته الصحيحة؛ فكونه سجيناً لا يعفيه من تصحيح العقيدة الفاسدة والأوضاع الفاسدة، القائمة على إعطاء حق الربوبية للحكام الأرضيين، وجعلهم بالخضوع لهم أرباباً يزاولون خصائص الربوبية، ويصبحون فراعين! [1] " فهنا إشارة منه إلى أن المقصود بالأرباب حكام السجن والسجانين .

ثم يشير إلى عنصر أساسي في هذا الإشهار وهو عرض فكرة الدين الجديد ببساطة وتودد إلى مستمعه، وهذا أساسي في الإشهار " لقد رسم يوسف عليه السلام بهذه الكلمات القليلة الناصعة الحاسمة المنيرة، كل معالم هذا الدين، وكل مقومات هذه العقيدة.كما هز بها كل قوائم الشرك والطاغوت والجاهلية هزاً شديداً عنيفا.. (يا صاحبي السجن، أأرباب متفرقون خير أم اللّه الواحد القهار؟) إنه يتخذ منهما صاحبين، ويتحبب إليهما هذه الصفة المؤنسة، ليدخل من هذا المدخل إلى صلب الدعوة وجسم العقيدة.

وهو لا يدعوهما إليها دعوة مباشرة، إنما يعرضها قضية موضوعية: (أأرباب متفرقون خير أم اللّه الواحد القهار؟) وهو سؤال يهجم على الفطرة في أعماقها ويهزها هزاً شديداً.. إن الفطرة تعرف لها إلهاً واحداً؛ ففيم إذن تعدد الأرباب؟.. إن الذي يستحق أن يكون رباً يعبد ويطاع أمره ويتبع شرعه هو اللّه الواحد القهار[2] .

استنتاجات:

نستنتج من كلام أ. سيد قطب النقاط الآتية:

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ١٩٨٠، القاهرة، ص١٩٨٨.
(٢) المرجع السابق :١٩٨٩.

❖ قول يوسف: " يا صاحبي السجن " تقريبا إليهما، وهو لب عمل الإشهار، وهو التقرب إلى المتلقي، كوسيلة لإقناعه بالمنتج .

❖ طرح الدعوة في شكل سؤال لإثارة انتباه المتلقي، ومحاولته المشاركة في التفكير مع المشهر والرد عليه، وكأن هناك مشكلة يحاول حلها .

❖ المقابلة بين الأرباب المتعددة وبين الله الواحد القهار قد أكد عليها الشيخ، ولها دور كبير في عملية الإشهار، بل يعتمد عليه المشهر في تسويق سلعته بقوله: (قارن بين مسحوقنا والمسحوق العادي) فعملية المقارنة في شكل سؤال تثير فضول المتلقي لمعرفة الفرق بينهما من خلال عمليات عقلية يقيمها المتلقي بينه وبين نفسه؛ للاقتناع بالمنتج .

❖ استغلال يوسف للموقف الحالي وهو حاجة الرجلين لمفسر لحلمهما في الدعوة لله، فالمحتاج أكثر الناس انتباها لما يطلب منه، وهو ما تقوم به كثير من الشركات المعلنة عن سلعة ما؛ بتوظيف تلك الحاجة في التسويق .

❖ قول الشيخ: إن يوسف هجم على الفطرة السليمة ليهزها، فهي لا تعرف إلا إلها واحدا لها، فالأصل في الناس الإيمان بالله كما فطرهم الله، فنفهم من هذا أن يوسف استغاث بهذه الفطرة، واحتكم إليه في المقارنة بين الله وبين غيره من تلك الأرباب المتصارعة، وهو ما يلجأ إليه كثير من المشهرين بالدعوة إلى تلك الفطرة السليمة كالدعوة لحقوق الإنسان ومكارم الأخلاق، وغيرها من القيم الإنسانية التي تلقى قبولا لدى الناس في بناء إشهارهم .

❖ لم يشر الشيخ إلى سبب اختيار يوسف لصفتين من صفات الله (الواحد القهار) دون سائر صفاته سبحانه ؟! وهو سياق الحال الذي هما فيه وهو السجن فهما في حاجة شديدة لقائد واحد قوى قهار، وهذا سبب إخباره لهما .

❖ ذكر الشيخ صفة أساسية في الإشهار، وهي قصر العبارة وأنها على الرغم من قصرها قد حققت الغرض منها يقول: " لقد رسم يوسف عليه السلام بهذه الكلمات القليلة الناصعة الحاسمة المنيرة، كل معالم هذا الدين، وكل مقومات هذه العقيدة " .

❖ ويذكر صفة أخرى من صفات الإشهار وهي عدم المباشرة في الإشهار حتى يكون مقنعا ومؤثرا، وهو لا يدعوهما إليها دعوة مباشرة، إنما يعرضه قضية موضوعية: أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار؟ فاستخدم الحجاج المقنع، يربط فيه بين العقل والمنطق، والدعوة لله (سلعته) .

تفسير الألوسي "روح المعاني":

❖ ويمكن أن نعرض كلام الألوسي في النقاط الآتية :

١ـ قيمة وصفهما بصاحبي السجن قال الألوسي: "(يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ) أي يا صاحبي فيه إلا أنه أضيف إلى الظرف توسعاً؛ كما في قولهم: يا سارق الليلة أهل الدار؛ ولعله إنما ناداهما بعنوان الصحبة في مدار الأشجان ودار الأحزان التي تصفو فيها المودة وتتمحض النصيحة ليقبلا عليه ويقبلا مقالته؛ ويجوز أن يراد بالصحبة السكنى.. ولعل في ندائهما بذلك على هذا الوجه حثاً لهما على الإقرار بالحق كأنه قال لهما: يا ساكني هذا المكان الشاق والمحل الضنك إني ذاكر لكم أمراً؛ فقولوا الحق فيه ولا تزيغوا عن ذلك فأنتم تحت شدة ولا ينبغي لمن كان كذلك أن يزيغ عن الحق، وإنما حمل الصاحب على ما سمعت لأن صاحب السجن في الاستعمال المشهور السجان أو الملك، والنداء - بيا - بناءاً على الشائع من أنها للبعيد للإشارة /إلى غفلتهما وهيمانهما في أودية الضلال [1] .

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين الألوسي، مكتبة التوفيقية، القاهرة، المجلد السابع، ص٣٣٤.

إن الرجل يعرض لآراء لم نرها من قبل لدي غيره من المفسرين، فمنها:

أ ـ أن النداء بصاحبي السجن للتوسع أي ليعمَّ كل من في السجن .

ب ـ في الإضافة للسجن تذكرة بالمشاركة في المحنة .

ج ـ هذا النداء بشركاء المحنة تذكرة لهما ليقولا الحق؛ فلا تظلموا كما ظُلِمْتُم .

د ـ صاحب السجن قد يكون المقصود بهما السجناء أو الملك أو المساجين .

هـ ـ النداء بالياء إشارة إلى بعدهما عن الهدى وغفلتهما .

٢ ـ قيمة الاستفهام: أشار الألوسي إلى فائدة توجيه الحوار في شكل سؤال، قال: " وقد تلطف عليه السلام بهما في ردهما إلى الحق وإرشادهما إلى الهدى حيث أبرز لهما ما يدل على بطلان ما هما عليه بصورة الاستفهام حتى لا تنفر طباعهما من المفاجأة بإبطال ما ألفاه دهراً طويلاً ومضت عليه أسلافهما جيلاً فجيلاً فقال: (ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ) متعددون متكثرون يستعبدكما منهم هذا وهذا " .

٣ـ العدد (أرباب) فسر الجمع في الأرباب بقوله: " وحمل التفرق على التفرق في العدد والتكاثر مما ذهب إليه غير واحد ، وحمله بعضهم على الاختلاف في الكبر والصغر والشكل ونحو ذلك مما يحصل لها بواسطة تأثير الغير فيها ، وجعله إشارة إلى كونها مقهورة عاجزة. وأما التعدد فيشير إليه جمع أرباب باعتبار أنه جمع فيكون ذكر الواحد على هذا في مقابلة ما أشير إليه من التعدد ، والقهار في مقابلة ما أشير إليه من المقهورية والعجز ، والمعنى أمتعددون سميتموهم أرباباً عجز مقهورون متأثرون من غيرهم خير أم الله أي صاحب هذا الاسم الجليل الواحد

الذي يستحيل عليه التكثر بوجه من الوجوه القهار الذي لا موجود إلا وهو مسخر تحت قهره وقدرته عاجز في قبضته "[1].

٤ـ المقصود بـ (متفرقون): قال: " قيل: المراد من (متفرقون) مختلفو الأجناس والطبائع كالملك والجن والجماد مثلاً، ويجوز أن يراد منه من لا ارتباط بينهم ولا اتفاق، وكثيراً ما يكنى بذلك عن العجز واختلال الحال " .

٥ ـ كلمة أرباب أنزلتم من درجة الألوهية، قال: " ثم إنه عليه السلام زاد في الإرشاد ببيان سقوط آلهتهما عن درجة الاعتبار رأساً فضلاً عن الألوهية، وأخرج ذلك على أتم وجه فقال معمماً للخطاب لهما ولمن على دينهما من أهل مصر كما هو الظاهر، وقيل: مطلقاً، وقيل: من معهما من أهل السجن [2] .

تفسير التحرير والتنوير:

أضاف الشيخ طاهر بن عاشور الأمر وضوحا في كثير من المسائل وهي :

١ـ علل عدم ذكر اسم صاحبي السجن بقوله: " عبر عنهما بوصف الصحبة في السجن دون اسميهما، إمّا لجهل اسميهما عنده إذ كانا قد دخلا السجن معه في تلك الساعة قبل أن تطول المعاشرة بينهما وبينه، وإما للإيذان بما حدث من الصلة بينهما وهي صلة المماثلة في الضراء الإلف في الوحشة، فإن الموافقة في الأحوال صلة تقوم مقام صلة القرابة أو تفوقها [3] .

---

(١) روح المعاني: المجلد السابع ص٣٣٣ .
(٢) روح المعاني: المجلد السابع ص٣٣٤.
(٣) التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور: دار سحنون، تونس، بدون تاريخ، مجلد٥، ج١٢، ٢٧٤ .

٢ـ الغرض من الاستفهام: قال الشيخ الطاهر: " وأراد بالكلام الذي كلمهما به تقريرهما بإبطال دينهما ، فالاستفهام تقريري "[١] .

٣ـ مراعاة البيئة الدينية في تقديم الإله الجديد " قد رتب لهما الاستدلال بوجه خطابي قريب من أفهام العامة ، إذ فرض لهما إلها واحدا متفردا بالإلهية كما هو حال ملته التي أخبرهم بها. وفرض لهما آلهة متفرقين كل إله منهم إنما يتصرف في أشياء معينة من أنواع الموجودات تحت سلطانه لا يعدوها إلى ما هو من نطاق سلطان غيره منهم، وذلك حال ملة القبط" .

٤ـ المقارنة بين الإلهية والإله الواحد: " ثم فرض لهما مفاضلة بين مجموع الحالين حال الإله المنفرد بالإلهية والأحوال المتفرقة للآلهة المتعددين ليصل بذلك إلى إقناعهما بأن حال المنفرد بالإلهية أعظم وأغنى، فيرجعان عن اعتقاد تعدد الآلهة. وليس المراد من هذا الاستدلال وجود الحالين في الإلهية والمفاضلة بين أصحاب هذين الحالين لأن المخاطبين لا يؤمنون بوجود الإله الواحد " [٢] .

ثانيا : الدراسات اللغوية الحديثة :

تقديم: هذه بعض آراء المفسرين حول هذه الآية بقى أن ننظر إليها في إطار بحثنا (الإشهار القرآني) وضوء الدراسات الحديثة؛ لنرى كيف نجح في رسالته .

تحدث يوسف عليه السلام عن ربه معلنا عنه سبحانه إلى رفيقي السجن، في عبارة إشهارية يجب أن نحللها في ضوء معطيات هذا العلم الجديد ونظرياته فإذا كان الإشهار يعنى الإعلان عن الشيء؛ ففي هذه العبارة إعلان عن الله تعالى جاء علي لسان نبيه يوسف، وسوف نعرض

(١) التحرير والتنوير: المجلد الخامس، ج١٢، ٢٧٥.
(٢) المرجع السابق: المجلد الخامس، ج١٢، ٢٧٦.

له في نقاط تحدد البناء اللغوي الإشهار والتواصلي والنفسي والاجتماعي التي ذكرتها سابقا لنلقى الضوء على كل جوانب هذه العبارة الإشهارية.

١. الإشهار والتواصل:

يحقق الإشهار التواصل بين أفراد المجتمع؛ وذلك من خلال قواعد التواصل الاجتماعي؛ وأولها تبادل المنفعة بهذا العمل، وتوجيه الآخرين نحو سلوك معين، فالإشهار هو منفعة لكل من البائع والمشتري، كذا يحقق غرض البائع بتوجيه سلوك المتلقي نحو سلعته من بضاعة أو فكر أو خدمة. وفي إشهارنا نجده يحق التواصل بتبادل المنفعة بين صاحبي السجن بهدايتهم لله ومنفعة لنبي الله يوسف في نجاح مهمته في الدعوة لله، وتوجيه صاحبي السجن نحو عقيدة الوحدانية والإيمان بالله، ومقدمة لتحقيق غرضهم وهو تفسير الرؤيا .

ومن خلال هذا الإشهار تبدو لنا عقيدة هذا المجتمع المصري في تلك الحقبة من ميلهم إلى تعدد الآلهة، كما ذكر ابن عاشور من جَعْل إله لكل شيء في حياتهم وشئونهم، وتلك ثقافتهم وفكرهم في عصرهم، وقد نقلت إليهم فكرة تعدد الآلة من اليونان والرومان، فعرفنا ثقافتهم وعقيدتهم من خلال الإشهار .

*** أدوات التواصل:**

تحقق التواصل في هذا الإشهار من خلال أدوات منها :

١. المقام اللفظي (أي استخدام اللغة في التعبير التواصل) فهو عبارة لفظية .

٢. اجتماعي: من توظيفه الطقوس والعادات في توضيح الفكرة، وهنا توظيف للصراع بين الآلهة وتعددهم في توضيح قيمة أن يكون الإله واحدا قهارا .

٣ـ **مـادي:** مـن توظيـف الأشـياء الماديـة في تحقيـق التواصـل؛ لبيـان الفكـرة من خلال بيان خطورة تعدد الأربـاب بصراعهم المـادي، ليقنعهم بضرورة الحاجة إلى الإله الواحد .

٢ـ خصائص الإشهار :

تتحقق أكثر خصائص الإشهار بهذه العبارة، ويبدو ذلك في النقاط الآتية :

أ- الغاية: هذا الإشهار له غاية يسعى لحقيقها؛ وهي الدعوة لإله واحد قهار .

سرية الغاية: تحققت بالدعوة غير المباشرة للّه الواحد القهار بالسؤال أأرباب ؟ .

ب ـ خلق الحاجات: فهو تنبيه للسجينين إلى حاجتهما لوجود إله واحد قهار .

ج ـ الإغراء: بعرض الأمن والحماية في مقابل الوقوع بين صراع الآلهة .

د ـ الاستنجاد بعقل المتلقي: من خلال هذا السؤال الذي يحتكم فيه إلى العقل .

هـ ـ إثارة خيال المتلقي: بتصور حاله بين آلة متصارعة؛ وإله واحد قهار

نـوع الإثـارة: بطـرح سـؤال لا علاقـة لـه بالموضـوع،هو طلبهمـا تفـسير الرؤيا.

و- الإيحاء: للوصول لهدفه دون النطق به، فهو يريد القول: ياصاحبي آمنا باللّه .

ز- الجانب النفسي والاجتماعي في هذا الإشهار:

الإشهار يتعامل مع الإنسان من خلال المؤثرات النفسية والاجتماعية التي تحركت، ولذا يتلون كل إشهار حسب تلك المؤثرات؛ ويبدو ذلك فيما يأتي :

مؤثرات نفسية :

- ❖ التقرب إليهما بكلمة " يا صاحبي" كما قال المفسرون .
- ❖ الإشارة إلى المشاركة في المحنة بقوله " صاحبي السجن " .
- ❖ تحقيق حاجتهم النفسية من الشعور بالأمن والحماية بهذا الإله.

مصادر التأثير النفسي في العبارة :

لو نظرنا إلى هذه العبارة سنجد أنها تثير انتباه السامع وتدخله عن طريق السؤال في حوار مع المتكلم، وتثير داخله انفعالات نفسية، من خلال أشياء لم تنطق بها العبارة، بل مستها من طرف خفي، ويبدو ذلك في :

أ) **صورة:** هذا السجين المقهور وحالة السُجّان وما يفعلونه به والآلام النفسية والجسدية، وحالته النفسية عند دخول السَجّان قوى قاهر لهؤلاء السُجّان المتصارعين، وما يدخله على السجناء من شعور لديهم بالأمن والحماية والطمأنينة، مما يجعل السجناء يسرعون منقادين برضي نفسي تام إلى الإيمان به، على الرغم من أنهم لم يذوقوا إلى الآن لذة الأمن من ذلك الرب، لكن هذه العبارة القوية المقنعة وصلت إلى عقولهم فاقتنعوا .

ب) فآلية الإقناع هنا أتت من الجمع بين المتناقضين والتفاضل بينهما. فقد راعى المعلن فيه حاجة المستمع النفسية والمادية من الحماية والطمأنينة، فاستجابوا لهذا الإشهار، دون معرفة مسبقة بهذا الرب الذي ربما لم يسمعوا اسمه من قبل (اللّه) .

ت) الحاجة الملحة للأمن والحماية وهو تأثير نفسي أثار انفعالات الخوف والفزع من صراع هؤلاء الأرباب، فاستجاب المعلن لهذه الحاجة ولبّاها .

مؤثرات اجتماعية :

- ❖ المشركة في المكان (السجن) .
- ❖ المشركة في نظام اجتماعي واحد هو حياة السجن .

❖ الإشارة إلى أن العبادة في هذا المجتمع تقوم على تعدد الآلهة .

٣.التعبير باللغة المنطوقة وغير المنطوقة :

أ.اللغة المنطوقة :

تتميز العبارة الإشهارية بمجموعة من الخصائص اللغوية منها :

١ـ الجمل قصيرة: يا صاحبي السجن/ أأرباب متفرقون خير/أم اللّه الواحد

٢ـ متوالية من الجمل القصيرة: لاحظ هذا التتابع والتوالي من ثلاث جمل قصيرة: يا صاحبي السجن/ أأرباب متفرقون خير/ أم اللّه الواحد القهار .

٣ـ صيغ تقريرية عامة: حيث العبارة تقرر فرق عام بين اللّه وآلهة متفرقة .

٤ـ تنوع الجمل بالنص بين:

أ ـ جمل استفهامية نحو: (أأرباب متفرقون ؟) .

ب ـ جمل تقريرية: (أرباب متفرقون) (صاحبي السجن) (اللّه الواحد القهار) .

ج ـ جمل ندائية نحو: (ياصاحبي السجن) .

٥ـ الاختصار والإيجاز: الجمل قليلة قصيرة، والغرض منها تحقق، متمثلا في الوضوح: العبارة واضحة الغرض لا تحتاج إلى تفسير (الدعوة لإله واحد) .

٦ـ المحسنات اللفظية: يبدو هذا في انسجام صوتي آتٍ من صوت الضمة المتكرر مع نهاية أغلب الكلمات: أرباب، خير، اللّه، الواحد، القهار .

المقابلة بين: كلمة (متفرقون) وكلمة (واحد) وكلمة أرباب والاسم (اللّه)

٧ـ أرباب: قامت اللغة في هذا الإشهار من خلال ألفاظها المحدودة ـ كلفظ أرباب ـ بخلق صورة للّه في ذهنهما بما يرونه في الواقع؛ جعلتهما

يقتنعان به، وذلك بالمقابلة بين أقرب الأشياء في مخزونهما العقلي، وهي صورة الرب وليس الإله؛ فهما يريانه باستمرار في صورة السجّان، والحاكم من ملوك الفراعنة؛ وعندما قال أحد الفراعنة: ﴿**فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى**﴾[النازعات:]، فنجد أنه لم يستطع أن يقول: أنا إلهكم الأعلى، فمنزلة الإله أعظم من منزلة الرب؛ ولهذا قال يوسف أرباب ولم يقل آلهة، ولهذا كانت كلمة أرباب في مقابل الاسم الأعظم للإله (الله) هي أفضل الألفاظ لبيان الفرق في هذا المقام.

ب. اللغة غير المنطوقة:

١. اللغة الرمزية:

انظر لإشهار يوسف عن رب العالمين: ﴿**يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾[يوسف: ٣٩]، إنه ليس إشهارا عن إله يعبد، بل إنه إشهار عن رب قوي. قاهر. سيد. واحد، يستطيع حمايتهم في سجنهم، لقد حملت كلمات: أرباب. الواحد. قهار دلالات غير منطوقة بل تفهم من النص، وهي إعطاؤهم صكوك حماية وأمان ودفاع عنهم، لهذا أنصتوا له أملا في ذلك الوعد الذي حملته اللغة الرمزية لنفوسهم. لقد نجحت تلك اللغة في إثارة رغبات دفينة داخلهم؛ هي رغبتهم في الحماية والدفاع والأمن، فمن هذه الرموز في هذا الإشهار :

- رمز الإشهار إلى الاختلاف والصراع بين الآلهة بكلمة (متفرقون).
- رمز إلى طبيعة العقيدة المصرية الوثنية من تعدد الآلهة بكلمة (أرباب).
- رمز إلى الإله الواحد باسمه الأعظم الذي لم يطلق على أحد قبل وهو (الله).
- رمز إلى قوة الإله الواحد الشديدة بكلمة (القهار).
- رمز إلى خصوصية العلاقة بينه وبينهما بكلمة (صاحبي).

- رمز إلى الشراكة في المحنة بكلمة (صاحبي السجن) .

٢. اللغة الانفعالية:

أثارت العبارة الإشهارية عدة انفعالات داخل الرجلين منها :

- انفعال الخوف من صراع الآلهة (أرباب متفرقون، أي متصارعون) .
- انفعال الأمن بوجود إله واحد قوى قهار (اللّه الواحد القهار) .
- انفعال الشعور بالظلم والقهر بتذكيرهم بما هما فيه من محنة (السجن) .

٣. اللغة الإيحائية:

تعتمد هذه اللغة على الإيحاء والتلميح بدلا من التصريح، فلا تعلن عن الهدف المطلوب صراحة، بل تشير إليه. فالهدف غير المعلن هو الدعوة إلى إله واحد اسمه " اللّه "، أما الهدف المعلن هو طلب المقارنة بين الأرباب المتصارعة وبين ذلك الإله الواحد القهار .

٤. الفضاء الذهني:

هو الفراغ الذي في الذهن البشري الذي تُبني فيه التصورات حول الأشياء نتيجة للمعلومات والخبرات عنها المخزنة في الذهن . وفي هذه العبارة: ﴿**يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾[يوسف: ٣٩]، لقد اتجه يوسف عليه السلام في إشهاره عن ربه إلى جهة معينة فرضت عليه اختيار صفتين فقط من صفات اللّه تعالى، هما (الواحد القهار) دون سائر صفاته سبحانه، سعى من خلالهما إلى بناء فضاء ذهني جديد لدى هؤلاء السجناء راعى فيه الفضاء الذهني الأصلي لهما الذي لا يعرف في مخزونه سوى صورة الرب القاهر الظالم، والضعف الإنساني والاستعباد والذل الذي يعيشان فيه، لقد اخترق هذا الفضاء الذهني القديم ليبني فضاءً ذهنيا جديدا بدلالات جديدة، لم يرها من قبل أحد منهما لا في منامهما ولا أمانيهما، صورة الرب المخلص

الناصر القاهر لأعدائهم، وهذا الرب لا بد أن يكون متصفا بصفتين أساسيتين، هما: الوحدانية والقهر، لقد جربا من خلال خبراتهما السابقة تعدد الأرباب وصراعهم الذي لا يدفع ثمنه سوى السجناء الضعفاء، ولهذا كان الأفضل لهما ربا واحدا، كذا الصفة الثانية لهذا الرب بعد الوحدانية هي القوة القاهرة، فيحدث إعادة بناء دلالي لمعنى القهر في فضائهما الذهني التي كانت تعنى الظلم، والسطوة عليهما لتحمل دلالة جديدة، هي القوة والحماية لهما التي ستنجيهما من أعدائهما. لقد اتسعت دلالة الكلمة للمعنى الجديد نتيجة لاتساع الفضاء الذهني لهما بهذا الوصف للرب الجديد (الواحد القهار)، إنه لم يعد إشهارا عن رب جديد، ولكنه بناء لتصور جديد لمعنى الرب في الفضاء الذهني لهما، و يمكن إدراك قيمة هذا التحول من خلال المقارنة بين الفضاءين في الشكل الآتي :

الفضاء الأول: أرباب متصارعون + سجناء ضعفاء + حياة ظلم وقهر >> فضاء قهر وحزن .

الفضاء الثاني: رب + واحد + قهار >> فضاء يشملهما بالأمن والحماية والقوة .

صُنع هذا الفضاء الجديد من خلال التوسع والتحول في دلالة كلمة "قهَّار": بمعنى محطم. فاتك للشخص >> (قهّار) محطم. فاتك لأعداء الشخص .

قيمة هذا الفضاء في الإقناع بإله اسمه (اللّه): يبدو ذلك في أنه صور مدى الحاجة إلى هذا المنتج المعروض عليهما، فوجدا في هذا الفضاء الذهني وملابساته أداة للإقناع بالرب: اللّه الواحد القهار، الذي سيسألون عن اسمه؛ فبادرهم هو بذكر اسمه: اللّه، وصفاته: الواحد القهار .

آليات الإقناع في الإشهار:

تبدو آلية الإقناع في إخفاء الهدف من الإشهار، فهو لم يعلن أنه يدعوهما إلى عبادة إله واحد قهار (وهو الهدف من الإشهار)، بل إنه خلق لديهما الحاجة إلى هذا الإله (إله يضمن لهما الأمن والحماية) أولا عن طريق إقناعهما بأنه وحده القادر على أن يحقق لهما ذلك، فينطلق السؤال غير المنطوق منهما عن هذا الذي يحقق لهما ذلك، وهو: من هذا الرب ؟ ويبدو هذا السؤال غير المنطوق في إنصاتهما التام للقادم من كلام يوسف بعد قليل من صفات هذا الإله، وعدم مقاطعته فيما سيذكره من صفات الله تعالى .

ثالثا : النظريات اللغوية الحديثة:

أ) النظرية العرفانية: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[يوسف: ٣٩] .

العرفانية: هي دراسة عمل العقل في إدراك وفهم ما حولنا من أشياء، وكيف نتفاعل معها، فنستخدم هذه النظرية في بيان العملية العقلية التي تصاحب فهم المعنى الإشهاري الذي في الآية .

إن الشيء الذي تعلن عنه العبارة هو إله واحد أحد اسمه الله، سعت العبارة بكل وحداتها اللغوية في بناء تصور عنه في ذهن المتلقي (صاحبي السجن) عن طريق عملية إسقاط لخصائص هذا الإله الواحد القهار في مقابل أرباب متصارعين .

الفضاء الذهني للمتلقي به صورة للأرباب المتصارعة، يحاول توظيفها في بناء صورة جديدة لإله جديد هو الله الواحد القهار، فيقوم بعملية إسقاط للمعارف المتعلقة بهذا الرب المعروف سلفا، والمخزنة في البنية الصورية للمتلقي (المعارف المتعلقة بالمجال المصدر) على المعارف المتعلقة بالمجال الهدف (الإله الجديد الله بصفاته: الوحدانية. القوة. القهر) فتُبني

في البنية التصورية للمتلقي صورة لهذا الإله، فتبدو في الذهن صورة هذا الإله الجديد الذي اسمه (اللّه) بالصفات التي تم إسقاطها في الذهن عليه ليست صفات الرب الذي يعرفونه، بل بصفات إله (واحد قهار) فهناك فرق بين الرب وبين الإله، فالأول يتعدد ويتجسد ويتصارع ويَهْزم ويُهْزم، أما الثاني فواحد لا يُقْهر، بل هو قهّار .

ويمكن تصور ذلك من خلال هذا الشكل:

(في الفضاء الذهني الأصلي. مجال المصدر. أرباب متصارعة) عملية إسقاط للمعارف المتعلقة بهؤلاء الأرباب >> (على الفضاء الذهني الجديد. مجال الهدف. إله جديد يحمل معارف جديدة: واحد .قهار) بناء صورة جديدة في البنية التصورية للمتلقي عن هذا الإله الواحد القهار الذي اسمه اللّه سبحانه .

أراد يوسف عليه السلام أن يعلن عن ربه لصاحبيه بالسجن، فاستعار- كما قلت آنفا - صورة مادية ملموسة راعى فيها البيئة (المجتمع) والوسط الذي يتكلم فيه (بين هؤلاء السجناء) صورة الرب، وهو هنا السجان ليعلن عن شيء غيبي لا يُرى بالعين؛ ولكن يدرك بالعقل، فهو غائب عن أعيننا، لكنه في البنية التصورية لنا له صورة تصور عظمته سبحانه، فالإشهار هنا يقوم علي استعارة مفهومية أساسها بناء صورة عن اللّه، من خلال عملية الإسقاط السابقة، فتبدو صورة الإله الواحد القهار في الذهن، ونقتنع بها .

ب) النظرية المزج المفهومي:

المزج ملكة عرفانية بمعنى أنها جملة من عمليات طبيعية يقوم عليها اشتغال الذهن بصورة عفوية طبيعية آلية... وقوام هذه الشبكة عدد من العناصر هي الأفضية الذهنية، وعملية الإسقاط ما بين الأفضية

وعمليات المزج والإسقاط الانتقائي والتركيب والإكمال والبلورة، أما الأفضية أربعة وهي: دخلان(أ) و(ب)، وفضاء جامع وفضاء مزج.

وفي ضوء هذه النظرية يمكن تحليل هذا الإشهار كالآتي :

١ـ الأفضية الأربعة:

فضاء الدخلان (أ) الدخل الأول: أرباب متصارعة .

(ب) الدخل الثاني: إله واحد قهار .

يتطابق الدخلان، فكل منهما رب له السيادة والسيطرة وصفة الربوبية لكنه ليس تطابقا تاما، لأن الرب صاحب الدخل الأول في صراع مع غيره من الأرباب، أما الرب صاحب الدخل الثاني فهو واحد قهار لا يصارعه أحد .

الفضاء الجامع: ويجتمع الدخلان في الفضاء الجامع (أ) و(ب) .

الفضاء المزيج: وفيه يتم التوليف بين مكونات الفضاءين الدخلين، فتنشأ عن طريق الاستدلال معان جديدة؛ ما من أثر لها في الفضاءين الدخلين، وهنا تنشأ الحاجة إلى رب بصفات جديدة (قاهر واحد) هو إله يوسف الذي له وحده هذه الصفات التي لم تذكر في الحوار مثل: القوة والعظمة وغيرها.

ويقوم المزج على عدة عمليات هي:

أ- التركيب: وتحدث بإسقاط مضامين كل من الفضاءين الدخلين رأسا في فضاء المزيج، فالدخل الأول يسقط لنا صورة الأرباب في حالة صراع، والدخل الثاني يُسقط لنا صورة رب واحد قهار، تُسقط عملية التركيب هذه الصورتين رأسا في فضاء المزيج فتنشأ علاقات جديدة، لم تكن موجودة في كلا الفضاءين وهما منفصلان فالفضاء المزيج يقوم بتركيب المعاني الجديدة منهما .

فلو نظرنا إلى فضاء الدخل الأول منفصلا لرأينا أربابا متصارعين، وقد أدي هذا الصراع إلى هزيمتهم الواحد تلو الآخر؛ فلا يبقي منهم أحد وبجوارهم أناسا ضعفاء سجناء، هذا مجموع ما يصوره ويمثله الدخل الأول .

أما فضاء الدخل الثاني فبه إله واحد قهار، فكلما صارعه أحد قهره، وهذا لا يمثل صورة الله سبحانه وتعالى العزيز القهار، لكن هذا لتقريب الأمر لعقول هؤلاء السجناء، الذين لا يعرفون في حياتهم سوى السجان الذي يقهرهم .

فينشأ من هذا التركيب في أذهانهم صورة جديدة للرب، لم تذكر في النص الذي معنا، وهي صورة الرب المسيطر سيطرة كاملة على ملكه والحامي لكل من في مملكته، وهذا المعنى يفهم من النص ولم يذكر فيه صراحة، وهما صفتا (السيطرة والحماية)، وهذا كل ما يتمناه السجناء .

ب ـ الإكمال: تقوم عملية الإكمال بإكساء المعاني أو التصورات الجديدة الناشئة جملة من الأبعاد، فالإكمال يقوم بإعطاء المعاني الجديدة جملة من الحدود والأبعاد لنتصور هذه المعاني، فكيف يكون الرب ربا ؟ نفهم ذلك من الحدود والأبعاد التي تعطي لهذا المعنى مستمدة من المعارف العامة والمشتركة والتجربة الجماعية التي في الذاكرة البشرية عن الرب، فالإكمال هو إنشاء لمعان جديدة لا يحملها منطوق الفضاء المزيج .

ج ـ عملية البلورة: وهي تطوير للمزيج من حيث تصوره وتخيله بتوسيع مداه وتفاصيله وأبعاده، وتحميله دلالات مخصوصة رمزية كانت أو غير رمزية، إن هذا يحدث في الصورة الناتجة عن مراحل المزيج السابقة، وهو إعطاء صورة لذلك الرب المقصود في هذا الإشهار يحقق لهم الحماية؛ بالسيطرة على كل من يصارعهم أو يعتدي عليهم.

إن هذه العبارة الإشهارية التي أعلن فيها يوسف عن ربه ضربت على وتر الحاجة الدفينة في داخل السجناء، وهي الحاجة إلى الحماية والأمن، فجعلهم هذا الأمر في شوق لمعرفة كل شيء عن هذا الرب، فانطلق يوسف مستغلا هذه اللحظة، وتلك الحاجة؛ ليصفه لهم في حديث مطول في الآية التالية التي جمعت جُل صفات الله تبارك وتعالى، فقال لهما:

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[يوسف: ٤٠].

ج)النظرية التداولية:

﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩].

التداولية: هي دراسة استخدام اللغة بين الناس وتوظيفها في أغراض شتى، ويقوم البحث التداولي على دراسة :

الإشارة. الافتراض السابق. الاستلزام الحواري. الأفعال الكلامية.

❖**الإشارة:** تبدو في: الإشارة الشخصية: الضمائر: ياء المتكلم، الإشارة المكانية: المكان هنا هو السجن، الإشارة الاجتماعية: علاقة الألفة والمودة في " صاحبي ".

❖**الافتراض السابق:** وجوده معهما في السجن منذ زمن لقوله صاحبي السجن، أنه نبي الله من قبل؛ لهذا يؤخذ كلامه على أنه دعوة لله.

❖ **الاستلزام الحواري:** ما يبدو من سؤال يوسف غير ما يقصده، فهو لا يسأل أيهما خير: أأرباب أم الله ؟ لكنه يريد أن يقرر أن الله الواحد القهار هو المستحق بالعبادة وحده، هذا ما يقصده ويستلزمه الحوار، وقاله المفسرون: إنه استفهام استنكاري فهو يقصد استنكار ورفض التساوي بينهم، وليس السؤال عن أيهما خير كما يبدو من لفظ السؤال.

❖ **الأفعال الكلامية:** هذه العبارة يمكن أن نضعها ضمن :

أفعال الطلبيات: ويدخل في هذا القسم الاستفهام، لأن الاستفهام كما قالوا استخبار، والاستخبار طلب من المخاطب أن يخبرك عن شيء تريد معرفة خبره، وله دليل لفظي يدل عليه، ويتمثل في حرفي الاستفهام: هل والهمزة، وتشمل الأفعال الكلامية الدالة على الاستفهام السؤال.

والغرض الإنجازي من الطلبيات هو التأثير في المتكلم ليفعل شيئا أو يخبر عن شيء، وهذا ما نجده في هذه العبارة من :

١ـ النداء: تبدو قوة الفعل الكلامي الإنجازي هنا في النداء عليهما بصاحبي ليقربهما إلى نفسه، وليشعرا بالمودة والحب لهما في كلامه فيصدقانه .

٢ـ الاستفهام: قوة الفعل الإنجازي في السؤال تبدو في إثارتهما للحوار معه.

وهو استفهام استنكاري كما ذكر المفسرون، وهنا تبدو قوة الفعل الكلامي الإنجازي في جعل المستمع يفكر في اتجاه غير منطوق السؤال لوجود إجابة مسبقة في ذهن المتكلم (السائل) والمستمع، الإجابة: لا الأرباب ليسوا خيرا .

وقفة تأملية لغوية ونفسية مع عبارة (الله الواحد القهار):

لقد جاء هذا الإشهار بهذه الصورة في تلك العبارة العظيمة؛ لتشير إلى مَلِك المُلْك والملكوت؛ مكونة من: اللّه + الواحد + القهار .

تكررت هذه العبارة بهذه الصورة في ستة مواضع من القرآن الكريم لتعلن عن صفتين من صفات اللّه، لا توجدان في أحد ممن ادعى الألوهية، ولم يستطع أحدٌ منهم أن ينسبهما لنفسه + اسم الإله الأعظم (اللّه) .

أولا: (اللّه): اسمه الأعظم الذي لم يطلق على أحد سواه ﴿**رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً**﴾ [مريم: ٦٥]، لقد صرح به سبحانه في موضع التعريف بنفسه والإشهار عنها، فعندما أراد أن يعرف موسى عليه السلام بنفسه، قال تعالى: ﴿**إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمْ الصَّلاةَ لِذِكْرِي**﴾ [طه: ١٤]. لقد كانت هذه اللفظة أفضل الألفاظ وأعظمها، وأدقها في العبير عن نفسه في بناء صوتي ودلالي رائع، كما يبدو بعبارة التوحيد: (لا إله إلا اللّه).

أ ـ التحليل الصوتي لعبارة التوحيد:

فلو قلنا: ما عدد الأصوات الأساسية التي تكوّن هذه العبارة ؟

لقلنا: إنها تتكون من أصوات صامتة: اللام والهاء والهمزة (ثلاثة أصوات)، وأصوات صائتة: الفتحة والكسرة. فيكون مجموعهم: خمسة أصوات.

١ـ الهمزة: صوت حنجري شديد مهموس مرقق، ينطق بإغلاق الأوتار الصوتية إغلاقا تاما يمنع مرور الهواء فيحتبس خلفهما ثم تفتح فجأة فينطلق الهواء متفجرا، فهي صوت: حنجري. انحباسي. انفجاري.

٢ـ الهاء: صوت حنجري رخو مهموس مرقق، ينطق بأن يحتك الهواء الخارج من الرئتين بمنطقة الأوتار الصوتية دون حدوث ذبذبة لهذه الأوتار ويرتفع الطبق ليسد المجرى الأنفي مع وجود حفيف.

٣ـ اللام: صوت لثوي جانبي مجهور ينطق بأن يتصل طرف اللسان باللثة، يرتفع الطبق فيسد المجرى الأنفي عن طريق اتصاله بالجدار الخلفي للحلق مع حدوث ذبذبة في الأوتار الصوتية.

٤ـ الأصوات الصائتة: (الفتحة ـ الضمة ـ الكسرة): أصوات يحدث في النطق بها أن يندفع الهواء في مجرى مستمر خلال الفم والحلق والأنف

دون عائق يعترض مجرى الهواء ليحدث احتكاكا ، وهي أصوات مجهورة كلها يهتز معها الوتران. ويتحدد نوع الحركة بحركة مقدمة اللسان نحو سقف الحنك، أو حركة مؤخرة اللسان نحو السقف. فإن كان اللسان مستويا في قاع الفم مع انحراف قليل في أقصاه نحو أقصى الحنك كانت الفتحة. فإذا تركت مقدمة اللسان تصعد نحو الحنك الأعلى، بحيث يكون الفراغ بينهما كافيا لمرور الهواء بدون احتكاك، أو حفيف والأوتار تهتز كانت الكسرة .

نقاط الاتفاق بين هذه المجموعة الصوتية المكونة لعبارة التوحيد:

١ ـ كلها أصوات يحدث عند النطق بها اندفع للهواء في انسياب .

٢ـ أغلبها أصوات مجهورة تهتز معها الأوتار الصوتية .

نقاط الاختلاف بينها:

١ـ بها صوت انحباسي واحد هو الهمزة ، و له دور في عملية دفع الهواء للخارج كما سنرى .

آلية عملية النطق بالعبارة: يمكن تصور آلية عمل الجهاز الصوتي في النطق بهذه العبارة؛ إذا قمنا بتقسيمها إلي مقاطع صوتية لتوضيح قوة مراكز الطاقة الصوتية فيها، التي تدفع الهواء للخارج وتزود الرئتين بالهواء، وهي :

مقاطع العبارة: لا إله إلّا اللّه >>> لَا/ إ/ لَاه/ إِل/ لَ / للْ / له .

لَا : مقطع من النوع الثاني، منتهي بحركة طويلة مشبعة، يمتد النفس معها.

إ : مقطع من النوع الأول، منتهي بحركة قصيرة ليتصل النطق بما بعده، مبتدأ بصامت (الهمزة) + صائت قصير (الكسرة) وهذا المقطع مركز الطاقة الدافعة للهواء، ونقطة إمداد الرئتين بالهواء، فتتزود بالقوة الدافعة لتنطق باقي الأصوات التالية، فالمقطع قصير والطاقة الهوائية الدافعة القادمة منه كبيرة .

لاه : مقطع من النوع الثالث، بدأ بصامت (اللام) سائل مائع انسيابي تليه حركة طويلة مشبعة تمد الصوت الصائت بنفس طويل (الفتحة الطويلة) ومنتهي بالهاء التي يمتد معها الهواء من الجوف (الحنجرة) بانسياب وبلا عائق فهي صوت رخو مهموس، فلا تحدث معه ذبذبة في الأوتار الصوتية .

إل: مقطع من النوع الثالث، يبدأ بصامت مكسور (الهمزة)، وهي المركز الثاني للطاقة الدافعة للهواء، وإمداد الرئتين بالهواء، فتتزود بالقوة الدافعة للمرة الثانية، منتهي باللام المائعة التي يمتد الهواء الخارج معها في نفس طويل ممتد في انسيابية تامة .

لَ: مقطع من النوع الأول يبدأ باللام المائعة ثم حركة قصيرة (فتحة) .

للْ: مقطع من النوع الثالث، يبدأ باللام تليها فتحة قصيرة واللام مرة أخرى .

له: مقطع من النوع الثالث، يبدأ باللام ثم فتحة قصيرة تليها الهاء .

تكرار بعض الأصوات في العبارة:

اللام: تكررت سبع مرات بكل المقاطع عدا مقطع واحد بالوسط، ومرتين في مقطع، وكأن العبارة لا يوجد بها سوى صوت اللام الانسيابي السائل المائع .

الهاء: تكررت في العبارة مرتين في وسط العبارة وآخرها .

الهمزة: تكررت مرتين بوسط العبارة لتزودها بالهواء والطاقة الدافعة له .

الفتحة: تكررت خمس مرات، مرتان بحركة طويلة وثلاث مرات بحركة قصيرة، مما يوضح أن العبارة يسيطر عليها صوت صائت واسع يمتد معه الهواء منسابا .

الكسرة: تكررت مرتين مع الهمزة .

العلاقة بين هذا التحليل الصوتي والدلالة المعنوية والنفسية للعبارة:

أصوات هذه العبارة ـ كما رأينا ـ انسيابية بينها انسجام صوتي ناتج عن هذه الانسيابية التي تؤدي إلى خروج الهواء ممتدا في نفس طويل، تخرج معه زفرات النفس وضيقها؛ مما يجعل الناطق بهذه العبارة يشعر براحة نفسية لا يعرف سببها، إنه الهواء المنساب معها من كل أصواتها من أولها لآخرها فمن كان في ضيق فليقل: لا إله إلا الله، تسكن بها نفسه وتشعر براحة؛ كأن العبارة تحمل من داخل صدره أطنان الضيق والضجر التي تخيم عليه تكاد تقتله فتخرج مع هذا النفس الممتد عبر أصواتها المختلفة الانسيابية؛ تلك الزفرات والآهات والهم والغم، فكم يرتاح قائلها ! وكم يرتاح من يكررها ! ولا عجب لهذا فاسم الله الأعظم بها يتوجها، ويلبسها لباس الهدى والرحمة، فطوبى لمن قالها مطمئنة بها نفسه، ويا سعد من ناداه بها موقنا بها قلبه ! ويا فرحة من يكررها بليله و نهاره، لا يسأم منها لسانه ! فهي أهم وأعظم وحدات العبارة. فيا قومي قولوا: لا إله إلا الله تهتدوا وتفرحوا وتسعدوا وتؤجروا.

لهذا تحقق هذه العبارة عدة أشياء لقائلها:

١ـ النطق بعبارة التوحيد والشهادة لله بالوحدانية .

٢ـ الراحة النفسية من الضيق بإخراج نفس ممتد، تخرج معه زفرات النفس .

٣ـ أجر ذكر الله بنطق عبارة التوحيد وتكرارها، فهي خير ما قاله النبيون .

ثانيا : الواحد:

الوحدانية في الإله ضرورة تفرضها مصلحة العابد قبل المعبود، لماذا ؟ حتى لا يقع في صراع بين الآلهة المتعددة، فلو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا، فصلاح أمر السماء والأرض آتٍ من الوحدانية، ولولا الوحدانية

لذهب كل إله بما خلق، ولعلا بعضهم على بعض وظلوا في صراع طويل، فالوحدانية شرط الألوهية الحقة؛ بأنه هو الله الواحد فيذكرها مُقْرنا إياها باسمه الأعظم .

ثالثا: القهار:

هذه الوحدانية في الإله تحتاج إلى قوة تحميها وتقهر من يعاديها لتثبت سيطرت الإله على ملكه، وبمقدار اتساع ملكه تكون قوته القاهرة، فمُلْك الله سبحانه وتعالى أكبر من أن تستوعبه عقولنا البسيطة، كذا قوته القهارة فهو القاهر فوق عباده، ومن في الكون كلهم عباده فهو الواحد القهار، وهو قمة الإعلان والإشهار عن الله سبحانه وتعالى .

مواضع هذه العبارة في القرآن الكريم:

١- قال تعالى: ﴿أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩].

٢- قال تعالى: ﴿قُلْ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦].

٣- قال تعالى: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

٤- قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [ص: ٦٥].

٥- قال تعالى: ﴿سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤].

٦- قال تعالى: ﴿لِمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

رأي جديد في النظر لهذه العبارة :

ذهبتُ إلى فراشي فلم أنم، وجاءتني هذه العبارة: (الله الواحد القهار) فبدتْ لي في صورة أخرى، هي أن انظر إليها من آخرها لا من أولها فهي: اسم الإله (الله) << صفة الوحدانية << صفة القهار، فرأيت الصفة الثانية ملازمة للأولى ودالة عليها؛ فكان من دلائل الوحدانية القهر،

فالواحد الأحد لابد أن يكون قاهرا لمن عاداه، أو حاول مشاركته في الوحدانية، وإلا ما كان واحدا فمن تكون له هاتان الصفتان القهر والوحدانية ؟! فنعود في عُجَلَة إلى أول العبارة لنبحث عنه فنجد أن الإجابة موجودة هناك وقد ردت علينا قائلة: بأنه الله، وهو اسم هذا الإله الموصوف بأنه الواحد القهار، فنقول: إن الواحد القهار هو الله، الذي ينادي يوم القيامة قائلا: لمن المُلْك اليوم ؟ فلا يجبه أحد ممن ادَّعى مشاركته في المُلْك أو الوحدانية، فيجيب هو علي نفسه قائلا معلنا ومشهرا عن نفسه: لله الواحد القهار. لقد أكد الإشهار في إعلان الله سبحانه وتعالى عن الذات الإلهية في هذا اليوم بإثبات المُلْك لصاحبه، وتأكيد على أن الوحدانية له وحده سبحانه وتعالى عما يشركون .

فمن سمع آخر كلمة في العبارة (القهار) فقط قبل أن يسمع العبارة من أولها، دفعه فضوله إلى السؤال عن صاحب هذه الصفة، وذلك بالبحث عنه في أول العبارة، ليجد أن القهار نتيجة لتحقق الشرط الأول فيه وهو الوحدانية، ثم يعلم أن هاتين الصفتين لا توجدان إلا في إله اسمه الله، فمن كان اسمه الله لا بد أن يكون واحدا، ولا نعلم أحدا اسمه الله سواه وأن يكون قويا قهّارا، ولا نجد قاهرا قهّارا سواه، سبحانه وتعالى على من سواه، فله المجد والكبرياء .

الإشهار الثاني

الإشهار عن يوسف عليه السلام

ويشمل مجموعة من الأقسام تمثل مراحل حياته هي:

القسم الأول: في صباه (بيع يوسف مرتين لمالك بن ذعر ـ لعزيز مصر)

القسم الثاني: في شبابه (الإشهار الصامت)

القسم الثالث: في رجولته (طلب وظيفة وزير زراعة)

إن المراحل المختلفة من عمر يوسف عليه السلام هي صور من الإشهار المتنوعة كان يوسف فيها:

سلعة تباع أو تشترى أو تكون للعرض فقط، أو تُطْلب لوظيفة ما، أو تَعْرض نفسها طلبا لوظيفة ما، لهذا كان عرض تلك الإشهارات في ضوء هذا التقسيم الشامل لكل مراحل عمره، ولكل نوع منها ما يستلزمه من استراتيجية خاصة به، وتلك ضرورة فرضها طبيعة البحث من تحليل لكل إشهار منعزلا عن غيره بصورة توضح تميزه عما سواه واستقلاليته في آلياته وأدواته الإقناعية.

فبعض هذه الإشهارات قد يستلزم عدم وجود عبارة إشهارية نظرا لطبيعته الخاصة.

والبعض الآخر يستلزم حوارا بين البائع والمشتري وجدالا بينهما، وبعض الإشهار يفضل إخفاء غايته التجارية خلف معان إنسانية، تمثل قيمة إنسانية عالية يحترمها كل إنسان.

ولهذا كان علينا دراسة كل إشهار بصورة مستقلة كما سنرى.

القسم الأول : في صباه :

(البيع الأول ليوسف لمالك بن ذعر) (سلعة يزهدها صاحبها) :

قال تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنْ الزَّاهِدِينَ (٢٠) وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً(٢١)﴾ [يوسف] .

في هاتين الآيتين إشهاران:

الأول: إشهار عن سلعة يزهدها صاحبها .

الثاني: إشهار عن سلعة اشتراها رجل لزوجته .

و الغريب أن السلعة في الإشهارين واحدة، إنها يوسف عليه السلام، باعه إخوته وهم زاهدون فيه، واشتراه رجل لامرأته وهو سعيد متفائل يأمل منه المنفعة والخير، ويرجو أن يكون له ولدا.

هو إشهار لم تُذكر فيه عبارة إشهارية عن تلك السلعة التي تباع؛ لأسباب فرضتها طبيعة هذا الإشهار وملابساته، وستتضح في موضعها من البحث .

إنه ليس إشهارا بالمعنى المعروف، بل هو إخبار عن سلعة بِيْعتْ بثمن بخس ويمكن أن نضعه ضمن الإشهار من باب الإخبار عن عملية بيع تمت بباب السلع المرفوضة من البائع، ولهذا يعد لونا جديدا من الإشهار، حيث يعلن عنها بصورة تختلف عن غيره؛ فهو يريد بيعها للتخلص منها، ولا يريد بيعها للربح، ولهذا فإن هذا النوع من البيع يجب أن تكون له استراتيجية خاصة، حرص إخوة يوسف على القيام بها كما سنرى .

خطة (استراتيجية) البيع :

هذه السلعة ليس الغرض من بيعها الربح، لكن لكي يخلو لإخوة يوسف وجه أبيهم فالغرض من البيع التخلص من السلعة فقط، لهذا وضعوا خطة محكمة هي (كما ذكر المفسرون) ألقوه في الجب وحيدا

فمكث فيه ثلاثة أيام وجلسوا حول البئر ينظرون ما يصنع وما يُصنع به حتى جاءت سيارة، فخرج مع دلوهم الذي ألقوه في البئر لجلب الماء ففرحوا به كسلعة بلا ثمن يدفع فيها ثم يبيعونها ويربحون، وهنا ظهر إخوة يوسف في لحظة فرحهم بوجادتهم ضالة بلا ثمن، ليقولوا هذا عبدنا آبق منا، فباعوهم هذا العبد بثمن بخس، فتبدو عملية التخلص منه طبيعية هادئة إنها عملية بيع قانونية (بائع + مشتر).

وما كان لهم أن يبيعوه؛ إن لم يكن غرضهم التخلص منه فقط، وما كان ليقبل المشتري السلعة ويشتريها؛ إن لم تكن قد أعجبته هذه السلعة! وظن أن فيها الربح أو منفعة ما.

أولا: مع المفسرين واللغويين:

١- تفسير ابن كثير:

قال تعالى مخبراً عما جرى ليوسف عليه السلام في الجب حين ألقاه إخوته وتركوه في ذلك الجب وحيداً فريداً، فمكث عليه السلام في البئر ثلاثة أيام، وقال محمد بن إسحاق: لما ألقاه إخوته في البئر جلسوا حول البئر يومهم ذلك ينظرون ماذا يصنع وما يُصنع به، فساق اللّه له سيارة فنزلوا قريباً من تلك البئر وأرسلوا واردهم، وهو الذي يتطلب لهم الماء فلما جاء ذلك البئر وأدلى دلوه فيها تشبث يوسف عليه السلام فيها فأخرجه واستبشر به وقال: (يا بشرى هذا غلام) أي: يا بشراي، وأسروه بضاعة (أي وأسره الواردون من بقية السيارة) وقالوا: اشتريناه من أصحاب الماء مخافة أن يشاركوهم فيه إذا علموا خبره، قاله مجاهد والسدي وابن جرير وهذا أحد الأقوال في الآية، وقال ابن عباس: أسروه بضاعة: يعني إخوة يوسف أسروا شأنه وكتموا أن يكون أخاهم، وكتم يوسف شأنه مخافة أن يقتله إخوته واختار البيع، فذكره إخوته لوارد القوم فنادى أصحابه: يا بشرى هذا غلام يباع فباعه إخوته، وقوله:

وشروه بثمن بخس دراهم معدودة (يقول تعالى: وباعه إخوته بثمن قليل، قاله مجاهد وعكرمة، والبخس: هو النقص، (أي اعتاض عنه إخوته بثمن قليل، ومع ذلك كانوا فيه من الزاهدين، أي ليس لهم رغبة فيه بل لو سئلوه بلا شيء لأجابوا، والضمير في قوله وشروه عائد على إخوة يوسف وهو رأي ابن عباس ومجاهد والضحاك، وقال قتادة: بل هو عائد على السيارة؛ والأول أقوى لأن قوله: وكانوا فيه من الزاهدين إنما أراد إخوته لا أولئك السيارة لأن السيارة استبشروا به وأسروه بضاعة، ولو كانوا فيه زاهدين لما اشتروه، فترجح من هذا أن الضمير في شروه إنما هو لإخوته، وقوله (دراهم معدودة): عن ابن مسعود رضي اللّه عنه: باعوه بعشرين درهماً، وقال عكرمة: أربعون درهماً، وقال الضحاك في قوله: (وكانوا فيه من الزاهدين) ذلك أنهم لم يعلموا نبوته ومنزلته عند اللّه عزَّ وجلَّ [1].

٢. قال القرطبي:

معنى شروه، وسبب البيع، وثمن السلعة:

قوله تعالى (وشروه): يقال: شريت بمعنى اشتريت، وشريت بمعنى بعت لغة؛ قال الشاعر:

وشَرَيْتُ بُردا ليتني من بعدِ بُرْدٍ كنتُ هَامَهْ

أي بعت، وقال آخر:

فلما شَراها فاضتْ العينُ عبرةً وفي الصدرِ حُزّازٌ من اللومِ حَامِزُ

بثمن بخس: أي نقص؛ وهو هنا مصدر وضع موضع الاسم أي باعوه بثمن مبخوس أي منقوص. ولم يكن قصد إخوته ما يستفيدونه من ثمنه، إنما كان قصدهم ما يستفيدونه من خلو وجه أبيهم عنه. وقيل: إن يهوذا رأى من بعيد أن يوسف أخرج من الجب فأخبر إخوته فجاءوا وباعوه من

(١) تفسير القرآن العظيم: ج٢، ص٤٧٢.

الواردة. وقال قتادة: بخس ظلم، ... وإنما الإشارة فيه إلى أنه لم يستوف ثمنه بالقيمة لأن إخوته إن كانوا باعوه فلم يكن قصدهم ما يستفيدونه من ثمنه، وإنما كان قصدهم ما يستفيدون من خلو وجه أبيهم عنه؛ وعن ابن عباس وابن مسعود باعوه بعشرين درهما أخذ كل واحد من إخوته درهمين وكانوا عشرة؛ ... معدودة: نعت وهذا يدل على أن الأثمان كانت تجري عندهم عدا لا وزنا بوزن [1] .

٣- تفسير الرازي:

معنى شروه وقصة البيع:

قال تعالى: (وشروه بثمن بخس دراهم معدودة)، أما قوله: (وشروه) ففيه قولان: القول الأول: المراد من الشراء هو البيع، وعلى هذا التقدير ففي ذلك البائع قولان:

القول الأول: قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن إخوة يوسف لما طرحوا يوسف في الجب ورجعوا عادوا بعد ثلاث يتعرفون خبره، فلما لم يروه في الجب ورأوا آثار السيارة طلبوهم فلما رأوا يوسف قالوا: هذا عبدنا أبق منا فقالوا لهم: فبيعوه منا فباعوه منهم، والمراد من قوله: (وشروه) أي باعوه، يقال: شريت الشيء إذا بعته، وإنما وجب حمل هذا الشراء على البيع .

مرجع الضمير في شروه:

الضمير في قوله (وشروه) وفي قوله: (وكانوا فيه من الزاهدين) عائد إلى شيء واحد لكن الضمير في قوله: (وكانوا فيه من الزاهدين) عائد إلى الإخوة فكذا في قوله: (وشروه) يجب أن يكون عائدا إلى الإخوة، وإذا كان كذلك فهم باعوه فوجب حمل هذا الشراء على البيع .

---

(١) تفسير القرطبي: ج٥، ص٣٣٨٤.

لماذا اشترت السيارة يوسف ؟

والقول الثاني: أن بائع يوسف هم الذين استخرجوه من البئر، وقال محمد بن إسحاق: ربك أعلم أإخوته باعوه أم السيارة ؟! وهنا قول آخر وهو أنه يحتمل أن يقال: المراد من الشراء نفس الشراء، والمعنى أن القوم اشتروه وكانوا فيه من الزاهدين لأنهم علموا بقرائن الحال أن إخوة يوسف كذابون في قولهم إنه عبدنا وربما عرفوا أيضا أنه ولد يعقوب؛ فكرهوا شراءه خوفا من الله تعالى، ومن ظهور تلك الواقعة، إلا أنهم مع ذلك اشتروه بالآخرة؛ لأنهم اشتروه بثمن قليل مع أنهم أظهروا من أنفسهم كونهم فيه من الزاهدين، وغرضهم أن يتوصلوا بذلك إلى تقليل الثمن، ويحتمل أيضا أن يقال إن الأخوة لما قالوا: إنه عبدنا أبق صار المشتري عديم الرغبة فيه. قال مجاهد: وكانوا يقولون استوثقوا منه لئلا يأبق .

صفات الثمن:

ثم اعلم أنه تعالى وصف ذلك الثمن بصفات ثلاث:

الصفة الأولى: كونه بخسا. قال ابن عباس: يريد حراما لأن ثمن الحر حرام .

الصفة الثانية: قوله: (دراهم معدودة) قيل تعد عدا ولا توزن، لأنهم كانوا لا يزنون إلا إذا بلغ أوقية، وهي الأربعون ويعدون ما دونها فقيل للقليل معدود، لأن الكثيرة يمتنع من عدها لكثرتها .

الصفة الثالثة: قوله: (وكانوا فيه من الزاهدين) ومعنى الزهد قلة الرغبة وأصله القلة .

يقال: رجل زهيد إذا كان قليل الطمع، وفيه وجوه: أحدها: أن إخوة يوسف باعوه، لأنهم كانوا فيه من الزاهدين. والثاني: أن السيارة الذين باعوه كانوا فيه من الزاهدين؛ لأنهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به لا يبالي بأي شيء يبيعه أو لأنهم خافوا أن يظهر المستحق فينزعه من

يدهم، فلا جرم باعوه بأوكس الأثمان، والثالث: أن الذين اشتروه كانوا فيه من الزاهدين. وقد سبق توجيه هذه الأقوال فيما تقدم، والضمير في قوله: (فيه) يحتمل أن يكون عائد إلى يوسف عليه السلام، ويحتمل أن يكون عائدا إلى الثمن البخس والله أعلم [1] .

٤- تفسير الألوسي:

مرجع الضمير في (وشروه): الضمير المرفوع إما للإخوة فشرى بمعنى باع، وإما للسيارة فهو بمعنى اشترى، وجوز أن يكون على هذا الوجه بمعنى باع بناءا على أنهم باعوه لما التقطوه من بعضهم .

مرجع الضمير في (وكانوا فيه): أي في يوسف كما هو الظاهر (من الزهدين) أي الراغبين عنه، والضمير في (وكانوا) إن كان للإخوة فظاهر وإن كان للرفقة وكانوا بائعين فزهدهم فيه لأنهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به لا يبالي بما باعه ولأنه يخاف أن يعرض له مستحق ينتزعه من يده فيبيعه من أول مساوم بأوكس الثمن وإن كان لهم وكانوا مبتاعين بأن اشتروه من بعضهم أو من الإخوة فزهدهم لأنهم اعتقدوا فيه أنه آبق فخافوا أن يخاطروا بما لهم فيه، وقيل: ضمير (فيه) للثمن وزهدهم فيه لرداءته أو لأن مقصودهم ليس إلا إبعاد يسوف عليه السلام وهذا ظاهر على تقدير أن يكون ضمير (كانوا) للإخوة، والجار على ما نقل عن ابن مالك متعلق بمحذوف يدل عليه الزاهدين أي كانوا زاهدين فيه من الزاهدين .

اسم من اشترى يوسف من إخوته، اسم خادم الملك الذي اشتراه منه:

وكان هذا التاجر فيما قيل: مالك بن ذعر الذي أخرجه من الجب، وقيل: غيره. وروي أنه حين ورد به مصر باعه بعشرين دينارا وزوجي نعل

(١) التفسير الكبير: مجلد التاسع، ج١٨، ص ٨٨.

وثوبين أبيضين، وقيل: أدخل السوق للبيع فترافعوا في ثمنه حتى بلغ وزنه مسكا ووزنه ورقا ووزنه حريرا فاشتراه بذلك العزيز الذي كان على خزائن مصر عند ملكها، وقيل: كان خباز الملك وصاحب شرابه ودوا به صاحب السجن المشهور، والمعول عليه هو الأول، واسمه قطفير أو اطفير أو قنطورا، والأول مروى عن ابن عباس [1].

ما نستخلصه من أقوال المفسرين:

بعد أن رأينا بعض آراء المفسرين في هذه الآية؛ ننظر إليها بصورة أخرى كعملية بيع لشيء مبغض من بائعه هو البيع الأول ليوسف لمالك بن ذعر، لقد باعوه إلى هذا الرجل وهم زاهدون لسلعتهم، لهذا كان بناء هذا الإشهار على نحو خاص من الاستراتيجية التي نستخلصها من أقوال المفسرين:

١. ملاحظة لغوية:

أ ـ صوتية:

نلاحظ في اختلاف الروايات في اسم (قطفير أو أطفير) إبدال القاف همزة، أرى أن هذه الرواية ربما ترجع إلى طبيعة اللغة المصرية التي تقلب القاف همزة، حيث اللغة القبطية المصرية ليس فيها صوت القاف، فأبدلت القاف همزة لهذا السبب، كما يحدث في العامية المصرية المعاصرة، فاسم الرجل بالعربية قطفير، والمصرية القبطية أطفير، وقنطورا، وقد سمعت هذا الاسم بطريقة رابعة أُتفوار، قال الألوسي: الأول مروى عن ابن عباس. بما يعنى أن هذه هي الرواية العربية لهذا الاسم، أو قل: هذا هو النطق العربي لها [2].

---

(١) روح المعاني: المجلد السابع، ص٢٨٠.

(٢) انظر مجموع الألفاظ القبطية المتداولة باللهجة العربية العامية: أقلوديوس ي لبيب، مطبعة عين شمس بطريكخانة الأقباط الأرثذوكس بمصر، بدون تاريخ، لا تجد فيها حرف القاف بل حرف الكاف.

ب ـ (دلالية):

أولا : المعنى المعجمي (اشترى):

معجم " ألفاظ القرآن الكريم ":

الشراء والاشتراء: التملك بالمبادلة والمعارضة: شرى يشرى شِرى شِراء ... وللعرب في شروا واشتروا مذهبان: الأكثر شروا بمعنى باعوا، واشتروا: ابتاعوا، وربما جعلوهما بمعنى باعوا فالشراء والبيع متلازمان، وإنما ساغ أن يكون الشراء من الأضداد لأن المتبايعين تبايعا الثمن والمثمن، فكل من العوضين مبيع من جانب ومشترى من جانب [1].

معجم " المفردات في غريب القرآن ":

الشراء والبيع يتلازمان فالمشتري دافع الثمن وآخذ المثمن، والبائع : دافع المثمن وآخذ الثمن هذا إذا كانت المبايعة والمشاراة بناض، وسلعة ـ أما إذا كانت بيع سلعة بسلعة، صح أن يتصور كل واحد منهما مشترياً وبائعاً. ومن هذا الوجه صار لفظ البيع والشراء يستعمل كل واحد منهما في موضع الآخر [2].

ثانيا: في كتب الأضداد:

في دلالة (شروه): وهي معنى باعوه، وقد ذكرتها كتب الأضداد، حيث ذكرت أن معناها: باع، لكن اختصت هذه الكلمة بنوع معين من البيع وهو بيع الحسرة والندم، فمن باع شيئا وندم على بيعه قال: شَرَيْتُ، ومن اشترى الشراء المعتاد معنى الجلب (هو المعنى الأصلي للكلمة) قال: اشْتَرَيْتُ، لهذا قال عن إخوة يوسف (شروه) أي باعوه بيع الندم والحسرة التي ستكشف لهم بعد ذلك، فيقولون في حسرة وندم وأسف واعتراف بالخطأ بعد أن ينعم الله على يوسف (قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم : مجمع اللغة العربية القاهرة، ١٩٦٨م، مادة شرى،ج٤، ص٢٢، ٢٣.
(٢) المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصبهاني، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٠م ، ص ٣٨١.

كُنَّا خَاطِئِينَ) فكان اللفظ القرآني أدق في التعبير عن حالهم بعد البيع من الحسرة. ويظهر اختلاف المعنى من خلال هذا الشكل:

- ❖ الصيغة الأولى (اشتري): بمعنى جلب لنفسه شيئا ما .
- ❖ الصيغة الثانية (شرى): بمعنى باع + ندم علي بيعه .
- ❖ وقد تتبادل الصيغتان موقعهما الدلالي؛ فتحل كل منهما محل الأخرى .

ويظهر هذا الاختلاف في كتب الأضداد:

قال أبو حاتم السجستاني: وقالوا: اشتريت الشيء، وأعطيت ثمنه، وقد يقال اشتريت الشيء إذا بعته، وقالوا شريت الشيء بعته واشتريته، وبعته أوضح الوجهين، وفي القرآن (الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة) أي يبيعون (ومن يشرى نفسه) يبيعها... ويكون البائع المشترى، والمشترى البائع والشاري المشتري والبائع [1] .

قال ابن السكيت: " قال: شريت الشيء: بعته، وشريت الشيء: اشتريته، قال الله عز وجل: ﴿وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ٧]. أي يبيعها، قال الشماخ، وذكر رجلا باع قوسا:

فلما شَراها فاضتْ العينُ عبرةً ... وفي الصدرِ حُزّازٌ من اللومِ حَامِزُ

أي شراها: باعها حزاز من الحزاز يجدها الرجل في نفسه، غيظ وغم من لومه نفسه... وقال ابن مُفرَّغ وقد باع غلاما له فندم علي بيعه:

وشَرَيْتُ بُردا ليتني ... من بعدِ بُرْدٍ كنتُ هَامَهْ [2]

٢. عناصر هذا الإشهار من كلام المفسرين:

(١) السلعة: يوسف .

(٢) البائع: إخوة يوسف (في أغلب الآراء).

---

(١) الأضداد: أبي حاتم ، دار النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩١م، ص١٨٠ .

(٢) كتاب الأضداد: ابن السكيت، مكتبة الثقافة الدينية، ص١٠٠ -١٠٢، وانظر الأضداد لابن الأنباري، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٧م، ص٧٢ -٧٣، وانظر كتاب الأضداد: لأبي محمد التوزي، مؤسسة إيف للطباعة والتصوير، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٣م، ص٤٠.

(٣) المشتري: مالك بن ذعر.

(٤) الغرض من البيع: التخلص من يوسف.

(٥) العبارة الإشهارية: لا توجد عبارة إشهارية يعلن فيها البائع عن سلعته لأن السلعة مسروقة؛ فبيع الحر بلا ذنب ممنوع، لأنه سرقة لحريته ولذا لا يعلن عنها، بل يبيع السلعة في خفية من صاحبها، فلو علم ذلك أبوهم ما تركهم يفعلون ذلك.

(٦) استراتيجية البيع: ترك السلعة معروضة في السوق كأنها بلا صاحب، حتى يمر عليها المشتري فيصطدم بها، فإن أعجبته وأقبل عليها ظهر البائع ليساوم المشتري على السعر، ويكون متساهلا معه ليتم الصفقة في عجلة.

تتلخص استراتيجية بيع السلعة المكروهة أو المسروقة في النقاط الآتية :

أولا: عدم الإعلان عنها فلا يوجد إشهار لها؛ لأن ما سيقال كذب وسيفضح.

ثانيا: وضع السلعة في طريق المشتري ليصطدم بها؛ فيلتقي بها عفويا.

ثالثا: المتابعة الجيدة للسلعة عن كسب دون الظهور على مسرح الحدث.

رابعا: القراءة الجيدة لرد فعل المشتري عند نظره للسلعة (قال يابشرى).

خامسا: الاستفادة من عنصر الوهلة الأولى والإعجاب بالسلعة، فيظهر هو.

سادسا: الاستعداد للإجابة الفورية التلقائية علي المشتري وعدم الارتباك نحو الإجابات: هذا عبدنا / أبق منا / وهو يشبهنا في هيئة الحر؛ لأنه ربي معنا. يقبل المشتري هذه الإجابات، وإن لم يصدقها، لأنه أُعجب بالسلعة، وبهرته.

سابعا: عدم الجدال في الثمن وسرعة البيع، حتى لا يعيد المشتري التفكير.

ثامنا: إظهار الحرص علي مصلحة المشتري وتحذيره (لا يسافر إلا مقيدا).

تاسعا: سرعة تقسيم الثمن بالعدل وبلا صراع، فتكتشف الصفقة ويُفْضحوا.

ثانيا: مع الدراسات اللغوية الحديثة:

١ـ الإشهار والتواصل:

الصورة بديلا للعبارة الإشهارية:

لم يستخدم هذا الإشهار اللغة كوسيلة للتواصل بين البائع والمشتري، إنما عمد إلي الصورة وجعلها وسيلة التواصل وتركها تتكلم، وتعبر عن هذا المنتج المعروض للبيع، وقد كانت الصورة أبلغ من اللغة في التعبير عنه، والفرق واضحا بين اللغة والصورة، أي بين البعد اللساني بشقيه المكتوب والمنطوق، والبعد البصري باعتباره حاملا للمضمر الإيدولوجي، فكما يقول د.سعيد بنكراد: " الوصلة تتحقق أساسا من خلال فضاء منتقى بعناية فائقة، هو ما سيشكل مسرح الأحداث المقبلة التي تدور كلها حول المنتج، وتتميز هذه الروابط بالتعقيد والتركيب واللا استقرار، إنها الضابط للحدود الفاصلة بين المدرك كشيء متحقق وبين المتمثل كواجهات ممكنة الوجود في وجدان الذي يتلقى الصورة"[1].

ويدخل البعد البصري هنا متمثلا في إعمال البصر في إدراك الصورة الكائنة أمام مالك بن ذعر الذي ورد البئر؛ فتقوم بدور أكبر من دور اللغة في عملية التمثيل، لأن الشيء المتخيل (يوسف) أصبح الآن أمام العين، وهنا تصمت كل كلمات اللغة لتنطق الصورة بكلام تعجز عنه

(١) استراتيجيات التواصل الإشهاري: ١٦٨.

الكلمات، فإذا كان للكلمات سحر فسحر الصورة يفوق سحر الكلمات التي تصف فقط وتفوق التمثيل العقلي، وما ينشأ عن الكلمات في البنية التصورية للمتلقي من صور متخيلة؛ فالصورة المكونة بالبصر متمثلة الآن أمام العين، قد فاقت ما يمكن أن يتخيله أي إنسان يلقي دلوه فيخرج له الماء، فإذا به أمام عبد قادم إليه من قعر البئر الذي في وسط الصحراء بطريق مهجور نادرا ما يسلكه أحد؛ وهنا تدخل الصورة بآلياتها الإقناعية القاهرة على ذهن المتلقي؛ فتدمر كل تصور سابق فيه لتبنى صورة جديدة حقيقية واقعية ملموسة صورة يوسف تُرى بالعين لا تتصور بالعقل فتسحرهم بجمال صاحبه عليه السلام .

يمكن تلمس عمل الصورة المتمثلة أمام العين (صورة يوسف) في عقل مالك بن ذعر قبل الكلمات، بدون النطق بأي كلمة في هذه النقاط الآتية وهي :

١- الظهور المفاجئ لإنسان قادم في الدلو من قعر بئر مهجورة، حيث يتوقع الوارد إلى البئر أن يخرج في الدلو بعض الماء، فكانت المفاجأة وهي ظهور إنسان متعلقا بالدلو مما جعله يصرخ في صيحة انفعالية، لم يستطع قط أن يكتمها: (يا بشرى هذا غلام) نتيجة لعنصر المفاجأة وشدة جمال من خرج من البئر، فلم يصرخ بصيحة فزع أو خوف أو حسرة بل بالبشرى لفرحته .

٢- صورة هذا العبد التي يكسوها التعب والإعياء والحزن وآثار البقاء في قعر البئر ثلاثة أيام، لم تخدع الناظر الحصيف صاحب الفراسة العالم بأحوال الناس؛ ولم تمنعه أن يقول: ليس هذا عبدا، ليست تلك سمة العبيد، لقد سبقته الصيحة الانفعالية لتقول هذا قبل الكلمات، قد كانت أسئلة مالك بن ذعر وكلماته السابقة رد فعل لقولهم له: هذا عبدنا آبق، وردوا عليها قائلين: إنه رُبِّي في حجورنا وتخلق بأخلاقنا

وتأدب بأدبنا ، فقال: ما تقول يا غلام ؟ قال: صدقوا (خوفا منهم) تربيت في حجورهم وتخلقت بأخلاقهم، فقال مالك: إن بعتموه مني اشتريته منكم فباعوه منه [1] قَبِل مالك كلامهم على الرغم من كذبهم؛ لأنه علم بفراسته ما لم يعلموا ، وقراء ما كتب على وجه يوسف، ما لم تقله الكلمات .

٣ـ يظل للصورة سحرها الخاص في نفس مالك الذي ظهر في الصيحتين السابقتين؛ معلنا نجاح الصورة في الإقناع بالمنتج أكثر من الكلمات فنتج عن ذلك إتمام الصفقة، فكانت عبارة مالك لهم أكبر إشهار عن المنتج وهي: (إن بعتموه مني اشتريته منكم) أي طلب المشتري شراء السلعة التي لم يُعلن أصحابها عن بيعها ، وهو قمة النجاح في البيع بطلب المشتري السلعة.

وربما لم يكن في ذهن إخوة يوسف بيعه، ولكن عرض مالك بن ذعر عليهم بطلب الشراء جعلهم يفكرون في بيعه، إنه إشهار صامت، كانت السلعة أكبر مشهر عنها أي إنها هي التي تعلن عن نفسها كما يقول الباعة المتجولون في النداء على سلعهم: الحلو بالعين يا حلاوة، أي إن الشيء الحلو يعرف بالعين، فجمال السلعة يعرفه المشتري البارع بالنظر إليها فقط، وهذا ما حدث في أمر يوسف، فقد عرفه مالك بالنظر إليه فقط؛ وهو ما قلته عنه آنفا من سحر الصورة الذي دفع مالك لطلب شراء السلعة .

٢ـ الهدف غير المعلن عند البائع والمشتري:

إننا أمام هدفين لم يُعلن عنهما ، فكل من البائع والمشتري لديه غاية من إتمام هذه الصفقة، لكن لم يعلن أحد منهما للآخر عن غايته. فالبائع (إخوة يوسف) لديهم غاية؛ هي التخلص منه بأن يسافر إلى

(١) تفسير القرطبي: ج٥، ص٣٣٨٣.

مكان بعيد ولو بلا ثمن. والمشتري مالك بن ذعر لديه رغبة من وراء إتمام الصفقة هي الربح وقد عاين السلعة وفحصها بعين التاجر الذي يسعى من وراء تجارته للربح، وقد رآها سلعة جيدة لذا طلب شراءها على الرغم من أنها غير معروضة للبيع، فهو تاجر ويقصد الربح وهؤلاء التجار يفكرون ألف مرة قبل الإقدام على شراء سلعة ما، فإذا فعل فهذا يعني أنه فحصها جيدا ووصل إلى نتيجة هي أن هذه السلعة ستربحه كثيرا، وكلا الهدفين كانا عنصرا أساسيا في نجاح الصفقة، فالبائع لا يفكر في مقدار ما سيُدفع في السلعة لأنه يكرهها ويريد الخلاص منها، والمشتري حريص على شراء السلعة؛ لذا حرص المشتري على كتابة أي تدوين ذلك في صحيفة حتى لا يرجع البائع في بيعه (كما يقول المفسرون) ضمانا لحقه و رغبة في تأكيد البيع وعدم التراجع فيه .

٣ ـ الجانب النفسي في الإشهار:

ظهر الأثر النفسي في هذا الإشهار في تأثير البائع على المشتري في الآتي:

أ ـ الدعوة غير المباشرة للشراء: بإثارة لذة السعادة بإيجاد عبد بلا صاحب في هذا البئر، فيصيح: يا بشرى. سعادة وفرح بما وجد، وهذا إثارة لسعادته .

ب ـ التأكيد على صحة فراسته: وتلك سعادة يشعر بها الفرد عند نجاح رأيه أو تصوره؛ عندما قال مالك لهم عن يوسف: هذا ليس سمة العبيد، فقالوا: نعم، فهو قد رُبّي في حجورنا وتخلق بأخلاقنا .

٣ـ التعبير باللغة المنطوقة وغير المنطوقة:

أ ـ اللغة المنطوقة:

وظف هذا الإشهار اللغة ممثلة في ألفاظها في التعبير عن سلعته، والتعبير هنا عن السلعة لم يأت في شكل عبارة إشهارية، ولكن في

إخبار عن عملية بيع، نعرف منها كيف تم البيع، وبعض العبارات التي قيلت، ويمكن إدخالها ضمن العبارة الإشهارية، نحو :

عبارة: يا بشرى، فهي تعد إشهارا عن سلعة ثمينة وقيّمة وجدها الرجل، فصاح معلنا عن عظمة ما وجد وشعوره بالسعادة بتلك الوجادة .

عبارة: وأسروه بضاعة، فقد أشارت إلى:

١ـ سعادة هؤلاء القوم بما وجدوا .

٢ـ حرصهم على إخفائه، نظرا لقيمته.

٣ـ أملهم في الربح منه باعتباره بضاعة سيبيعونها، ويكسبون المال منها .

عبارة: وشروه، أي باعوه؛ ولكنه بيع الحسرة والندم .

عبارة: بثمن بخس، ومعناها أنه بيع بثمن منقوص ظالم، لأنه أقل من قيمته .

عبارة: وكانوا فيه من الزاهدين، أنه سلعة يبغضها صاحبها، وهو لون جديد من البيع، يسعى البائع فيه إلى الخلاص من سلعته، وليس الربح .

خصائص هذه اللغة:

جاءت اللغة في جمل قصيرة، منها جملة نداء في شكل صيحة تعبر عن السعادة، وباقي الجمل خبرية قصيرة، نحو: وشروه/ بثمن بخس/ دراهم معدودة/ كانوا فيه من الزاهدين/ أسروه بضاعة .

ب. اللغة غير المنطوقة:

١ـ اللغة الانفعالية:

قد أشار القرطبي إلى الانفعال الموجود في هذه العبارة من خلال صيحة النداء (يا بشرى) قال: " يا أيتها البشرى هذا حينك وأوانك. المعنى في نداء البشرى: التبشير لمن حضر، وهو أوكد من قولك تبشرت،

كما نقول: يا عجباه، أي يا عجب هذا من أيامك وآياتك فاحضر، هذا مذهب سيبويه والسهلي... ومعنى النداء ها هنا التنبيه: أي انتبهوا لفرحتي وسروري [1]، هذا تحليل رائع من القرطبي لحالة مالك بن ذعر الانفعالية؛ عندما وجده متعلقا في الدلو فصاح (يا بشراي) فقد أظهرت هذه الصيحة الطاقة الانفعالية التي بداخل مالك من شدة الفرح، وهي أقوي من قوله: إني فرح سعيد شديد السعادة، فهي صيحة أغنتْ عن ألف كلمة فرح.

سبب هذه الصيحة: لقد كان سبب صيحة مالك (كما يظن إخوة يوسف) هو الفرحة بالوجادة، أي صيحة انفعال باللقيطة قادمة من اللاشعور، ولهذا لم يتكلموا عن ثمن السلعة، بل أثبتوا ملكيتهم لها أولا، فقالوا: هذا عبدنا آبق فوافقهم مالك الرأي ولم تعترض، بل عرض عليهم الشراء لأن الانفعال الذي بداخله آت من جهة أخرى، هي جهة انفعال الفرح والإعجاب والانبهار بالسلعة، لهذا يحاول امتلاكها، إننا أمام انفعالين مختلفين: انفعال وصل إلى ذهن البائع وليس صحيحا، وهو أنه أثار في نفس المشتري انفعال الفرحة بإيجاد لقيطة، والثاني: انفعال الإعجاب والانبهار بالسلعة، وهو ما حدث فعلا في نفس المشترى، فلم يسأل أو يجادل في السعر ولا في ملكيتهم له لكن سأل عن المنشأ، فقال: ما هذا بسمة العبيد ليتحقق مما وصل إلى ذهنه من أن هذا ليس عبدا بل هو سيد حر، ولهذا سيربح منه إذا باعه الكثير.

٢ـ اللغة الرمزية:

بهذا الإشهار كلمات ترمز إلى معان لم ينطق بها المتكلم، منها: " يا بشراي " رمزت إلى الفرحة والسعادة بما وجد، و " أسروه بضاعة " رمزت إلى خوفهم على ما وجدوا أن يؤخذ منهم، و " بثمن بخس " رمزت إلى الظلم الواقع على يوسف من هذا البيع الجائر، " كانوا فيه من الزاهدين " رمزت إلى كرههم لسلعتهم التي يبيعونها.

(١) تفسير القرطبي: ج٥، ص٣٣٨٣.

الفضاء الذهني:

إن الفضاء الذهني للمشتري عاجز عن العمل؛ فالصورة القائمة أمام عينه لم تعط فرصة لخيال المشترى أن يعمل فيتخيل ويتصور غلاما أو عبدا أجمل وأفضل مما أمامه، فقد سحره من أمامه (يوسف) وشل تفكيره وأوقف عمل ذهنه عن أن يتخيل شيئا آخر في حضرة يوسف، فظل متجمدا أمام الصورة في حالة انفعالية عبرت عنها صيحته (يا بشري) .

فما كان في فضاء مالك عند خروج يوسف من البئر :

١. ماء يشربه .

٢. ولو كان إنسانا فسيكون متعبا عليه غبار البئر وآثاره، يجعله يعرض عنه.

الفضاء الجديد هو فضاء بنتْه الصورة في ذهن المتلقي مع أول وهلة يرى فيها الغلام صورة إنسان أجمل ما خلق الله، فبهرته وحطمت الصورة المتوقعة السابقة، وظهرت آثارها في صيحته .

ثالثا : النظريات اللغوية الحديثة :

أ. النظرية المزج المفهومي:

تقوم نظرية المزج المفهومي بتحليل العمليات العقلية التي تمت في داخل العقل؛ لتتم عملية البيع، فالذي أمامنا كسلعة هو يوسف وبائع هم إخوته وطالب للسلعة هو مالك، فيقوم البائع باستخدام وسائل الإقناع المختلفة لإقناع المشتري بالسلعة، إذن فالعملية العقلية الإقناعية تتم في ذهن المشتري، أما البائع فهو الساحر الكبير الذي يعمل على إقناع المشتري بالسلعة ومحاولة تغييب كثير من الحقائق عن السلعة لدى المشتري، بل تغييب عقل المشتري حتى يقتنع بالسلعة. لهذا السبب سأدرس عمليات المزج المفهومي التي تتم في عقل المشتري (مالك بن ذعر) وذلك من

خلال عدة عمليات عقلية هي: البدء بالجمع بين الدخلين المختلفين (أ)، (ب) حيث (أ) دخل العبد الذي يمكن أن يجده أي مسافر في قعر بئر، بما عليه من أوساخ وما هو عليه من خوف وكآبة، (ب) دخل الشخص الذي خرج مع دلو مالك، وما عليه (بجانب الأوساخ والخوف) من حسن وجمال وبهاء ووقر الأسياد. تدخل الصورتان من خلال الدخلين إلى الفضاء الجامع حيث نجمع بينهما فيه، فتحدث عملية الإسقاط الذهني بينهما بالمقابلة بين السمات الانتقائية لهما، فتحدث عملية المزيج على مراحل متتالية في شكل عمليات داخل هذا الفضاء من تركيب وإكمال وبلورة، التي تنتج عنها صورة جديدة لهذا الشخص، ظهرت في هذه الصيحة، هي أن هذه السلعة ربيبة بيت النبوة والكرم والسيادة، بما لهم من أخلاق ومكارم، كل هذه المعاني قرأها مالك في وجه يوسف رغم ما عليه من غبار البئر، إنها نور من الله يطغى علي كل نور، ويظهر من وراء كل الغيوم، لتقول لمالك: ليس هذا عبدا، وهو المعنى الذي وصل إلى رأسه من خلال عملية المزج هذه. ويمكن تصور هذه العملية من هذا الشكل:

دخل (أ) عبد في قعر البئر ـ >> فضاءالدخلين ـ > فضاء جامع ـ > فضاء مزيج (تركيب. إكمال. بلورة) ـ > سيد

دخل (ب) يوسف في البئر ـ >>

تمت عملية المزج المفهومي في ذهن مالك عند النظر إلى يوسف، فخرجت بهذا المعني الجديد، أنه ليس هذا عبدا بل هو سيد حر كريم، ابن الكرام.

ب. النظرية العرفانية:

يظهر عمل النظرية العرفانية في بيان كيفية بناء صورة للسلعة (يوسف) في البنية التصورية للمتلقي (مالك بن ذعر) وهذا ما يقوم عليه

عمل النظرية هنا، فقضية ثمن السلعة أو صاحبها؛ لا يدخل ضمن عمل النظرية الآن، بل بعد فحص السلعة أولا، ثم قبولها والاقتناع بها من طرف المشتري .

لهذا نجعل موضع تطبيق نظريتنا هنا هو العملية العقلية التي تمت في عقل المشتري في لمح البصر، فخرج منها باقتناع تام بالبضاعة وعرض الشراء على أصحابها بعد تمام هذه العملية العقلية التي تجرى في عقل كل تاجر مقبل على شراء سلعة جديدة بهرته، حيث يقدر في عقله قيمتها وسعرها ومدى حاجة السوق لها وكيف يسوقها وكم سيربح منها في إطار ذلك يتم تحديد سعر لها في عقله كحد أقصى، ثم المساومة عليه والنظر في أوراق ملكيتها وبلد المنشأ وشركة الإنتاج .

آلية عمل النظرية:

تبدأ عملية الإسقاط المفهومي للمعارف المتعلقة بمجال (المصدر) على المعارف المتعلقة بمجال (الهدف) لفهم مجال الهدف من خلال المعارف المتعلقة بمجال المصدر؛ لبناء تصور جديد في الذهن لهذا الشيء الذي يراه لأول مرة.

هذا الشيء الذي تتم له عملية بناء تصور في الذهن هو يوسف عليه السلام، فمن خلال عملية إسقاط للمعارف المتعلقة بالمصدر (عبد في قعر بئر) على المعارف المتعلقة بالهدف (يوسف في لحظة خروجه من البئر) لتبنى له صورة ذهنية جديدة في البنية التصورية لمالك، صورة الجلال والعظمة والوقار، فيراه بصورة مختلفة عما استقر في ذهن الحضور (إخوة يوسف) الذين يرونه منافسا لهم في حب أبيهم فقط. فتتم عملية الإسقاط الانتقائي في الذهن بين المجالين بالمقابلة بينهما، قد استقر في البنية التصورية لذهن مالك صورة العبد بأبعادها: الحركية والسلوكية والملامح الوجيهة والطباع النفسية وطريقة الكلام، كإطار عام يضع

فيه هذا العبد الخارج من البئر، فتتم عملية المطابقة بينهما في لمح البصر، فيبدو نقاط الخلاف والاتفاق بينهما. ثم تخرج النتيجة الفورية لهذه العملية قائلة: ما هذا بسمة العبيد .

وهنا لا تختفي من التقدير الأغطية الخارجية المتمثلة في غبار على الثياب أو إعياء على البدن؛ فالرجل ينظر إلى الجوهر ويبحث عنه وقد وصل له، فقل ما شئت لي في وصفك له فقد عرفته أكثر منك، ورأيت فيه ما لم تره .

هذا الأمر يحدث لنا كثيرا، أتذكر عندما كنا نسير معا وقلت لك: أهذا فلان ؟ فدققت النظر برهة ثم قلت: لا إنه يشبهه فقط، ففلان أكثر طولا وأعرض منه، إن هذه البرهة هي لحظة القيام بالعملية العقلية العرفانية، من المقابلة بين صورة فلان التي في الذهن وصورة من يشبهه، فتتم في تلك البرهة عملية المقابلة بإسقاط المعارف المتعلقة بفلان من الذاكرة؛ على صورة من يشبهه الواقف أمامنا فتكون النتيجة: ليس كذلك بل يشبهه، وهذا ما حدث في ذهن مالك بن ذعر فخرج بالنتيجة السابقة. إنها حقا عملية عقلية محضة .

ج. النظرية التداولية:

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٩) وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنْ الزَّاهِدِينَ (٢٠)﴾ [يوسف] .

التداولية: هي دراسة استخدام اللغة بين الناس وتوظيفها في أغراض شتى، لو نظرنا إلى هذا الإشهار لوجدنا أنه عبارة عن إخبار عن عملية بيع جاءت في عبارات إخبارية تشير لذلك، نحو: وأسروه بضاعة، وشروه بثمن بخس ودراهم معدودة، يمكن دراستها في ضوء النظرية التداولية وقوانينها .

يقوم البحث التداولي على دراسة: الإشارة. الافتراض السابق. الاستلزام الحواري. الأفعال الكلامية .

١ـ الإشارة: تبدو هنا في: الإشارة الشخصية، نحو :

أ ـ الضمائر: ياء المتكلم (يا بشراي)، وهاء، وواو الجماعة (أسروه ـ وشروه)

ب ـ الإشارة المكانية: المكان هنا مكان البئر (وألقوه في غيابات الجب) .

ج ـ اسم الإشارة: هذا غلام إشارة إلى يوسف .

٢ـ الافتراض السابق: حاجة هؤلاء المسافرين إلى الماء فأرسلوا ساقيهم، ما يفهم من قوله (زاهدين) الكره السابق على عملية البيع لسلعتهم .

٣ ـ الاستلزام الحواري: أن يقول الساقي: يا فرحتي لقد وجدت غلاما، وقد فهم كل هذا من صيحة الفرح: يا بشراي وإن لم يقل ذلك، أو أن تكون هناك سلعة (يوسف) وثمن يدفع فيها (دراهم) وأن تكون مغبونة لأنها بيعتْ بيع ظلم (بخس)، وأن يكون قد بيع فعلا (شروه)، وأن يكون السعر قليلا لأنه دراهم تعد ولا توزن (دراهم معدودة) .

٤ ـ الأفعال الكلامية: هذه العبارة (وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين) يمكن أن نضعها ضمن الأفعال الإخباريات، فهي إخبار عن عملية البيع وسعر السلعة المباعة، مع إشارة ضمنية لقيمة السلعة في مقابل ما دفع فيها، والحالة النفسية للبائع عند البيع .

القوة الإنجازية في الفعل (شروه) تبدو في الإخبار عن بيع الحسرة والندم، وإلا لقال الحق هنا: باعوه، فكانت (شروه) أقوى لحملها معنيين: البيع والندم .

الغرض الإنجازي لهذا الفعل هو نقل الواقع نقلا أمينا ، فبه يتحقق شرط الإخلاص وبشرط الإخلاص يكون الفعل أنجز إنجازا ناجحا أو تاما ، وقد حدث ذلك في تلك العبارة لأن الذي أخبرنا هو الله سبحانه وتعالى ، ومن أصدق من الله قيلا ومن أصدق من الله حديثا ؟!

القسم الثاني : (البيع لعزيز مصر)

سميته : (سلعة يرجو منها المنفعة)

قال تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً﴾ [يوسف: ٢١] .

مقدمة :

هذا البيع الثاني ليوسف ، فقد أشتراه عزيز مصر قطفير من مالك بن ذعر ، ليقدمه لزوجته راجيا منه المنفعة أو أن يكون ولدا لهما ، وقد صدقت فراسته فيه فكان نفع يوسف عاما على كل أهل مصر ، ببركة هذا النبي الكريم ابن الكرام عليه السلام ، ويتمحور الإشهار هنا حول تلك العبارة التي قالها الرجل لزوجته (أكرمي مثواه عسي أن ينفعنا أو نتخذه ولدا) ، وهذا البيع أوضح في الدلالة على الإشهار من سابقه ، فقد تضمن نصا قرآنيا إشهاريا عن ذلك البيع هو تلك العبارة الإشهارية التي يُطْلع فيها الرجل زوجته على ما أشتراه من السوق ، كما يفعل كل الرجال محاولا إقناعها بقيمة صفقته التي أجراها ، كأنه يخشى ألا تقبلها ، فهو هنا بائع يقدم سلعته للمشتري الذي قد يرفضها أو يقبلها ، وفي الحالة هذه يكون ذلك الرفض في شكل لوم وعتاب له من زوجته على شراء ما لا قيمة له ولا يرجى منه نفعا ، فبادرها هو معلنا عن سلعته وقيمتها النفعية ، ماسا حاجة نفعية دفينة داخلها في مكان دقيق ، فلبىّ به هذه الحاجة التي في نفسه ونفسها وهو حاجتهما إلى ولد .

أولا : مع اللغويين والمفسرين :

مع اللغويين في تفسير معنى " مثواه "[1] :

في المحكم والمحيط الأعظم: " ثَوَيْتُ بالمكان: وثويته ثواءً، وثُوِيًّا... وأَثْوَيْتُ به: أطلت الإقامة به... وقوله تعالى (إنه ربي أحسن مثواي)[2] أي: إنه تولاني في طول مقامي "[3] .

في الوجوه والنظائر للدامغاني: " تفسير مثوى على ثلاثة أوجه (مأوى. منزل. الإقامة) مثوى يعني: مأوى في قوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ**﴾[محمد: ١٩]... والوجه الثاني، مثواه يعنى: منزله، فذلك قوله تعالى في سورة يوسف (**أكرمي مثواه**) يعنى منزله، وقال أيضا (**إنه ربي أحسن مثواي**) يعنى أحسن منزلي، والوجه الثالث: المثوى يعنى: الإقامة، فذلك قوله تعالى: ﴿**وَمَا كُنتَ ثَاوِياً فِي أَهْلِ مَدْيَنَ**﴾[القصص: ٤٥]، يقول يا محمد لم تكن مقيما فتعلم كيف كان أمرهم، فتخبر أهل مكة بأمرهم وشأنهم[4] فالمعنى المقصود بـ (مثواه) أي أكرمي منزله عندنا .

مع المفسرين:

تفسير القرطبي:

الاشتراء هنا بمعنى الاستبدال، إذ لم يكن ذلك عقدا... أكرمي مثواه، أي منزله ومقامه بطيب المطعم واللباس الحسن، وهو مأخوذ من ثوى بالمكان أي أقام به... عسى أن ينفعنا، أي يكفينا بعض المهمات إذا بلغ (أو نتخذه ولدا) قال ابن عباس: كان حصورا لا يولد له، وكذا قال ابن إسحق: كان قطفير لا يأتي النساء ولا يولد له... قال عبد الله بن

---

(١) الكلمة التي تحتاج إلى توضيح في هذه الآية هي (مثوى).
(٢) سورة يوسف: ٢٣.
(٣) المحكم والمحيط الأعظم: مادة ثوى، ج١١، ص١٩٨ ـ ١٩٩.
(٤) الوجوه والنظائر: الدامغاني، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٩٩٥م ، ص٢٢٢ /٢٢٣

مسعود: أحسن الناس فراسة ثلاثة العزيز حين تفرس في يوسف فقال: عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا... [1] .

تفسير الرازي:

قوله: (أكرمي مثواه) أي منزله ومقامه، وقال المحققون: أمر العزيز امرأته بإكرام مثواه دون إكرام نفسه، يدل على أنه كان ينظر إليه على سبيل الإجلال والتعظيم... ولما أمرها بإكرام مثواه علل ذلك بأن قال (عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا) أي يقوم بإصلاح مهماتنا، أو نتخذه ولدا لأنه كان لا يولد له ولد وكان حصورا [2] .

تفسير الألوسي:

(وقال الذي اشتراه من مصر) فهذا الشراء غير الشراء السابق الذي كان بثمن بخس... وكان الملك يومئذ الريان بن الوليد العمليقي ومات في حياة يوسف عليه السلام بعد أن آمن به فملك بعده قابوس بن مصعب؛ فدعاه إلى الإيمان فأبى .

(أكرمي) أي اجعلي محل ثوائه وإقامته كريما أي حسنا مرضيا، وهذا كناية عن إكرامه عليه السلام نفسه على أبلغ وجه وأتمه لأن من أكرم المحل بتنظيفه وفرشه ونحو ذلك فقد أكرم ضيفه بسائر ما يكرم به... (عسى أن ينفعنا) في قضاء مصالحنا إذا تدرب في الأمور وعرف مجاريها (أو نتخذه ولدا) أي نتبناه ونقيمه مقام الولد، وكان فيما يروي عقيما.. وكان هذا القول من العزيز لما تفرس فيه من مخايل الرشد والنجابة [3] .

عناصر الإشهار:

يتكون هذا الإشهار من:

---

(١) تفسير القرطبي: ج٥، ص٣٣٨٩.
(٢) التفسير الكبير: المجلد التاسع، ج١٨، ص٨٩.
(٣) روح المعاني: المجلد السابع، ص٢٨٣.

١ ـ السلعة: يوسف عليه السلام . ٢ـ البائع: عزيز مصر .
٣ـ المشترى: زوجة عزيز مصر . ٤ـ الثمن: إكرام مثوى يوسف .
٥ـ مقابل الثمن: " عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا " .
٦ـ العبارة الإشهارية: " أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا " .

ثانيا : الدراسات اللغوية الحديثة :

١ ـ الإشهار والتواصل وأدوات التواصل:

يحقق هذا الإشهار نوعا معينا من التواصل بين أفراد المجتمع، هو التواصل بين الرجل وأهل بيته، في إصداره الأوامر لهم (أكرمي) وتقديم المبررات لهذه الأوامر (عسي...) .

تبدو أدوات التواصل هنا في مراعاة: المقام اللفظي في استخدام صيغة الأمر .

المقام الاجتماعي: من علو مكانة الرجل وقوامته في عدم اعتراض امرأته .

٢ ـ الهدف من الإشهار:

هل هناك أهداف لدى قطفير خلف شراء هذا العبد من السوق، ودفع المال الكثير ثمنا له وتقديمه هدية لزوجته، ثم يأمرها بإكرامه ؟! نعم. وأحسب أنها:

أ ـ من باب الفراسة التي أشار إليها المفسرون، فهي علم ربما قد علمه الله إياه، فعلم أن وراء هذا الغلام خيرا كثيرا، وصدقت فراسته فعمَّ خيرُه مصر .

ب ـ أو كان هذا من تمكين الله ليوسف في الأرض بأن ألقي محبته في نفس عزيز مصر؛ كما ألقاها من قبل في نفس مالك بن ذعر، فانجذبا له واشترياه بالمال الوفير كل منهما حسب إمكانياته المالية. وقد قال بهذا الرأي القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ

﴿فِي الأَرْضِ﴾[يوسف: ٢١]: " وكان الله قد ألقى محبة يوسف على قلب العزيز فأوصى به أهله، ذكره القشيري [١] .

ج ـ اتخاذه ولدا: لماذا اختار عزيز مصر هذا الغلام العبد ليكون ولدا له دون أبناء مصر كلهم أسيادا وعبيدا ؟! ربما رأى فيه ما لم يره الآخرون !

د ـ أثر الصورة: لقد نسينا شيئا هاما في القضية وهو صورة يوسف التي سبق أن تكلمنا عنها وعن تأثيرها علي مالك بن ذعر، مما جعله يقبل علي شرائه، ويصدق كذب إخوة يوسف بأنه عبد آبق، لكنه رآه على حقيقته سيدا من بيت أسياد، بل تكشفت له الأحداث مكانته في السماء بأنه مستجاب الدعاء وما نظر إليه أحد إلا أحبه، فيكون هذا أحد الأسباب التي دفعت عزيز مصر لشراء يوسف .

كل هذه الأهداف تعد أهدافا معلنة، لأننا فهمناها من نص الإشهار.

٣ـ خلق الحاجات في نفس المتلقي:

قام المشهر هنا (عزيز مصر) بخلق حاجات في نفس زوجته كانت مختفية في اللاشعور، فهي أشد المناطق هشاشة في النفس الإنسانية يحاول صاحبها التغلب عليها بإخفائها إن عجز عن تحقيقها، وهي حاجتها إلى الولد، فقام بإثارة هذه الحاجة وتلك الرغبة بقوله: أو نتخذه ولدا .

٤ـ الاستنجاد بالعقل:

يأتي هذا الاستنجاد هنا في تقديم المبرر العقلي المنطقي لهذا الشراء بقوله: عسى أن ينفعنا، فهو يأمل فيه المنفعة كسبب للشراء، وهو مبرر يقوم على حجة عقلية .

---

(١) تفسير القرطبي: ج٥، ص٣٣٨٧.

٤ـ اللغة المنطوق وغير المنطوق:

أ ـ اللغة المنطوق:

العبارة الإشهارية (أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا) بها ثلاث جمل قصيرة: أكرمي مثواه/ عسي أن ينفعنا/ أو نتخذه ولدا، هي جمل إنشائية طلبية (أكرمي مثواه) رجائية (عسي أن ينفعنا ـ أو نتخذه ولدا) موجزة: حيث جمعت بين الطلب ومبرراته وأسبابه وفائدته في عبارة واحدة.

في الجانب البلاغي: (أكرمي مثواه) مجاز مرسل علاقته محلية حيث أطلق المحل وأراد من فيه فطلب منها إكرام المنزلة، وأراد من فيها (يوسف) فهو ذو منزلة عالية، أراد عزيز مصر من زوجته إكرام هذه المنزلة لعلو من احتلها أي منزله ومقامه، فهي مجاز مرسل.

ب ـ اللغة غير المنطوق:

١ـ اللغة الرمزية: الألفاظ القليلة للعبارة ترمز إلى أشياء مختلفة، فمنها:

أكرمي: توضح العناية الشديدة به، ولا تقال إلا للضيف العزيز الكريم.

مثواه: منزله، لأنه أعلى مكانة من أن تعليه، بل تكرم مقامه ومنزله فقط.

عسى: ترمز إلى الأمل الذي يتمناه ويأمله منه، فهو أفضل من أن يقول لها: سينفعنا وسنتخذه ولدا، لأنه لن يكون مقنعا أو صادقا، ولكنه فتح باب الأمل.

ينفعنا: رمزت من خلال شموليتها كل ألوان المنفعة.

نتخذه ولدا: لم ينس الرجل مشكلتهما فرمز إليها، ولما تعانيه من الحرمان.

٢ـ اللغة الانفعالية: تبدو اللغة الانفعالية في هذا الإشهار في داخل الكلمات ومن ينطلق منها من طاقة انفعالية ومشاعر وآمال، لقد كان هذا الإشهار وسيلة يعبر بها الرجل عن معاناته وما به من آلام الحرمان من الولد، وكذلك التعبير عن مشاركته لزوجته في محنتها ومحاولته إيجاد بديل لها عن الولد الحقيقي، فكانت كلمة نتخذه ولدا حاملة لتلك الطاقة الانفعالية الكامنة في نفسيهما ومفجرتها بهما.

كذلك الطاقة الانفعالية الموجودة في جملة: أكرمي مثواه، من الدلالة على الحفاوة والترحاب التي أمر باستقبال يوسف بها؛ فقد تدلت على أمنية كبرى وشعور خفي داخل الرجل من أمنيته بأن لو كان هذا ولده بشعور بالأبوة نحو بأن هذا سيكون ولدا لهما، لهذا خاطب زوجته بفعل الأمر: أكرمي.

وكذلك الانتقال في النفع من العام إلى الخاص: فهو يأمل منه النفع بوجه عام ثم ينمو الانفعال بالأمل في يوسف إلى النفع الخاصة بحل مشكلتهما الكبرى، دليل على نمو انفعاله وزيادة أمله فيه.

٣ـ اللغة الإيحائية: تضمن هذا الإشهار ألفاظا تحمل إيحاءات مختلفة، فنحن نشعر عند سماعه بظلال من المعاني غير المنطوقة بدخله، نحو جملة:

أكرمي مثواه: لقد أوحت لنا بمكانة وجلال هذا الرجل في بيته فهو الآمر الناهي فيه، وأن هذا الضيف ليس كغيره من الضيفان، فله المكانة العالية لذا لم يوكل أمره إلى أحد من الخدم بالقصر وما أكثرهم بل أمر سيدة القصر أن ترعاه بنفسها.

أو نتخذه ولدا: أوحت هذه الجملة بما داخل الرجل من غصة ومرارة من حرمانه وزوجته من نعمة الولد، وكانت نون الجمع موحية بما بهما من آلام حرمان مشتركة، وقد جاءت في نهاية إشهاره بما يوحى بيأسه من تحققه.

٣. الفضاء الذهني:

الفضاء الذهني الذي يصنعه هنا عزيز مصر (المشهر) لسلعته (يوسف) في ذهن المتلقي (زوجته) يقوم على بناء تصور جديد في ذهنها عما أمامها من مجرد غلام صغير تم شراؤه من سوق العبيد، في البنية التصورية لها وذلك بتقديمه في صورة جديدة تلبي حاجة دفينة لديها، ربما لم تعلن عنها لكنها مستقرة في داخلها تنتظر الخروج، فقد جاء هذا العبد ليلبي هذه الرغبة الدفينة، الرغبة في الولد التي تحلم بها كل امرأة وحرمت هي منها.

لقد اخترق هذا الرجل الفضاء الذهني لزوجته قائلا: أو نتخذه ولدا، فاتجه ذهنها إلى صورة الحلم الدفين والرغبة المنزوية في لا شعورها ليحركها ويوقظها؛ فتنهض من فورها لتعيد النظر إليه ليس كعبد يخدم في القصر، بل لبناء تصور جديد له في ثوب الابن المحرومة منه والأمل المفقود، فتوافق.

أسباب قبول زوجة العزيز لهذا العرض:

أ ـ ما كان عليه يوسف من حسن منذ صغره يجذب القلوب إليه، فهي تقول في نفسها: لو أنجبت غلاما يوما ما هل سيكون بهذا الحسن والجمال ؟!.

ب ـ أن الذي يقدمه لها زوجها وفي هذا ما فيه من درء الشبهة عنها بألوانها.

ج ـ علمها بفطنة زوجها وفراسته، فهو لن يأتي بولد سوء ليتبناه أو يكرمه.

لقد كان الفضاء الذهني صاحب فضل على يوسف في قبوله كغلام يتبناه عزيز مصر، فقد لعبت صورة يوسف دورا كبيرا في تغيير البنية التصورية في ذهن عزيز مصر وزوجته، من صورة عبد يعمل ضمن الخدم

إلى ابن فيه العوض عن الابن الحقيقي، وفيه الفخر والزهو بحسن وجمال الولد .

ثالثا النظريات اللغوية الحديثة:

أ. نظرية المزج المفهومي:

يمثل هذا الإشهار نموذجا للمزج المفهومي من حيث بناء الصورة الذهنية عن ابن مأمول في المستقبل من واقع فعلي هو عبد عبراني قادم من السوق في البنية التصورية للمتلقي، هل يصلح هذا العبد أن يكون ابنا لعزيز مصر؟ .

الأفضية الذهنية:

تقوم الأفضية الذهنية بعملية المقابلة بينهما لإقناع المتلقي (زوجة العزيز) بالمنتج (يوسف)، بأنه بديل عن الابن الأصلي، وذلك من خلال:

١. فضاء الدخلين: فضاء الدخل (أ ، ب) يمثل الدخل الأول (أ) العبد العبراني، ويمثل الدخل الثاني (ب) الابن المأمول في ذهن الأبوين من عملية الشراء .

يلتقي الدخلان في الفضاء الجامع حيث يتم الجمع بينهما فيه، وتتم عملية المقابلة بين خصائص كلا الدخلين من خلال السمات الانتقائية لهما، ثم ينتقلان إلى فضاء المزيج، حيث تتم عمليات المزج المختلفة:

١ـ التركيب: يتم باستحضار الفضاءين الدخلين في الذهن فتبدو صورة العبد بجوار صورة الابن الذي كانا يحلمان به للحكم عليه .

٢. الإكمال: تأتي عملية الإكمال لتتم عملية الإسقاط بينهما بها، فتظهر فيها صورة العبد القادم من السوق أعظم وأجمل من الصورة التي في الذهن عن الابن المأمول، وذلك من خلال ما له من سمات انتقائية تفوق ما يحلمان به .

٣. عملية البلورة: تتم عملية البلورة بالوصول إلى المعنى الجديد الناتج عن تلك العمليات السابقة، أن صورة الابن التي في ذهن الأبوين لا تشبه

ولا تقارب ما في الواقع من جمال وجلال يوسف الصديق عليه السلام، فتسقط هذه الصورة القديمة لتحل محلها الصورة الجديدة صورة يوسف إنه (على الرغم من صورته التي قدم عليها من السوق) أفضل مما في ذهنيهما لهذا الابن المأمول، لتكون النتيجة من عمليات المزج هذه أن يقتنعا به ابنا لهما، هذا لما أبصراه وتبصراه من سمات انتقائية لم يرها غيرهما، فقد ألقى الله سبحانه وتعالى محبة يوسف في قلبيهما .

ب. النظرية العرفانية:

يقوم عمل هذه النظرية على المشابهة بين مجالين لفهم مجال من خلال مجال آخر، ذلك من خلال عملية إسقاط للمعارف المتعلقة بالمجال الثاني (المصدر) على المعارف المتعلقة بالمجال الأول (الهدف) فيبدو التشابه بينهما واضحا .

١ ـ المجال الأول (الهدف) ابن مأمول في ذهن الأبوين يحلمان به .

٢ ـ المجال الثاني (المصدر) يوسف عليه السلام .

٣ ـ عملية إسقاط للسمات الانتقائية بينهما .

٤ ـ النتيجة: قبول يوسف على أنه ابن بديل لهما، بل إنه يفوق الابن الأصلي لما له من سمات انتقائية تفوق الصورة الذهنية لذلك الابن الحقيقي، فيتم بناء صورة ذهنية جديدة له في بنيتهما التصورية عما يجب أن يكون عليه الابن .

تتحول عملية المشابهة هنا بين الطرفين إلى عملية خلق لشيء جديد في الذهن، وليست عملية فهم مجال من خلال مجال آخر ـ كما تظن الاستعارة العرفانية ـ بل إنها عملية عرفانية من نوع آخر، فهي تتمحور حول ما ينتج عن رؤية يوسف من أسئلة، نحو: هل يكون ابننا كذلك على هذه الصورة إذا وهبنا الله الولد ؟! .

إنه سؤال إجابته معروفة لكن الأهم من ذلك هو ما نتيجة هذا السؤال ؟ إنه الإسراع في تبني هذا الصبي؛ حتى لا تفوتنا تلك الفرصة

التي لو تحققت لم تكن بمثل هذا الحسن والجمال، فهو ابننا لا جدال في ذلك ومن صلبنا، وليقل من شاء أن يقول.

ذلك عمل النظرية العرفانية، من محاولة فهم العمليات العقلية التي تحدث في أذهاننا لفهم الأشياء وفهم العالم من حولنا والتفاعل معه.

ج. النظرية التداولية:

العبارة الإشهارية (أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا) تقوم على عرض لحوار تم بين الزوجين، ورد فيها حديث الزوج معلنا فيه عن سلعة اشتراها من السوق ويحاول عرضها على زوجته كمشترثان لها، ومشاركة له في إدارة شئون هذه السلعة بعد الشراء.

قام الحوار علي عناصر:

١ ـ **الإشاريات:** ضمائر (متكلم: نا ـ مخاطب: الياء ـ غائب: الهاء)، المكانية (مثواه: منزلته)، الاجتماعية (أكرمي مثواه: إشارة إلى علو مكانته الاجتماعية).

٢ ـ **الافتراض السابق:** الافتراض الأول في قوله: عسى أن ينفعنا، حيث نفترض أن زليخا عارضت زوجها لشراء هذا العبد ليبقى في الدار، فكان رده عليها (عسى أن ينفعنا...)، والافتراض الثاني: (أو نتخذه ولدا) فيفترض أنهما لا ينجبا أو ليس لهما ولد.

٣ ـ **الاستلزام الحواري:** إن الحوار هنا بين زوجين، لذا لابد أن يكون هناك مبدأ التعاون بين المتكلم والمخاطب ليتم التفاهم بينهما، هذا ما يبدو من تلك العبارة الإشهارية، فعندما يقول الزوج لزوجته: أكرمي مثواه يعلم أنها ستستجيب لأمره، وعندما يقول لها: أو نتخذه ولدا تدرك صدق ما يقول، ولهذا أجابت بالصمت دليلا على موافقته فيما قال، فتحقق هذا في عبارة قصيرة بها عنصر الصدق والوضوح فتم التفاهم بينهما، ولم يتولد عن كلامه أي فشل في التواصل، فقد قال قصده.

٤. **الأفعال الكلامية**: احتوت هذه عبارة الإشهارية على نوعين من الأفعال الكلامية :

أ ـ طلبيات: وهي كل الأفعال التي تدل على الطلب نحو: أكرمي مثواه .

ب ـ تعبيرات: وهي أفعال يعبر بها المتكلم عن مشاعره المختلفة، كالتمني الذي نراه في قوله: عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا .

تم تحليل هذه العبارة بمضامينها التي تخفيها خلف ألفاظها القليلة من خلال هذه النظرية التي تقوم على دراسة اللغة كوسيلة تستعمل للتوصل بين الناس فقد علمنا مما سبق من تحليل أن هناك زوجين متفاهمين بينهما حوار صادق أدى إلى الاقتناع بهذه السلعة والغاية منها، وقبولها .

القسم الثالث: في شبابه :

إشهار صامت (يوسف سلعة يُعلن عنها المشتري):

تقديم:

رأينا في الإشهار الأول والثاني عمليتي بيع ليوسف عليه السلام في صباه حيث باعه في الإشهار الأول إخوته إلى مالك بن ذعر، وفي الإشهار الثاني قدمه من اشتراه من مالك لزوجته كهدية لها، اشتراه وحاول إقناعها به .

ونعرض الآن للبيع الثالث ليوسف (في شبابه) لكن في شكل بضاعة للعرض فقط، فقد عرضته زليخا على النسوة ردا على قولهن: إنه قد شغفها حبا لكنها حولتهن بعد عرضه عليهن إلى مشهرات عنه كسلعة، في عبارتهن الإشهارية الشهيرة فقلن فيه: (ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم) هنا يتحول المشترى إلى مشهر عن السلعة، وكأنهن بائعات الذي

يعلن عن سلعته فلم يكن هدفها بيعه بل الإعلان بإصرار شديد على ما أرادته منه من قبل لقد عرضته فقط، وتركته كسلعة مبهرة يثق في جودتها صاحبها فلا يقدم عنها شيئا للمشترى ولا يصفها له، بل يتركها تتحدث عن نفسها كأنها بلا صاحب، وتلك ثقة كاملة من البائع عند عرضه سلعته البارعة، حتى أنني أسميت هذا الإشهار (الإشهار الصامت) لعدم وجود أي عبارة عند عرضه على المشترى إنها آلية جديدة في عرض السلعة، تقوم على قوة جودة المنتج لا على العبارة الإشهارية، واستخدام عنصر المفاجأة عند العرض للإبهار.

النص القرآني:

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٣٠) فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١) قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ (٣٢)﴾ [يوسف].

العبارة الإشهارية عن هذه السلعة: ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾.

أولا: مع المفسرين واللغويين:

تفسير ابن كثير:

يخبر تعالى أن خبر يوسف وامرأة العزيز شاع في المدينة وهي مصر حتى تحدث به الناس.

(قال نسوة في المدينة) نساء الكبراء والأمراء ينكرن على امرأة العزيز (وهو الوزير ويعبن ذلك عليها)، امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه

(أي تدعوه إلى نفسها) قد شغفها حبا ، أي قد وصل حبه إلى شغاف قلبها وهو غلافه...

(إنا لنراها في ضلال مبين) أي في صنيعها هذا من حبها فتاها ومراودتها إياه عن نفسه .

(فلما سمعت بمكرهن) قال بعضهم: بقولهن ذهب الحب بها. وقال محمد بن إسحاق: بلغهن حُسن يوسف فأحببن أن يرينه ، فقلن ذلك ليتوصلن إلى رؤيته ومشاهدته ، فعند ذلك:

(أرسلت إليهن) أي دعتهن إلى منزلها لتضيفهن .

(واعتدت لهن متكأ) قال ابن عباس: هو المجلس المعد فيه مفارش ومخاد وطعام فيه ما يقطع بالسكاكين من أترج ونحوه؛ ولهذا قال تعالى: (وآتت كل واحدة منهن سكينا) وكان هذا مكيدة منها ومقابلة لهن في احتيالهن على رؤيته .

(وقالت اخرج عليهن) وذلك أنها كانت قد خبأته في مكان آخر ، فلما خرج ورأينه أكبرنه أي أعظمن شأنه وأجللن قدره ، وجعلن يقطعن أيديهن دهشاً برؤيته ، وهن يظنن أنهن يقطعن الأترج بالسكاكين ، والمراد أنهن حززن أيديهن بها.

قاله غير واحد؛ وقد ذكر غير واحد أنها قالت لهن بعدما أكلن وطابت أنفسهن ثم وضعت بين أيديهن أترجاً وآتت كل واحدة منهن سكيناً: هل لكنَّ في النظر إلى يوسف ؟ قلن: نعم ، فبعثت إليه تأمره أن اخرج إليهن ، فلما رأينه جعلن يقطعن أيديهن ، ثم أمرته أن يرجع ليرينه مقبلاً ومدبراً ، فرجع وهن يحززن في أيديهن ، فلما أحسسن بالألم جعلن يولولن فقالت: أنتن من نظرةٍ واحدة فعلتن هذا فكيف ألام أنا ؟

(وقلن حاش للّه ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم) ثم قلن لها: وما نرى عليك من لوم بعد هذا الذي رأينا لأنهن لم يرين في البشر شبيهه ولا

قريباً منه، فإنه عليه السلام كان قد أعطي شطر الحسن، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح في حديث الإسراء أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم مر بيوسف عليه السلام في السماء الثالثة قال: فإذا هو قد أعطي شطر الحسن .

(قالت فذلكن الذي لمتنني فيه) تقول: هذا معتذرة إليهن بأن هذا حقيق أن يحب لجماله وكماله، ولقد راودته عن نفسه فاستعصم أي فامتنع، قال بعضهم: لما رأين جماله الظاهر أخبرتهن بصفاته الحسنة التي تخفى عنهن وهي العفة مع هذا الجمال، ثم قالت تتوعده:

(ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين) [1] .

ملخص ما قاله ابن كثير:

١ـ أن هذا العمل مخطط من قبل زوجة العزيز .

٢ـ أن النسوة عندما سمعن بجماله أردن رؤيته ولهذا قلن قولهن رغبة فيه .

٣ـ أنها خبأته عنهن في أول الأمر، ثم طلبت منه الخروج بعد ذلك .

٤ـ أن تقطيع الأيدي كان نتيجة عنصر المفاجأة في عرض السلعة والدهشة .

٥ـ عرض السلعة من كل الجوانب ليقنع بها المتلقي فقالت له استدر أمامهن .

تفسير القرطبي:

أضاف القرطبي إلي ما قاله ابن كثير عدة نقاط ،هي :

١ـ هؤلاء النسوة هن: امرأة ساقي العزيز، وامرأة خبازه، وامرأة صاحب دوابه، وامرأة صاحب سجنه. وقيل: امرأة الحاجب؛ عن ابن عباس وغيره.

(١) تفسير القرآن العظيم: ج٢، ص٤٧٦ ـ ٤٧٧.

٢ـ (فلما سمعت بمكرهن) أي بغيبتهن إياها ، واحتيالهن في ذمها. وقيل: إنها أطلعتهن واستأمنتهن فأفشين سرها ، فسمي ذلك مكرا.

٣ـ وقوله: (أرسلت إليهن) في الكلام حذف أي أرسلت إليهن تدعوهن إلى وليمة لتوقعهن فيما وقعت فيه. وأرسلت إليهن أن يحضرن طعامها ولا تتخلف منكن امرأة ممن سميت. قال وهب بن منبه: إنهن كن أربعين امرأة فجئن على كره منهن .

٤ـ أثر رؤية يوسف عليهن: اختلف في معنى (أكبرنه) فروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس: أعظمنه وهبنه؛ وعنه أيضا أمنين وأمذين من الدهش؛ ... وقال ابن سمعان عن عدة من أصحابه: إنهم قالوا أمذين عشقا؛ وهب بن منبه: عشقنه حتى مات منهن عشر في ذلك المجلس دهشا وحيرة ووجدا بيوسف. وقيل: معناه حضن من الدهش؛ قاله قتادة ومقاتل والسدي؛... سعيد بن جبير: لم يخرج عليهن حتى زينته، فخرج عليهن فجأة فدهشن فيه وتحيرن لحسن وجهه وزينته وما عليه، فجعلن يقطعن أيديهن، ويحسبن أنهن يقطعن الأترج؛ قال مجاهد: قطعنها حتى ألقينها. وقيل: خدشنها .

٥ـ تحليل العبارة الإشهارية: (وقلن حاش لله) أي معاذ الله ...

أ- معاني جملة (ما هذا ببشر) ذكره الغزنوي. قال القشيري أبو نصر: وذكرت النسوة أن صورة يوسف أحسن من صورة البشر بل هو في صورة ملك؛ وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤] .

والجمع بين الآيتين أن قولهن (حاشا لله) تبرئة ليوسف عما رمته به امرأة العزيز من المراودة، أي بعد يوسف عن هذا؛ وقولهن (لله) أي لخوفه، أي براءة لله من هذا؛ أي قد نجا يوسف من ذلك، فليس هذا من الصورة في شيء؛ والمعنى: أنه في التبرئة عن المعاصي كالملائكة؛ فعلى هذا لا تناقض .

ب ـ وقيل: المراد تنزيهه عن مشابهة البشر في الصورة لفرط جماله. وقوله: (للّه) تأكيد لهذا المعنى؛ فعلى هذا المعنى قالت النسوة ذلك ظنا منهن أن صورة الملك أحسن .

ج ـ وأيضا أهل العرف قد يقولون في القبيح كأنه شيطان، وفي الحسن كأنه ملك؛ أي لم ير مثله؛ لأن الناس لا يرون الملائكة؛ فهو بناء على ظن في أن صورة الملك أحسن، أو على الإخبار بطهارة أخلاقه وبعده عن التهم.. (إن هذا إلا ملك) أي ما هذا إلا ملك .

د ـ معنى قراءة (ما هذا بِشِرى) بكسر الباء والشين، أي ما هذا عبدا مشترى، أي ما ينبغي لمثل هذا أن يباع، فوضع المصدر موضع اسم المفعول، كما قال: ﴿**أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ**﴾ [المائدة: ٩٦]، أي مصيده وشبهه كثير .

❖ ويجوز أن يكون المعنى: ما هذا بثمن أي مثله لا يثمن ولا يقوم؛ فيراد بالشراء على هذا الثمن المشترى به كقولك: ما هذا بألف إذا نفيت قول القائل: هذا بألف. فالباء على هذا متعلقة بمحذوف هو الخبر كأنه قال: ما هذا مقدرا بشراء .

❖ وقراءة العامة أشبه؛ لأن بعده (إن هذا إلا ملك كريم) مبالغة في تفضيله في جنس الملائكة تعظيما لشأنه، ولأن مثل (بِشِرى) يكتب في المصحف بالياء[1] .

تفسير الألوسي:

وقد أضاف الألوسي إلى ما سبق النقاط الآتية:

١ـ المقصود بالمكر (فلما سمعت بمكرهن) أي باغتيابهن وسوء مقالتهن وتسمية ذلك مكرا لشبهه له في الإخفاء، وقيل: كانت استكتمتهن سرها فأفشينه وأطلعن أمرها، وقيل: إنهن قصدن بتلك

(١) تفسير القرطبي: ج٥، ص٣٤٠٥ ـ ٣٤١٢.

المقالة إغضابها حتى تعرض عليهن يوسف لتبدي عذرها فيفزن بمشاهدته، والمكر على هذين القولين حقيقة ..

٢. المفاجأة لحظة خروجه: والظاهر أنها لم تأمره بالخروج إلا لمجرد أن يرينه فيحصل مرامها، وقيل: أمرته بالخروج عليهن للخدمة أو للسلام وقد أضمرت مع ذلك ما أضمرت، يحكى أنها ألبسته ثيابا بيضا في ذلك اليوم لأن الجميل أحسن ما يكون في البياض (فلما رأينه) عطف على مقدر يستدعيه الأمر بالخروج وينسحب عليه الكلام أي فخرج عليهن فرأينه، وإنما حذف على ما قيل: تحقيقا لمفاجأة رؤيتهن كأنها تفوت عند ذكر خروجه عليهن .

٣ـ رد فعل النسوة:

أ. (أكبرنه) أي أعظمنه ودهشن برؤية جماله الفائق الرائع الرائق، فإن فضل جماله على جمال كل جميل كان كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب... وحكى أنه عليه السلام كان إذا سار في أزقة مصر تلألأ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس... معنى أكبرن حضن (وقطعن أيديهن) أي جرحنها بما في أيديهن من السكاكين لفرط دهشتهن وخروج حركات جوارحهن عن منهاج الاختيار حتى لم يعلمن بما عملن ولم يشعرن بما ألم ما نالهن .

ب ـ (للّه ما هذا بشرا) نفين عنه البشرية لما شاهدن من جماله الذي لم يعهد مثاله في النوع الإنساني، وقصرهن على الملكية بقولهن: (إن هذا) أي ما هذا (إلا ملك كريم) أي شري كثير المحاسن بناءا على ما ركز في الطباع من أنه لا حي أحسن من الملك كما ركز فيها أن لا أقبح من الشيطان، ولذا لا يزال يشبه بهما كل متناه في الحسن والقبح وإن لم يرهما أحد[1] .

(١) روح المعاني: ج٧، ص٣١٠ ـ ٣١٧.

تفسير الرازي:

أضاف الرازي بعض النقاط الآتية:

تلخيص الرازي القصة: " ثم نقول: حاصل ذلك أنها دعت أولئك النسوة وأعدت لكل واحدة منهن مجلسا معينا وآتت كل واحدة منهن سكينا أي لأجل أكل الفاكهة أو لأجل قطع اللحم، ثم إنها أمرت يوسف عليه السلام بأن يخرج إليهن ويعبر عليهن وأنه عليه السلام ما قدر على مخالفتها .

أسباب تقطيعهن أيديهن: وقطعن أيديهن كناية عن دهشتهن وحيرتهن، والسبب في حسن هذه الكناية أنها لما دهشت فكانت تظن أنها تقطع الفاكهة وكانت تقطع يد نفسها، أو يقال: إنها لما دهشت صارت بحيث لا تميز نصابها من حديدها وكانت تأخذ الجانب الحاد من ذلك السكين بكفها فكان يحصل الجراحة في كفها...

المسألة الثانية: اتفق الأكثرون على أنهن إنما أكبرنه بحسب الجمال الفائق والحسن الكامل، قيل: كان فضل يوسف على الناس في الفضل والحسن كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ...

١- وعندي أنه يحتمل وجها آخر؛ وهو أنهن إنما أكبرنه لأنهن رأين عليه نور النبوة وسيما الرسالة وآثار الخضوع والاحتشام، وشاهدن منه مهابة النبوة وهيئة الملكية، وهي عدم الالتفات إلى المطعوم والمنكوح وعدم الاعتداد بهن، وكان الجمال العظيم مقرونا بتلك الهيبة والهيئة؛ فتعجبن من تلك الحالة فلا جرم أكبرنه وعظمنه، ووقع الرعب والمهابة منه في قلوبهن، وعندي أن حمل الآية على هذا الوجه أولى.

٢- فإن قيل: فإذا كان الأمر كذلك فكيف ينطبق على هذا التأويل قولها: ﴿فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ [يوسف: ٣٢]، وكيف تصير هذه الحالة عذرا لها في قوة العشق وإفراط المحبة ؟

قلنا: تقرر أن الممنوع متبوع فكأنها قالت لهن مع هذا الخلق العجيب وهذه السيرة الملكية الطاهرة المطهرة، فحسنه يوجب الحب الشديد، وسيرته الملكية توجب اليأس عن الوصول إليه، فلهذا السبب وقعت في المحبة والحسرة والأرق والقلق، وهذا الوجه في تأويل الآية أحسن، والله أعلم.

٣ـ قوله: (مَا هذا بَشَرًا إِنْ هذا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ) فيه وجهان:

الوجه الأول: وهو المشهور أن المقصود منه إثبات الحسن العظيم له قالوا: لأنه تعالى ركز في الطباع أن لا حي أحسن من الملك، كما ركز فيها أن لا حي أقبح من الشيطان، ولذلك قال تعالى في صفة جهنم ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءوسُ الشياطين﴾ [الصافات: ٦٥] وذلك لما ذكرنا أنه تقرر في الطباع أن أقبح الأشياء هو الشيطان فكذا ههنا تقرر في الطباع أن أحسن الأحياء هو الملك، فلما أرادت النسوة المبالغة في وصف يوسف بالحسن لا جرم شبهنه بالملك.

والوجه الثاني: وهو الأقرب عندي أن المشهور عند الجمهور أن الملائكة مطهرون عن بواعث الشهوة وجواذب الغضب ونوازع الوهم والخيال.

فطعامهم توحيد الله تعالى وشرابهم الثناء على الله تعالى، ثم إن النسوة لما رأين يوسف عليه السلام لم يلتفت إليهن ألبتة ورأين عليه هيبة النبوة وهيبة الرسالة، وسيما الطهارة قلن إنا ما رأينا فيه أثراً من أثر الشهوة ولا شيئاً من البشرية ولا صفة من الإنسانية، فهذا قد تطهر عن جميع الصفات المغروزة في البشر، وقد ترقى عن حد الإنسانية ودخل في الملكية [1] أضاف الرازي سببا جديدا لانبهارهن بيوسف وهو نور النبوة، ولم يذكره أحد غيره من المفسرين.

(١) التفسير الكبير: المجلد التاسع، ج١٨، ص١٠٥ ـ١٠٦.

تفسير النسفي:

١ـ حاشا: فمعنى حشا الله براءة الله وتنزيه الله... المعنى تنزيه الله من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله .

٢ـ الصورة المتخيلة له: نفين عنه البشرية لغرابة جماله واثبتن له الملكية وبتتن بها الحكم لما ركز في الطباع أن لا أحسن من الملك كما ركز فيها أن لا أقبح من الشيطان، قالت: فذلكن الذي لمتنني فيه... تقول هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في أنفسكهن ثم لمتنني فيه تعني إنكن لم تصورنه حق صورته وإلا لعذرتني في الافتتان به [1] .

تعليق على قول النسفي: نستنتج من كلامه أمرين: الأول أنه أشار إلى البنية التصورية للإنسان عن الملك والشيطان، فالملك هو النموذج الذهني الأول للجمال، والشيطان النموذج الأول للقبح لدى كل البشر. والأمر الثاني أن ما جاءت به النسوة إلى المجلس من صورة في البنية التصورية عن يوسف لا تقارب ولا تماثل ما رأينه من جماله، وهنا يبدو رفضهن لتلك الصورة التي جاءت معهن من خلال تلك الصيحة (حاشا لله) فما وجدناه أعظم مما نظنه .

تفسير المراغي:

المراغي من المفسرين المعاصرين الذين تناولوا القضية من عدة جوانب:

١ـ أن الآيات لم تشر إلى عدد النسوة، لأن العبرة ليست في حاجة لذلك .

٢ـ مكر النسوة (فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ) أي فلما سمعت مقالتهن التي يردن بها إغضابها حتى تريهن يوسف إبداء لمعذرتها فينلن ما يبغين من رؤيته، وقد كان من المتوقع أن تسمع ذلك لما اعتيد بين الخدم من التواصل والتزاور، وهن ما قلنه إلا لتسمعه، فإن لم يتم لهن ما أردن

(١) تفسير النسفي: النسفي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسي البابي الحلبي، بدون تاريخ، المجلد الأول: ج٢، ص٢٢١.

احتلن في إيصاله، وقد كان ما أردن كما قال (أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ واحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا) أي مكرت بهن كما مكرن بها، ودعتهن إلى الطعام في دارها وهيأت لهن ما يتكئن عليه من كراسي وأرائك كما هو المعروف في بيوت العظماء، وكان ذلك في حجرة المائدة وأعطت كل واحدة منهن سكينا لتقطع بها ما تأكل من لحم وفاكهة .

٣ـ عند خروجه: (وَقالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ) أي وأمرته بالخروج عليهن، وفى هذا إيماء إلى أنه كان في حجرة في داخل حجرة المائدة التي كن فيها محجوبا عنهن، وقد تعمدت إتماما للحيلة والمكر بهن أن يفجأهن وهن مشغولات بما يقطعنه ويأكلنه علما منها بما يكون لهذه المفاجأة من الدهشة، وقد تم لها ما أرادت .

٤ـ أثر رؤيته عليهن: (فَلَمّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) أي فخرج عليهن فلما رأينه أعظمنه ودهشن لذلك الجمال البارع وذهلن فقطّعن أيديهن بدلا من تقطيع ما يأكلن ذهولا عما يعملن أي فجرحنها بما في أيديهن من السكاكين لفرط دهشتهن وخروج حركات الجوارح عن منهاج الاختيار حتى لم يشعرن بما عملن، ولا ألمن لما نالهن من أذى، واستعمال القطع بمعنى الجرح كثير في كلامهم، فيقولون كنت أقطع اللحم فقطعت يدي، يريدون فأخطأتها فجرحت يدي حتى كدت أقطعها .

٥ـ مقولتهن: (وَقُلْنَ حاشَ لِلَّهِ ما هذا بَشَرًا إِنْ هذا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ) أي وقلن هذا على نهج التعجب والتنزيه لله تعالى أن يكون هذا الشخص الذي لم يعهد مثاله في جماله ولا في عفته من النوع الإنساني، إن هو إلا ملك تمثل في تلك الصورة البديعة التي تخلب الألباب وتدهش الأبصار .

٦ـ تعقيب المرأة على قولهن: (قالَتْ فَذلِكُنّ الَّذِي لُمْتُنّنِي فِيهِ) أي حينئذ قالت لهن:

إذا كان الأمر ما رأيتنّ بأعينكن وما أكبرتن في أنفسكن وما فعلتن بأيديكن وما قلتن بألسنتكن، فذلكن هو الذي لمتنني فيه وأسرفتن في لومي وتعنيفي وقلتن فيما قلتن، فما يوسف بالعبد العبراني أو المملوك الكنعاني ولا بالخادم الصعلوك الذي شغف مولاته حبا وغراما وراودته عن نفسه ضلالا منها وهياما، بل هو ملك تجلّى في صورة إنسان، فماذا أنتن قائلات في أمري، وهو المالك لسمعي وبصري، وإني لأراه بشرا سويا إنسيا لا جنيا وجسدا لا ملكا روحانيا، فأتصبّاه بكل ما أملك من كلام عذب، فلا يصبو إليّ ولا يظهر نحويّ عطفا، ولا يرفع إلي طرفا [1].

قال الإمام الشعراوي:

أثر التخيل في قبول الصورة وتحديد مقاييس الجمال كما يرى الشيخ:

ذكر الإمام في أحاديثه بعضا من الخواطر في هذه الإشهار نذكر منها :

يقول: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئاً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّيناً﴾ [يوسف: ٣١] قد خططتْ لتكشف وَقْعَ رؤية يوسف عليهن، فقدَّمتْ لكل منهن سكيناً؛ وهو ما يوحي بأن هناك طعاماً سوف يؤكل. ﴿وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾ [يوسف: ٣١]، ويُقال: أكبرْتَ الشيء كأنك قد تخيَّلته قبل أن تراه على حقيقته وقد يكون خيالك قد رسم له صورة جميلة، إلا أنك حين ترى الشيء واقعاً؛ تكبر المرائي عن التخيُّل.

(١) تفسير المراغي: أحمد المراغي، مطبعة مصطفي البابي مصر، ب ت، ج١٣، ص١٣٩.

والمثل أن إنساناً قد يُحدِّثك بخير عن آخر؛ ولكنك حين ترى هذا الآخر تُفاجأ بأنه أفضل مما سمعتَ عنه، وهُنَّ حين آذيْنَ امرأة العزيز بتداول خبر مُراودتها له عن نفسه، تخيَّلْنَ له صورةً ما من الحُسْن، لكنهُنَّ حين رأَيْنَهُ فاقتْ حقيقته المرئية كل صورة تخيَّلْنَها عنه؛ فحدث لهُنَّ انبهار.

أول مراحل الانبهار هي الذهول الذي يجعل الشيء الذي طرأ عليك يذهلك عما تكون بصدده؛ فإن كان في يدك شيء قد يقع منك. ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَراً إِنْ هَٰذَآ إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾.

وكلمة: (حَاشَ...) هي تنزيه لله سبحانه عن العجز عن خَلْق هذا الجمال المثالي، أو أنهُنَّ قد نَزَّهْنَ صاحب تلك الصورة عن حدوث منكر أو فاحشة بينه وبين امرأة العزيز، أو أن يوسف عليه السلام لا بد أن يكون قد خرج عن صورة أرقى من صورة الإنس التي يعرفنها؛ فقُلْنَ: لا بدّ أنه مَلَكٌ كريم. وصورة الملك كما نعلم هي صورة مُتخيَّلة؛ والإنسان يحكم على الأشياء المُتَخيَّلة بما يناسب صورتها في خياله، مثلما نتخيل الشيطان كأبشع ما تكون الصورة.

والبشاعة نفسها تختلف من واحد إلى آخر؛ فما تراه بَشِعاً قد لا يراه غيرك كذلك؛ لأن مقاييس القبح أو الجمال تختلف من أمة إلى أخرى. فالمرأة الجميلة في أواسط أفريقيا في نظر الرجل هي ذات الشفاه الغليظة جداً؛ أو صاحبة الشعر المُجعَّد والمُتموج.

إذن: فالجمال يُقاس بالأذواق؛ هذا يرى جمالاً قد يراه غيره غير هذا؛ وذاك يرى جمالاً لا يراه غيره كذلك.

والحق سبحانه يقذف معايير الجمال في النفس الإنسانية على قَدْر مُقوِّمات الالتقاء في الانسجام.

إذن: فحين رأت النسوة يوسف عليه السلام؛ قُلْنَ: (مَا هَـٰذَا بَشَراً إِنْ هَـٰذَآ إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ) وهذا يعني أن يوسف هو الصورة العليا في الجمال التي لا يوجد لها مثيل في البشر. وبعد ذلك يقول الحق سبحانه ما جاء على لسان امرأة العزيز رداً عليهن: (قَالَتْ فَذٰلِكُن) [1] .

تعقيب على رأي الشيخ لشعراوي:

هذا التحليل الرائع للشيخ العظيم وضح عدة أمور يجب إبرازها مستقلة فهي تبين مدى فهم الرجل للقضية بصورة دقيقة وعميقة تواكب أفضل النظريات الحديثة التي نتخذها كآليات تحليل، لهذا يجب تلخيص كلامه في نقاط هي :

١ـ خطة المرأة في عرض المنتج: ذكر أن هذا العمل كان مخططا منها حيث دعتهن وأعدت مسرح الأحداث بنفسها؛ لتكتشف وقع رؤية يوسف عليهن .

٢ـ أثر الصورة الخيالية: أشار الشيخ إلى هذه الصورة، وقارن بينها وبين الصورة الواقعية ليوسف، فجعل ليوسف صورتين: الأولي: في خيالهن عن يوسف قبل اللقاء به: (أنها صورة ما من الحسن) ـــ >> الثانية: صورة واقعية له بعد رؤيته فوجدن أنها تفوق صورة البشر، فوضعنه في ضمن جنس آخر هو الملك .

٣ـ الفرق بين الواقع والخيال: قارن الشيخ بينهما ، وأثر الخيال في صناعة صورة للشيء قد تفوق الواقع، وقد يكون الواقع أفضل منها كما في يوسف .

٤ـ مراحل رؤية الشيء المبهر: رأى أننا عندما نري شيئا مبهرا يحدث لنا:

(١) من أحاديث الشيخ الشعراوي المسجلة علي الشبكة العنكبوتية (الانترنت) .

أ) تبدأ عملية الذهول .

ب) فقد السيطرة على الحواس، فيقع ما في أيدينا.

ج) القول: جاء القول نتيجة بحثهن بعقولهن عن مثيل له فلا يجدن إلا الملك

٥- مقاييس الجمال: حلل مقاييس الجمال، وبين اختلافها في الزمان والمكان. هذا العرض المسهب لأقوال المفسرين سيكون لنا زادا نستعير منه الأفكار التي نحلل في ضوئها هذا الإشهار، حيث تضمنت أقوالُهم كثيرا من الآلاء الحديثة التي يجب إدخالها في التحليل .

ثانيا: الدراسات اللغوية الحديثة:

نحاول استعراض هذا الإشهار في إطار الدراسات الحديثة مع الاسترشاد بآراء المفسرين السابقة لتوضيح هذا الإشهار .

١. الإشهار والتواصل:

أ- الغاية منه: إن الغاية غير المعلنة للإشهار هي التواصل مع الآخرين وتفاعلهم معا، فهذا الإشهار أجاب عن تساؤل بين النسوة عن سبب إعجاب زوجة العزيز بيوسف، بل هو مطلب المجتمع المحيط بهم وقد أجابت على ذلك السؤال، بل أقنعتهم وجعلتهم يعطونها المبرر لفعلها بقولهم: ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم، وفي ذلك إشهار منهن لهذه السلعة، فتبدو القيمة العالية لهذا الشيء بتوافق المجتمع عليه، وهو نجاح للإشهار لنجاح للمنتج .

ب - آليات الإقناع: إن الإقناع نشاط الغاية منه التأثير في الآخر، وهو يقوم على المثلث الحجاجي الذي يؤدي إلى الإقناع بالرأي، فالرأي تصورات عامة تتبناها الحشود لتفسر سلوكا اجتماعيا ما، دون أن يكون هناك ما يؤكد صحة هذا السلوك، أو مقبوليته خارج ما تعارف عليه الناس، فالرأي يتغذى على ما تتبناه الجموع البشرية وتعتقد في صحته، لهذا فهو لا يستند إلى فكر يمكن الرجوع إليه كمرجعية ثابتة

للقياس والتصديق، بل يتغذى من ردود أفعال انفعالية يمكن استثارتها وتكييفها وشرطها[1].

إذن ما هي آليات الإقناع التي استخدمتها هذه المرأة هنا لتصنع رأيا لدى هؤلاء النسوة اللائي أتينها في ثوب اللائمات المنتقدات لسلوكها ؟! إن آليات الإقناع في هذا الحدث تمثلت في:

أ- التخطيط الجيد لهذا العمل الذي بدأ بعنصر المفاجأة، الذي استثار انفعال الدهشة والاستغراب بل الانبهار، فخلق لديهن ردود أفعال انفعالية متتالية في التو واللحظة وقد ظهرت هذه الانفعالات من خلال عدة أشياء:

١- صيحة انفعالية: في قوله تعالى (أكبرنه) من خلال صيحة إكبار وتعظيم، وهي صيحة تلقائية عفوية يصدرها كل إنسان يرى ما يبهره ويدهشه .

٢- الفعل: حيث قطعن أيديهن بالسكين غير متعمدات فعل ذلك، لكن لأنهن فقدن الإدراك والشعور بما بين أيديهن (كما قال المفسرون) فقد انبهارهن به، فلم يرين سواه ولم يشعرن بما حولهن لهول المفاجأة .

٣- القول: وتمثل في قولهن (حاشا لله ما هذا بشرا...) وهي عبارة إشهارية عن هذا المنتج الذي بهرهن فأتت بصورة تلقائية عفوية، دون تفكير مسبق أو تروٍ قبل النطق بها، فقد سجلها القرآن الكريم بنصها حرفيا دون تقديم أو تأخير أو حذف ليبدو الانفعال فيها واضحا كما صدر عنهن، فبدأت بتعظيم الله الذي أبدعه وصوره ثم نفين التصنيف البشري عنه فلا يدخل هذا الشيء ضمن الصنف البشري، بل يرتقي إلى صنف آخر أعلي لم يره البشر .

ب - عناصر التخطيط لهذا الحدث المفاجئ للنسوة: في إطار عبارة (آليات الإقناع تعتمد على ردود أفعال انفعالية يمكن استثارتها

(١) الصورة الإشهارية: ١٨٩.

وتكييفها وشرطها) فقد أحسنت المرأة الإعداد للوصول للانفعال السابق بـ:

١ـ تقديم الدعوة الشخصية لهن من سيدة القصر، وهو قمة التكريم لهن .

٢ـ إعداد الطعام لهن والإشراف الشخصي من قبل سيدة القصر على ذلك .

٣ـ وضعت طعاما يؤكل بالسكين ضمن الأطعمة المقدمة لهن .

٤ـ عرض المنتج (يوسف) بصورة عفوية ودون مقدمات تلفت الانتباه إليه .

٥ـ ترك جودة المنتج تعلن عنه فتشد الانتباه إليه فيكون الاقتناع به أكبر .

٦ـ الانتظار بالقرب من مسرح الحدث لسماع قولهن والرد الفوري عليهن .

صنع الرأي: كونت المرأة هذا الرأي لديهن وصنعته بآليات الإقناع السابقة، من خلال ردود أفعال انفعالية تم استثارتها وتكييفها ووضع شروطها، لتصل إلى نتائج إقناعية مبهرة، صنعتها هذه المرأة بمكرها، فكان هذا الرأي الذي تبنته وأوصلته إليهن، هو جواز الخروج على السلوك الاجتماعي المعروف لدى أبناء هذه الطبقة الراقية من التعالي، والترفع، والنظر في كبر واستعلاء إلى هذه الطبقة الدنيا (العبيد) إلى مخالطتهم وحبهم والتقرب منهم، بل حب أميرة القصر لأحدهم ومراودته عن نفسه، تم تفسير هذا السلوك الاجتماعي الجديد والغريب في ضوء هذا الرأي الذي كونته لديهن، فيصبح هذا الرأي سلوكا مقبولا اجتماعيا تنادي به جموع نساء هذه الطبقة العليا، وهذا الرأي قد تغذى على ما تبنته الجموع واعتقدت في صحته، فهو لا يستند على فكر سليم يعد مرجعا ثابتا لصحته وتصديقه والقياس عليه، بل يتغذى على ردود أفعال انفعالية تصنعه بشروطها الخاصة .

ج. اللغة المنطوقة وغير المنطوقة:

١. اللغة المنطوقة:

تعد اللغة الوسيلة الكبرى الأساسية في الإشهار، فهي وسيلة التواصل - غالبا - في كل إشهار، حيث تصور لنا طبيعة المنتج في كلمات قليلة ذات صفات خاصة، تخلق لنا صورة في الخيال بتلك الكلمات، إن اللغة أقوى في الإشهار من الصورة الواقعية؛ لأن الثانية تحد الخيال بل تقتله، فاللغة تخلق الخيال وتنميه في الذهن بطريقة لا يتوقعها المتلقي ولا ترد على ذهنه عن السلعة . لكن في هذا الإشهار نجد الصورة تسيطر علي عملية الإقناع به حيث تتفوق الصورة على ما في الخيال من توقعات وتصورات، فآليات الإقناع التي تقوم على الصورة، تفوقت على اللغة بكلماتها وأدواتها البلاغية وغير البلاغية .

الخصائص اللغوية للعبارة الإشهارية:

العبارة الإشهارية هنا: ﴿**وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ**﴾ [يوسف: ٣١] .

الجمل قصيرة: (حاشا لله) (ما هذا بشرا) (إن هذا إلا ملك كريم).

الجمل تقريرية: فهي تقرر صفات في يوسف وربه، في جمل متوالية.

المحسنات البلاغية: أسلوب القصر بالنفي والاستثناء قصر صفته علي الملك، وقد استعان هذا الإشهار باللغة في توصيل صورته إلى المتلقي من خلال كلماتها وأدواتها المختلفة، يمكن ملاحظة عمل اللغة ودورها في هذا الإشهار باستعراض الجمل التي وردت فيه، وبيان قيمة كل جملة وكلمة في توصيل المعنى المراد؛ مع الاستعانة بظهير لنا قوى، هو آراء المفسرين لبيان أن ما وصلنا إليه من آراء قد سبقنا به علماؤنا وشيوخنا الأجلاء .

﴿**وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ**﴾:

قال الرازي: لماذا قال الحق (قال نسوة)، ولم يقل (قالت نسوة) قلنا لوجهين:

الأول: أن النسوة اسم مفرد لجمع المرأة، وتأنيثه غير حقيقي، فلذلك لم يلحق فعله تاء التأنيث .

الثاني: تقديم الفعل يدعو إلى إسقاط علامة التأنيث على قياس إسقاط علامة التثنية والجمع [1] جاء الفعل الماضي للدلالة على أنها قصة تقص علينا وكلمة نسوة نكرة للتجهيل حتى لا يحددن ويفضحن، وهو علامة على شيوع الخبر، ولكن لا يمكن تحديد من قالت من نساء المدينة .

﴿امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾:

امرأة العزيز: جاءت الإشارة إليها دون تعظيم لها؛ مما يدل على قوة علاقتها مع النسوة، أو لأنها من عامة الناس الذين لا يمجدونهم في حديثهم .

تراود: فعل مضارع إشارة إلى استمرارها في مراودته إلى وقت حديثهن

فتاها: لبيان مكانته وإضمار اللوم لها على فعلها ما لا يليق مع عبدها .

شغفها حبا: إشارة لوصول حبه إلى غشاء قلبها، وقد للتحقيق وتأكيد ذلك .

إنا لنراها: تأكد الفعل أرى الذي لا يعنى الرؤية، بل الرأي بـ إنّ واللام .

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّيناً وَقَالَتْ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾:

(١) تفسير الرازي: المجلد التاسع، ج١٨، ص١٠٣.

سمعت: استخدام الفعل سمع الماضي دليل على انتشار الخبر وشيوعه .

بمكرهن: الانتقال من (قولهن) في بداية الحدث إلى (مكرهن) في نهايته هو تحول من الفعل إلى وصف الفعل الذي هو وصف لحقيقة قولهن أنه ماكر .

أرسلت: إشارة إلى تعظيمها لهن؛ رغم مكرهن بها ، وحثّا لهن على الحضور .

ملاحظة صوتية:

الأفعال (سمعت، أرسلت، أعتدت، آتت، قالت) أحدث تكرار التاء في نهاية كل هذه الأفعال انسجاما صوتيا أدى إلى نغم خفي في الآية ، فهو إيقاع واحد ملازم لنهاية كل فعل على التوالي، فهو ضربة على طبلة منتظمة متكررة .

نون النسوة: كذلك تكرار ضمير النسوة (هُنّ) المكون من مقطعين صوتيين أحدث الأثر نفسه في كلمات: مكرهن، إليهن، لهن، منهن، أيديهن، قلن .

إسناد الأفعال السابقة إلى امرأة العزيز والنسوة وضح مدى اهتمامها بهن، واقتصار الحدث عليهن، فاختفي من الصورة أي شخص بالمسرح الحدث.

اخرج عليهن: دل على أنهما كانا في مكان قريب من النسوة ومختفيان عنهن فأعطت الأمر له بالخروج بعيدا عن مسرح الحدث؛ ليقلن رأيهن بحرية تامة ، وهي أيضا قريبة من مسرح الحدث لتسمع قولهن وتعقب عليه في التو واللحظة .

فلما رأينه: الفاء تشير لسرعة رد الفعل على الحدث دون فاصل بين خروجه ورد فعلهن على ذلك الخروج، وأن كل ما حدث الآن نتيجة لخروجه فقط .

أنواع السلوك الحادث عند خروجه: تنوع ما بين:

أ. رد الفعل حركي لا إرادي: تمثل في تغيرات فسيولوجية (حيث فُسر أكبرن بمعنى حضن) وعدم إدراك حركة السكين وهي تقطعن أيديهن ولا للدم الذي ينزف من أيديهن وبين أرجلهن، هو قمة الذهول الذي غمرهن لحظة ظهر .

ب . رد فعل كلامي: تمثل في صيحتهن (في معنى آخر لأكبرن: أي عظمنه) بقولهن (حاشا لله...) هي العبارة الإشهارية اللغوية الوحيدة في هذا الموقف، وقد صدرت عن المتلقي وليس عن المشهر، وتلك العظمة في إشهارنا .

تتميز هذه العبارة بجملها القصيرة، فكل جملة تحمل معنى إشهاريا مستقلا، جملة: حاشا لله؛ تعظيم ليوسف أن يأتي بفاحشة فهي لنفي الفاحشة عنه، ثم جملة: ما هذا بشرا؛ نفي البشرية عنه، وجملة: إن هذا إلا ملك كريم، رفع لمكانته فوق البشر، لما طُبعوا عليه من أن الملائكة أعظم الخلق حسنا، وأن أقبح الخلق الشياطين (كما قال المفسرون) ذلك فيما استقر في عقل البشر .

٢. اللغة غير المنطوقة:

اللغة غير المنطوقة تشمل: اللغة الرمزية واللغة الإيحائية واللغة الانفعالية:

أ. اللغة الرمزية: في العبارة الإشهارية التي بين أيدينا كثير من الألفاظ التي حولتها اللغة إلى رموز بما تحمله من دلالات غير منطوقة نحو (حاشا لله) التي حملت رمزا إلى وجود معبود أعظم عند هؤلاء القوم؛ هو الله على الرغم من وجود شرك بالله لديهم متمثلة في آلهة كثيرة، لكن هناك الإله الأعظم الذي يذكر في مثل هذه المواقف الجليلة، وفي المحن والشدائد، واسمه معروف لديهم ومكانته .

ونحو قولهن: إن هذا إلا ملك كريم، رمز إلى ما استقر في الطبيعة البشرية من تصور الملك في الذهن قمة عظمى للجمال، وتصور للشيطان قمة القبح .

ونحو ملك كريم: رمزت إلى أن الملائكة درجات، وقد حاز يوسف أعلاها .

ونحو: وقلن، رمزت إلى تحول المتلقي إلى معلن عن السلعة وانبهاره بها

ب ـ اللغة الانفعالية: يعمل الإشهار بآليات إقناع مختلفة منها التأثير النفسي من خلال ما يعرف باللغة الانفعالية التي تختفي خلف منظومة متكاملة، تبدأ بالغاية الصريحة وتنتهي بالوضعيات المضمرة داخلها، إنه يتجاوز الوظيفة الإعلانية ليستثير داخل المستهلك انفعالات بعينها يقوده صاغرا إلى شراء المنتج، إن حجم الطاقة الانفعالية المودعة في الإشهار هو الذي يحدد أدوات الإقناع، وكيفية التسلل إلى المناطق الأكثر هشاشة داخل المستهلك من خلال الوصول إلى اللا شعور عند المستهلك ومحاولة استنطاق كل الصور النمطية التي تتجاوز ردود فعل الفرد إلى ثقافة المجتمع، إنه يبحث في الذات البشرية عن الصور التي تختبئ في اللا شعور ليعمل على إيقاظها ويجعلها مخاطبه الوحيد، فتحدثه من خلال منتج ما عن السعادة، والعودة للشباب والصبا .

إننا أمام مشهر (زليخا) يعلن عن سلعته (يوسف) استطاع أن يلعب بمهارة على تلك الرغبات الدفينة في داخل المستهلك (النسوة) وهو عارف بها، وقد استطاعت استحضرها من لا شعورهن الخفي في شكل صورة واضحة لتلك الرغبات الكامنة في نفوس النسوة، وقد تم ذلك في الخطوات الآتية:

١ـ بعد علمها بقولهن أدركت الانفعال الداخلي لهن من شغفهن لرؤيته

٢ـ فدعتهن لحفل تقديرا لهن، على الرغم مما بداخلهن من انفعال الشوق له .

٣ ـ لم تخبرهن بالغرض الحقيقي وراء تلك الدعوة وما أضمرته لهن بمكر .

٤ـ تزيين السلعة لعرضها في أجمل صورة عليهن، وقد فعلت هذا بيوسف .

٥ـ الخروج المفاجئ له دون مقدمات جعلهن ينبهرن به فكان للمفاجأة أثرها:

أ ـ رسم صورة له تفوق الواقع إلى ما هو أعظم مما في خيالهن، إنه الملك .

ب ـ حدوث تغير فسيولوجي لهن في قوله: أكبرنه أي حضن، لهول المفاجأة.

ج ـ فُقْدان الإدراك وغبن عن الوعي لشدة الانفعال، فلم يشعرن بالسكين .

د ـ وصفنه بالقمة في الجمال، وقد أسعفتهن ثقافة مجتمعهن التي ترى في المَلك قمة الجمال، ولهذا وصفنه بهذا التصور بالمَلك .

على الرغم من هذا الانفعال الذي تحدثتُ عنه ، وما رسمه له من صورة في أذهانهن وهي صورة ملك إلا أن طبيعته البشرية لازالت مستقرة بأذهانهن ، ولهذا انضممن إلي قائمة الراغبات فيه، واللائي يراودنه عن نفسه، ولذا قال عليه السلام:

﴿وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنْ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣] .

فالرغبة فيه أصبحت جماعية، وأنهن يردنه جميعا. إنها عملية نفسية قامت على تسلل هذه المرأة الماكرة إلى إثارة انفعال دفين بداخلهن، اندفعن ليقولن ويفعلن ما هو معروف، قد ساعدها في الوصول لذلك جودة المنتج المبهرة .

ج ـ **اللغة الإيحائية:** يسعى الإشهار إلى خلق واقع جديد في نفوس الآخرين، يغطي على الواقع الفعلي أو يتجاوزه أو ينفيه، إنه يتسلل بمكر إلى فضاء المتخيل والفكر الاجتماعي، كما يتسلل إلى الأخلاق والعوالم الروحية لكي يسقط كونا جديدا، فيتحول إلى متحدث وحيد باسم اللذة والحلم والدين والخرافة وهو ما يعرف عند أصحاب الإشهار الجمالي بالفكر الموارب، وتلك خاصية من خصائص اللغة الإيحائية ذاتها (بالمعاني الثانية) فالتقرير مباشر وحرفي ونفعي ولا يستجيب سوى للحاجات الأولية التي يتطلبها الوجود الإنساني، أما الإيحاء فقيمة مضافة، إنه أبعاد جديدة ينفلت من خلالها الإنسان من إكراهات الغريزي والنفعي لكي ينتشي بذاته داخل عوالم متحررة من قوانين الفضاء والزمان... فخارج هذه القوانين نبيح لأنفسنا كل شيء نحلم بركوب الرياح ومعانقة الأمواج العاتية وامتلاك النجوم، وهي لغة يفضلها الإشهار... إنها تتجنب اللغة العارية التي تذكر بالنفعي لكي تحتفي بالعالم من خلال ما تقوله لغة ثانية، إن معاييرها هي معايير الشعر: محسنات بلاغية استعارات [1].

إن اللغة الإيحائية في هذا الإشهار تعتمد على الصورة البصرية أولا، وهي صورة يوسف لحظة خروجه عليهن بما يحمله من جمال باهر فاق كل ما في اللغة من ألفاظ فعجزت أن تعبر عنه، ولذا كان الإيحاء هنا آت من اللغة البصرية، من خلال الصورة التي سيطرت على عقولهن وأفقدتهن القدرة على الإدراك لما حولهن فبدا أمامنا واقع جدي هو صورة الملك الكريم. لقد انطلق لسان هؤلاء النسوة بصيحات معلنات في لغة لفظية صريحة عن واقع جديد تكوّن في نفوسهن من خلال رؤية الصورة بالتصريح الآتي: ليس هذا المخلوق من الجنس البشري بل ملك كريم،

(١) الصورة الإشهارية: ١٩٩ ـ ٢٠٠.

أوحت لهن به اللغة البصرية الموحية، فكانت العبارة اللفظية دليلا على العبارة البصرية غير المنطوقة التي أوحت بها الصورة التي فاقت ـ كما قال المفسرون ـ ما كان في خيالهن، فلم يجدن في مخزونهن العقلي بالبنية التصورية لهن من صور البشر ما تماثل أو تقارب صورة يوسف، فأسعفتهن ما لديهن من ثقافة وتراث الاجتماعي ليمدهن بمخزون آخر، استقر لدى كل البشر، ولدى هذا المجتمع كموروث ثقافي اجتماعي؛ أن هناك ما يفوق جمال البشر، وهو جمال الملك على الرغم من أنهن لم يرينه قط، ولا أحد من مجتمعهن.

لقد أضحت اللغة البصرية وحدها هنا متمثلة في صورة يوسف ممثلا للغة الإيحائية بل أبلغ وأدل على المعنى المقصود، وأكثر إقناعا للآخرين من اللغة اللفظية، بل إنها توحي باللغة اللفظية؛ فتجعل المتلقي ينطق بتلك اللغة اللفظية التي لم تصرح بها الصورة قط بل أوحت بها إليه.

إلى جانب ما سبق فإن اللغة الموحية عملت في جمل العبارة الإشهارية، أوحت بمعان لم تُنطق، فقولهن: حاشا لله؛ أوحت بمدى تعظيمهن وانبهارهن بتلك الصورة فيفهم منها أنه جمال فاق الخيال، وأنهن قلن: ما أجمله !، وكذا عبارة: ما هذا بشرا، أوحت أنه ينتمي إلى جنس آخر من الخلق ربما يكون شيطانا أو غير ذلك من خلق الله، فتلحقها الجملة الثانية قائلة: إن هذا إلا ملك كريم لتحدد جنسه ـ كما في ظنهن ـ وصفة هذا الجنس الملائكي أنه من جنس الملائكة الكرام.

هذه العبارة الإشهارية صنعت لنا عالما خياليا جديدا، يلج فيه المتلقي ليحيا معه في داخل ذلك العالم الملائكي، هذا ما نعنيه بأن اللغة الموحية تخلق في ذهن المستمع عالما من الخيال يتحرر فيه من قوانين الواقع وقيوده، وهو يتسرب إلى داخل الذهن في مكر وهدوء لا يشعر به أحد.

د. الفضاء الذهني:

إننا لفهم عمل الفضاء الذهني في هذه الصورة لا بد أن نستدعي إلى ذهننا صورتين مختلفتين، ونقارن بينهما ليتضح عمل الفضاء الذهني هنا.

الصورة الأولى: إنها صورة يوسف في أذهان هؤلاء النسوة قبل أن يأتين إلى بيت امرأة العزيز فقد سمعن عنه وأردن رؤيته، فقد تصورنه وبنين له صورة في البنية التصورية لهن هي صورة عبد كنعاني عبراني قادم من الصحراء يعلوه غبار البادية وتكسوه خشونة الصحراء ورمالها، يعمل عبدا عند سيدته، أنهكته أثقال العمل المستعبد فيه كخادم لسيدته ربما به مسحة من جمال، هذا منتهى الأمل فيه، لا يرقي إلى درجة أن تقع في حبه سيدة شريفة زوجة عزيز مصر، لا يستحق أن يحتل في قلبها مكان الشغاف لما لها من مكانة وجمال وثراء يزيدها حسنا، تلك صورة يوسف في الفضاء الذهني لهن قبل مجيئهن إلى القصر، هذا ما في الفضاء الذهني وهن قادمات.

الصورة الثانية: صورة يوسف عندما ظهر أمامهن، إنه يتحرك في تلقائية وعفوية تامة، ولا يعرف أحد من هو سوى أنه أحد الحضور في القصر بين الخدم، لكنهن قد رأينه في الواقع الملموس بصورة جديدة حطمت ومحقت الصورة الذهنية السابقة التي في البنية التصورية لهن، فقد رأينه ملكا كريما يمر أمامهن فاق جماله ما في الخيال، فذهبن يتلمسن له مثيلا في عالمهن الواقعي فلا يجدن فيسرعن إلى عالم الخيال، وإلى المخزون الثقافي الاجتماعي يبحثن فيه عن المثيل، فوجدن فيما طبع الله عليه البشر كلهم وأدخله في موروثهم الثقافي والاجتماعي صورة المَلَك التي لم تُر أصلا لهن ولا لسواهن، فاستغثن بها وصرخن عليها لتنجيهن من تلك الحيرة، ولتجيب على سؤالهن: من هذا ؟!! فوجدن في مخزونهن خبرا عن تلك الصورة؛ فقلن: إن هذا إلا ملك كريم، سمعنا

عنه ولم نره، وها نحن الآن نراه أمامنا متمثلا في شخص يوسف، فهو قد فاق البشر في الحسن فكان من الملائكة الكرام، لكنهن بعد ذهاب الدهشة والذهول عنهن رأين أنه لازال بشرا، فقلن: لم لا نراوده نحن أيضا عن نفسه؛ فلعل تلك المرأة لم تعجبه، ولماذا تنعم امرأة العزيز بهذا الجمال وحدها، لقد عادت ليوسف صورته البشرية في أذهانهن، فكان رده عليهن بأن طلب من ربه مستغيثا به أن يسجن ولا يقع فيما يغضب ربه فاستجاب له، أن هذا الطلب هو ما هددنهن به، ففضله عليه السلام على الوقوع بالمعصية .

وقد قيل فيما ذكرته آنفا عن جمال يوسف مما رواه المفسرون الكثير من الجمال الجسدي ونور النبوة والهداية السماوية، فقد آتاه الله شطر الحسن .

لقد تكونت داخل البنية التصورية لهن صورة جديدة لذلك الفضاء الذهني الخاص بهن، بعد أن تحطمت الصورة السابقة ليوسف في البنية التصورية، وبالمقابلة بين الفضاءين يتضح الفرق بينهما، ودور الفضاء الذهني الجديد في فهم الصورة الحقيقية ليوسف، وقبول وصفهن له بعد ذلك بالملك، ودور المخزون العقلي والثقافي والإرث الاجتماعي في تصنيف هذا المخلوق .

ثالثا: النظريات اللغوية الحديثة:

أ. نظرية المزج المفهومي:

تقوم عملية المزج المفهومي بتحليل كيفية خلق المفاهيم الجديدة في ذهن المتلقي ليقتنع بذلك المنتج، والمزج ملكة عرفانية تقوم على جملة من العمليات الطبيعية التي يشتغل فيها الذهن بجميع مظاهره بصورة عفوية آلية، عاملة زمن التفكير (آن ـ قولية) أي أن عملية المزج تتم لحظة

الحديث وبطريقة عفوية، فأنا أحدثك وأحاورك وترد عليّ؛ وفي اللحظة نفسها تتم عمليات عقلية آنية لحظة الكلام، فتظهر نتائج هذا التفكير في الكلام وأثنائه .

ومحور هذه العملية في هذا الإشهار ليس العبارة الإشهارية، بل في عملية رؤية يوسف لحظة خروجه عليهن، ليتبدل الرأي لديهن من ساخرات منها ولائمات لها على حبها له؛ إلى مؤيدات لها وذلك بعد النظر إليه، وعملية المزج هنا تتم بين فضاءين (الصورة الذهنية ليوسف قبل رؤيته) و (الصورة الذهنية له بعد رؤيته) في عقول النسوة، ثم يظهر الناتج عن عملية المزج هذه (صورة الملك) فهي منتج غير موجود في الفضاءين الدخلين، بل تكوّن منهما إنه المعنى الجديد الناتج عن عملية المزج المفهومي، المعنى غير الموجود في الفضاءين الذهنيين الدخلين، فعملية المزج هي ميلاد لمعنى جديد (الملك) .

الأفضية الذهنية:

الفضاء الدخل الأول: (أ) صورة يوسف في ذهن النسوة قبل رؤيته .

الفضاء الدخل الثاني: (ب) صورة يوسف عند رؤيتهن له .

فضاء الجامع: يتم فيه الجمع بين الفضاءين الدخلين، والمقابلة بينهما من خلال عملية إسقاط للمعارف المتعلقة بالدخلين في الذهن المتلقي .

فضاء المزيج: هي عملية يتطابق بمقتضاها الفضاءان الدخلان تطابقا جزئيا ينعكس قسم من عناصر كل منهما عن طريق الانتقاء في الفضاء رابع، وهو فضاء المزيج الذي تتوالف فيه مكونات مختلفة من الفضاءين فينشأ فيه عن طريق الاستدلال معان جديدة ما من أثر لها في الفضاءين الدخلين، ويقوم المزج على عدد من العمليات هي: التركيب ـ الإكمال ـ البلورة .

إن النسوة هنا قد جمعن في أذهانهن في التو واللحظة (أي لحظة رؤيته) بين الفضاءين الدخلين وتم التوليف بينهما لينتج معنى جديد هو صورة الملك، وهو منتج جديد غير موجود في الفضاءين الدخلين: أ، ب .

إن المنتج الجديد (صورة الملك) قد أتي من الجمع بين صورة يوسف قبل مجيء النسوة إلى القصر، وصورة يوسف التي رأينها بالفعل عندما قالت له: اخرج عليهن كما حللت ووضحت ذلك نظرية المزج المفهومي .

ب. النظرية العرفانية:

تقوم هذه النظرية بدراسة العمليات العقلية التي تتم داخل الذهن لفهم الأشياء والعالم من حولنا، ذلك بمحاولة فهم مجال من خلال مجال آخر، كما يظهر هذا بوضوح في عمليات الاستعارة بأنواعها المختلفة، وذلك بعمليات إسقاط للسمات الانتقائية بين الشيئين، لتتم عملية الفهم المطلوبة .

وفي هذا الإشهار قد تمت عملية الإسقاط بين شيئين هما صورة يوسف عليه السلام عندما ظهر عليهن بجماله السالب للعقول، بين صورة المَلَك المستقرة في البنية التصورية لهن، فهن يعرفن صورة الملك - وإن لم يرينها قط - من خلال ما استقر في تلك البنية كمورث ثقافي وتراثي واجتماعي، أتاهن من بيئتهن ومجتمعهن بل ما استقر في البنية التصورية لكل البشر من أن الملك قد بلغ المنتهى في الجمال الكوني، وليس البشري فقط، فلا يوجد في الكون من خلق الله أجمل من الملك.وعلي النقيض يكون الشيطان فقد بلغ المدى في القبح .

لقد استعنّ بصورة الملك (مجال المصدر) لفهم الصورة الثانية: صورة يوسف باهر الجمال (مجال الهدف) فتتم تلك عملية الإسقاط كما يأتي:

المعارف المتعلقة بمجال المصدر (الملك) - >> عملية إسقاط للسمات الانتقائية على المعارف المتعلقة بمجال الهدف (يوسف) - >> فهم مجال الهدف يوسف .

لقد فهمن الصورة المبهرة ليوسف التي أمامهن، ولم يجدن لها اسما أو وصفا، لكنهن توصلن إلى فهمها وإيجاد اسم لها من خلال عملية إسقاط ذهني خرج منها اسم جديد ليوسف أنه ملك، وذلك عن طريق أسلوب بلاغي راقي هو القصر (بالنفي والاستثناء) فنفي أن يكون يوسف تابعا لجنس البشر كله، بل هو قاصر على جنس آخر وهم الملائكة وهذا عمل النظرية العرفانية، فقد أعانتنا على فهم مجال من خلال مجال آخر بعملية الإسقاط بين تلك السمات الانتقائية .

أثر البنية التصورية في سلوك النسوة (آليات العملية العرفانية):

البنية التصورية: المصنع الذي تُجمع فيه المادة الخام (المعلومات المتوفرة لدي الفرد عن الشيء) وتتفاعل معا في داخله لتقديم تقرير عنها للذهن، هذه البنية التصورية هي المستوى الوحيد للتمثيل الذهني، أي من يصنع التمثيل الذهني للأشياء، يقول جاكندوف: (إن البنية التصورية يمكن أن تكون مستوى أعمق من البنية الدلالية يرتبط بها بمكون قاعدة تسمى في الغالب التداولية، وهي تخصص علاقة المعنى اللغوي بالخطاب وبالخلفيات غير اللغوية) [1] .

فالبنية التصورية تسبق في التكوين البنية الدلالية بل تصنعها، فتأتي الدلالة بعد أن تقوم البنية التصورية بعملية التمثيل الذهني؛ فكوّنتْ تمثيلا ذهنيا لذلك المعنى، الذي يظهر في شكل ألفاظ تعبر عنه .

لو قابلنا بين ما حدث للنسوة عند رؤية يوسف؛ لأمكننا أن نربط بين هذه العمليات العقلية المتتالية وما ورد في النص القرآني، كما يأتي:

١ـ ما في البنية التصورية لهن عند دخولهن القصر (صورة عبد كنعاني) .

(١) المرجع السابق: ٧١.

٢ـ ما حدث لحظة رؤيته:

أ ـ تدمير الصورة السابقة التي في البنية التصورية، أي التمثيل الذهني له .

ب ـ بناء تمثيل ذهني جديد له داخل عقلهن، أي في بنيتهن التصورية عنه .

ج ـ حدوث لحظة دهشة وذهول لهن (لإتمام عملية بناء تصور جديد له وهدم التصور القديم عنه) تم فيها فقدان الإدراك بما حولهن، فقدن فيها الشعور بحواسهن، فقطعن أيديهن دون أن يشعرن بألم، وحضن من هول تلك الصورة التي دخلت على البنية التصورية لهن فدمرت التمثيل الذهني له، وكانت المدخلات الجديدة (مصدر المعلومات الداخلة للذهن) من حاسة البصر هي صورة يوسف التي أتت إليهن من أبصارهن .

د ـ تطور الصورة بانتقالها من البنية التصورية إلى البنية الدلالية في شكل كلمات تحمل دلالات مختلفة: وذلك بقولهن: حاشا لله ما هذا بشرا .

هـ ـ البحث في البنية التصورية عن تمثيل ذهني يشبه أو يماثل هذه الصورة (صورة يوسف) فوجدن في مخزونهن التراثي والثقافي والاجتماعي صورة الملك؛ فالتقطنها كصورة متخيلة؛ وليس كصورة حقيقية رأينها، ثم اتجهن إلى البنية الدلالية، فأخذن اسم هذه الصورة (صورة الملك) وأطلقنها عليه قائلات: إن هذا إلا ملك كريم .

لقد صور التعبير القرآني هذا الحدث بالترتيب كما حدث بالفعل داخل أذهان هؤلاء النسوة، ولكنه تم في سرعة البرق، كما في هذا الشكل:

١ـ رؤية يوسف ـ > لحظة دهشة (تتم فيها عملية عقلية معقدة بسرعة شديدة)، تتم في لحظة الدهشة فقدان الإدراك والسيطرة على الحواس والجوارح .

٢ـ الحدث التالي للحظة الدهشة ـ > صيحة (حاشا لله) تعبيرا عن عدم الفهم .

٣ـ البحث عن صورة مماثلة له في ذهنهن ـ > النتيجة لا يوجد (ما هذا بشرا) .

٤ـ البحث مرة أخرى ـ > النتيجة يوجد لكن ليس من جنسه (هذا ملك كريم) .

كل هذه العمليات العرفانية العقلية التي تمت في داخلهن قد عبرت عنها تلك الكلمات في سرعة شديدة كأنها تقول: وصلنا من خلال تلك العمليات العقلية إلى تلك النتيجة التي شهدنا بها كلنا أن يوسف فائق الجمال، فهو ملك كريم .

ج. النظرية التداولية:

يقوم هذا الإشهار على عبارة إشهارية حوارية تداولية بين النسوة وامرأة العزيز، وهي (حاشا لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم) وهذا الحوار تم بين النسوة وأنفسهن، وهن يعتقدن أن لا أحد يسمعهن، فجأة تدخل زليخا في الحوار قائلة (فذلكن الذي لمتنني فيه) كأن الهدف من عرضها السلعة عليهن (يوسف) ليس البيع بل لغرض آخر وهو دفع اللوم عنها بأن ذاك الشاب الذي بهركن بجماله فقلتن فيه هذا القول؛ هو ذاك الشاب الذي وقعت في حبه .

قام الحوار على عناصر:

١ ـ الإشاريات: ضمائر (غائب: الهاء [فيه])

اسم الإشارة: (هذا ، هذا ، ذلكن) .

٢ ـ الافتراض السابق: الافتراض الأول في: ما هذا بشرا ، أنهن تصورنه بشرا به شيء من حسن، على افتراض معرفتهن به مما سمعنه من قبل، لذا الآن يرفضن كونه بشرا .

الافتراض الثاني في قولها: فذلكن، على أساس الافتراض السابق أن يكون اسم الإشارة في ذلكن إشارة للخبر البعيد الذي جئن به عن يوسف أنه مجرد عبد كنعاني عشقته سيدته، وتلام من قومها ومجتمعها على فعلها هذا .

٣ ـ الاستلزام الحواري: الاستلزام الحواري هنا يوجب تحديد من المقصود بأسلوب القصر، وذلك بذكر اسمه (أي المرجع في اسم الإشارة: هذا، هذا، فذالكن) لكنهن لم يذكرن اسمه لأنهن لسنا في حاجة لذكر اسمه لمعرفة الطرفين به (المتكلم والمخاطب) فهو أمامهن، فاكتفين بالإشارة إليه، فأوجب الاستلزام الحواري عدم ذكر اسمه .

يقوم الاستلزام الحواري على مبدأ التعاون من خلال تحديد المقصود باسم الإشارة، أي ما تم التعارف عليه بينهم بالمشار إليه (هذا = يوسف) المرجع، وهنا يقوم هذا الحوار على مبدأ التعاون والصدق بينهم، لينتج عنه نجاح عملية التفاهم والتواصل .

٤ـ الأفعال الكلامية: يمكن النظر إلى عبارتنا الإشهارية على أن بها نوعين من الأفعال الكلامية:

أـ الإخباريات: هي الأفعال التي تصف وقائع وأحداثا في العالم الخارجي، وتقوم بنقل الواقع نقلا أمينا؛ كما في: ما هذا بشرا، إن هذا إلا ملك كريم .

ب ـ تعبيرات: وهي أفعال يعبر بها المتكلم عن مشاعره المختلفة، كالتعبير عن تعظيم الله في قولهن: حاشا لله .

تم تحليل هذه العبارة بمضامينها التي تخفيها خلف ألفاظها القليلة من خلال هذه النظرية التي تقوم على دراسة اللغة كوسيلة تستعمل للتوصل بين الناس فكانت قوة الإنجاز في الفعل الكلامي هنا قد أتت من أسلوب القصر القائم على النفي والاستثناء، إن هذا إلا ملك كريم .

القسم الرابع : في رجولته :

هذا هو الإشهار الرابع ويضم أنواعا مختلفة من الإشهار عن يوسف، فقد بلغ مرحلة النضج العقلي والبدني، وأصبح قادرا على أن يعمل في وظائف تحتاج إلى حرفية ومهنية عالية، ومن بين هذه الوظائف :

١ـ وظيفة مفسر أحلام .

٢ـ وظيفة مستشار الملك.

٣ـ وظيفة وزير زراعة.

الوظيفة الأولى : وظيفة مفسر أحلام :

ويبدأ إعداد يوسف لهذه الوظيفة منذ نعومة أظافره، إلى أن أصبحت علما تخصص فيه، وقد ورد الحديث عن تلك المهنة التي برع فيها يوسف؛ بما علمه الله مقترنة به في مواضع كثيرة في السورة هي :

أ ـ بشارة أبيه له بالعلم بها : ﴿**وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ**﴾ [يوسف: ٦] .

ب ـ ضمن ما علمه الله: ﴿**وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ**﴾ [يوسف: ٢١].

ج ـ تأويل رؤيا السجينين: ﴿**نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [يوسف: ٣٦] .

د ـ تأويل رؤيا الملك: ﴿**أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (٤٥) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا (٤٦)**﴾ [يوسف] .

هـ ـ تأويل رؤيا يوسف: ﴿**وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا**﴾ [يوسف: ١٠٠] .

و ـ يوسف يعدد نعم الله عليه: ﴿**رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ**﴾ [يوسف: ١٠١] .

الوظيفة الثانية: مستشار الملك:

بعد أن تبين للملك علم يوسف وأخلاقه؛ طلب منه أن يكون مستشارا له، ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾ [يوسف: ٥٤] .

قال ابن كثير: " ائتوني به أستخلصه لنفسي أي أجعله من خاصتي وأهل مشورتي " [١] وقد حدد هذه الوظيفة باسمها المعاصر الشيخ الشعراوي بقوله: " والمرة الثانية عندما أراد الملك أن يستخلصه لنفسه ويجعله مستشاراً له "[٢] وهو طلب صريح له من الملك أن يكون مستشارا له، فاختار يوسف وظيفته بنفسه " وزير زراعة ".

الوظيفة الثالثة:

الإشهار عن وظيفة وزير زراعة: (يوسف يطلب وظيفة ويُشْهِر عن نفسه):

﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٥] .

وظيفة وزير زراعة:

مقدمة:

أعلن يوسف عن نفسه وقدم أوراقه ومؤهلاته للحصول على هذه الوظيفة، وهي المرة الأولي التي يطلب فيها وظيفة ويشهر عن قدراته فيها، فقد كان يُطلب دائما فيما سابق وظائف: (ابن، مفسر أحلام، مستشار) .

وقد اخترت وظيفة واحدة، هي وظيفة (وزير زراعة) لأتناولها بالدراسة والتحليل لأن العبارة الإشهارية هنا قصيرة واضحة ومحددة؛ ذكر يوسف فيها طلبه لها صريحا، وأخبرنا فيها عن مؤهلاته وقدراته وخبراته .

وقوله: خزائن الأرض يعنى بها الزرع، فماذا كان يخرج من الأرض في عصره إلا الزرع، فهي خزائن الأرض حتى الآن .

---

(١) تفسير القرآن العظيم: ج٢، ص٤٨٢.

(٢) من أحاديث الشيخ المدونة بالشبكة العنكبوتية في تفسيره لهذه الآية .

فقال للملك: اجعلني على خزائن الأرض، وهو تأكيد على أن مصر ستظل بعون الله خزائن الله في أرضه لكل خلقه (حفظ الله مصر من كل سوء) .

أولا: مع المفسرين:

تفسير القرطبي:

الأول: قوله تعالى: (قال اجعلني على خزائن الأرض) قال سعيد بن منصور: سمعت مالك بن أنس يقول: " مصر خزانة الأرض أما سمعت إلى قوله: (اجعلني على خزائن الأرض) أي على حفظها فحذف المضاف (إني حفيظ) لما وليت (عليم) بأمره.

وفي التفسير: إني حاسب كاتب وأنه أول من كتب في القراطيس. وقيل (حفيظ) تقدير الأقوات (عليم) بسني المجاعات .

الثاني: أنه لم يقل: إني حسيب كريم، وإن كان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم) ولا قال: إني جميل مليح، إنما قال: إني حفيظ عليم، فسألها بالحفظ والعلم لا بالنسب والجمال .

الثالث: إنما قال ذلك عند من لا يعرفه فأراد تعريف نفسه، وصار ذلك مستثنى من قوله تعالى: (فلا تزكوا أنفسكم) .

الرابع: أنه رأى ذلك فرضا متعينا عليه؛ لأنه لم يكن هنالك غيره هو الأظهر والله أعلم، ودلت الآية أيضا على أنه يجوز للإنسان أن يصف نفسه بما فيه من علم وفضل؛ قال الماوردي: " وليس هذا على الإطلاق في عموم الصفات ولكنه مخصوص فيما اقترن بوصله أو تعلق بظاهر من مكسب وممنوع منه فيما سواه، لما فيه من تزكية ومراءاة، ولو ميزه الفاضل عنه لكان أليق بفضله؛ فإن يوسف دعته الضرورة إليه لما سبق من حاله، ولما يرجو من الظفر بأهله "[1] .

(١) تفسير القرطبي: ج٥، ص٣٤٤٢.

ونستخلص من كلام القرطبي النقاط الآتية :

أ ـ أن مصر هي خزائن الأرض .

ب ـ معنى كلمتي حفيظ وعليم .

ج ـ لمَ اختار صفتي حفيظ وعليم فقط ؟ .

د ـ لمَ طلب الوظيفة وهل يجوز له ؟ .

تفسير الرازي:

زاد الرازي في إيضاح أمور مما قالها القرطبي منها:

جواز طلب الولاية: قال:

١ـ إن التصرف في أمور الخلق كان واجباً عليه، فجاز له أن يتوصل إليه بأي طريق كان، إنما قلنا: إن ذلك التصرف كان واجباً عليه لوجوه:

الأول: أنه كان رسولاً حقاً من الله تعالى إلى الخلق، والرسول يجب عليه رعاية مصالح الأمة بقدر الإمكان.

والثاني: وهو أنه عليه السلام علم بالوحي أنه سيحصل القحط والضيق الشديد الذي ربما أفضى إلى هلاك الخلق العظيم فلعله تعالى أمره بأن يدبر في ذلك، ويأتي بطريق لأجله يقل ضرر ذلك القحط في حق الخلق .

والثالث: أن السعي في إيصال النفع إلى المستحقين ودفع الضرر عنهم أمر مستحسن في العقول. وإذا ثبت هذا فنقول: إنه عليه السلام كان مكلفاً برعاية مصالح الخلق من هذه الوجوه، وما كان يمكنه رعايتها إلا بهذا الطريق، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فكان هذا الطريق واجباً عليه، ولما كان واجباً سقطت الأسئلة بالكلية ...

٢ـ لمَ مدح نفسه: وأما قوله لم مدح نفسه فجوابه هو:

أنه لا نسلم أنه مدح نفسه لكنه بين كونه موصوفاً بهاتين الصفتين النافعتين في حصول هذا المطلوب، وبين البابين فرق وكأنه قد غلب على ظنه أنه يحتاج إلى ذكر هذا الوصف؛ لأن الملك وإن علم كماله في علوم الدين لكنه ما كان عالماً بأنه يفي بهذا الأمر، ثم نقول هب أنه مدح نفسه إلا أن مدح النفس إنما يكون مذموماً إذا قصد الرجل به التطاول والتفاخر والتوصل إلى غير ما يحل، فأما على غير هذا الوجه فلا نسلم أنه محرم فقوله تعالى: [فَلاَ تُزَكُّواْ أَنفُسَكُمْ] [النجم: ٣٢] المراد منه تزكية النفس حال ما يعلم كونها غير متزكية، والدليل عليه قوله تعالى بعد هذه الآية: [هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتقى]، أما إذا كان الإنسان عالماً بأنه صدق وحق فهذا غير ممنوع منه والله أعلم .

٣ ـ فائدة أنه حفيظ عليم: " إنه جار مجرى أن يقول حفيظ بجميع الوجوه التي منها يمكن تحصيل الدخل والمال، عليم بالجهات التي تصلح لأن يصرف المال إليها.

ويقال: حفيظ بجميع مصالح الناس، عليم بجهات حاجاتهم أو يقال: حفيظ لوجوه أياديك وكرمك، عليم بوجوب مقابلتها بالطاعة والخضوع وهذا باب واسع يمكن تكثيره لمن أراده "[1].

نستخلص من قول الرازي إضافات جديدة لما ذكره القرطبي:

١ـ طلب يوسف للوظيفة جاء بعدما أبدى الملك حيرته فيمن يقوم بهذا العمل .

٢ـ طلب يوسف جاء بعد علمه بأنه لا يوجد من يقوم بهذا العمل سواه .

٣ ـ الصفات التي ذكرها يوسف عن نفسه ضرورية ولازمة لهذا العمل

٤ـ أكد الرازي على أن الأرض المقصودة في الآية هي مصر .

(١) التفسير الكبير: المجلد التاسع، ج١٨، ص١٣١ ـ١٣٣.

تفسير الألوسي:

لخص القصة مع إضافات قال: " قال اجعلني على خزائن الأرض أي أرض مصر، وفي معناه قول بعضهم أي أرضك التي تحت تصرفك، وقيل: أراد بالأرض الجنس وبخزائنها الطعام الذي يخرج منها، وعلى متعلقة على ما قيل - بمستول - مقدر، والمعنى ولني على أمرها من الإيراد والصرف إني حفيظ لها ممن لا يستحقها عليم بوجوه التصرف فيها، وقيل: بوقت الجوع.

وقيل: حفيظ للحساب عليم بالألسن، وفيه دليل على جواز مدح الإنسان نفسه بالحق إذا جهل أمره، وجواز طلب الولاية إذا كان الطالب ممن يقدر على إقامة العدل وإجراء أحكام الشريعة وإن كان من يد الجائر أو الكافر، وربما يجب عليه الطلب إذا توقف على ولايته إقامة واجب مثلا وكان متعينا لذلك "[1].

تفسير ابن عطية الغرناطي:

وقوله تعالى: (اجعلني على خزائن الأرض) فهم يوسف عليه السلام من الملك أنه عزم على تصريفه والاستعانة بنظره في الملك، فألقى يده في الفصل الذي تمكنه فيه المعدلة ويترتب له الإحسان إلى من يجب، ووضع الحق على أهله وعند أهله... (حفيظ عليم) صفتان تعم وجوه التثقيف والحيطة لا خلل معهما لعامل.

وقد خصص الناس بهاتين الصفتين أشياء، مثل قولهم: حفيظ بالحساب عليم بالألسن وقول بعضهم: حفيظ لما استودعتني عليم بسني الجوع، وهذا كله تخصيص لا وجه له، وإنما أراد باتصافه أن يعرف الملك بالوجه الذي به يستحق الكون على خزائن الأرض فاتصف بأنه يحفظ المجبي من كل جهة تحتاج إلى الحفظ. ويعلم التناول أجمع "[2].

---

(١) روح المعاني: المجلد السابع، ص٣٦٤.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية الغرناطي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد ، ط دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ٢٠٠٧م، المجلد الثالث، ص٢٥٦.

نخرج من كلام ابن عطية بما يأتي:

١- أن يوسف فهم من كلام الملك أنه يريد أن يكلفه بهذا العمل، لذا طلبه منه .

٢- أن المقصود بالحفظ والعلم مطلق اللفظ وعموم المعنى بلا تحديد أو قصر وهذا أفضل في تأويل معنى الصفتين، فيجوز بذلك شمل كل فروع المعنيين .

قال الشعراوي:

إذن: فمن حقِّ الإنسان أن يطلب الولاية إذا تعيَّن عليه ذلك، بأن يرى أمراً يتعرض له غير ذي خبرة يُفسد هذا الأمر، وهو يعلم وَجْه الصلاح فيه. وهنا يكون التدخل فرض عين من أجل إنقاذ المجتمع. وفي مثل هذه الحالة نجد مَنْ طلب الولاية وهو يملك شجاعتين: الشجاعة الأولى: أنه طلب الولاية لنفسه؛ لثقته في إنجاح المهمة، والشجاعة الثانية: إنه حجب من ليس له خبرة أن يتولى منصباً لا يعلم إدارته، وبهذا يصير الباطل متصرفاً. وبذلك يُظهر وَجْه الحق؛ ويُزيل سيطرة الباطل[1] .

وهذا القول يبين ضرورة طلب الوظيفة لمن له القدرة عليه وضرر عدم تقدمه لها بأن يتقدم من لا يستحق لها وهو تضييع الأمانة التي تعنى إسناد الأمر إلى غير أهله .

ثانيا : الدراسات اللغوية الحديثة:

١- الإشهار والتواصل:

هذا الإشهار يحقق تواصل الاجتماعي، حيث يتم من خلاله تبادل المنفعة بين أفراد المجتمع فهنا رجل يبحث عن عمل وهناك رجل يبحث عن عامل فيقوم الإشهار بتحقيق المنفعة المتبادلة بينهما فقد قيل: إن ملك كان يبحث عما يوليه هذه الوظيفة بعد علمه بسنوات القحط القادمة،

(١) من أحاديث الشيخ المدونة علي الشبكة العنكبوتية.

فكان إشهار يوسف عن نفسه وتقديم مؤهلاته هي وسيلته في التواصل مع صاحب العمل وبذلك يتم التواصل الاجتماعي بين البائع والمشتري .

أ. الغاية غير المعلنة من الإشهار:

قد يبدو لمن لا يدرك الغاية الخفية لهذا الإشهار، أنه طلب وظيفة يتقدم به يوسف لغاية محددة هي العمل عند الملك.لكن الأمر أكبر من ذلك ـ كما ذكر المفسرون ـ هو إقامة العدل بين الناس الفقراء الذين عاش بينهم في السجن، وما عاشه في حياة البادية في صباه من شدة الفقر، يقول النسفي: " قال يوسف ولنيّ على خزائن الأرض يعني مصر إني حفيظ عليم وصف نفسه بالأمانة والكفاية، وهما طلبة الملوك من يولونه، إنما قال ذلك ليتوصل إلى إمضاء أحكام الله، وإقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما من أجله بُعث الأنبياء إلى العباد، ولعلمه أن أحدا غيره لا يقوم مقامه في ذلك، فطلبه ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا [1] .

هذه هي الغاية غير المعلنة وراء ذلك الطلب، وقد ذكر من الصفات ما يناسب هذه الوظيفة وهي العلم والأمانة والحفاظ عليها وتلك صفات الأنبياء .

ب. اللغة المنطوقة وغير المنطوقة:

اللغة المنطوقة:

العبارة التي خرج فيها هذا الإشهار جاءت في جملتين قصيرتين فقط، وعلي الرغم من ذلك فقد حققتا الغرض التواصلي منهما، فقد تضمنت الجملة الأولى طلب شغل الوظيفة، والثانية المؤهلات التي تجيز له شغل هذه الوظيفة .

(١) تفسير النسفي: ٢٢٧/٢، انظر تفسير الرازي: ج١٨، ص١٣٣، والقرطبي: ج٥، ص٣٤٤٥ .

تضمنت الجملة الأولى استعارة: حيث شبه ما يخرج من الأرض من زرع بالنفائس والدرر التي توضع في الخزائن، والأرض هي تلك الخزائن وحذف هذه النفائس وأتي بشيء من صفاتها أنها تُخزّن، وجاء الجمع في خزائن ليفيد الشمول، وجاء التعريف في الأرض للعموم والشمول لكل ما في أرض الله الواسعة، وإن كان الغرض منها مصر فقط، فعمم المعنى ليعظم من مصر وهذا التعريف أيضا تعريف العهد، وهي الأرض المعهودة لهم أي أرض مصر وعلى أفادت معنى السيطرة وتولي كل شئون الأرض.

تضمنت الجملة الثانية تأكيدا على علمه وحفظه بإنَّ، وهي تعليل للطلب الذي في الجملة الأولى بتقديم ما يبرر طلبه فيها بالوظيفة .

اللغة غير المنطوقة:

اللغة الرمزية:

جاءت ألفاظ العبارة لترمز إلى أشياء كثيرة، فكلمة خزائن رمزت إلى أشياء قيل: إن منها الأرض الزراعية وما تخرجه من قمح تصل قيمته فوق الذهب، وقيل خزائن الأموال وما بها من كنوز، وقيل إن الأرض يقصد بها أرض مصر أو أرض الله عامة، وقيل إنه عليم بشؤون الزراعة، وقيل علمه بالحساب وعلوم أخرى وعليم بشئون الفقراء والمحتاجين، وقيل في حفيظ إنه حافظ لما يوكل إليه من أمور الدولة ولأموال الملك .

اللغة الانفعالية:

لغة تخاطب النفس الإنسانية من وراء حجاب، وتلعب دورا كبيرا في الإقناع الإشهاري يقول سعيد بنكراد: " إن ما هو أساسي في الإشهار هو حجم الطاقة الانفعالية المودعة في الوصلة، فهو وحده الذي يحدد أدوات الإقناع ويحدد سبل التسلل إلى أكثر المناطق هشاشة داخل ذات الاستهلاك. إن البداية كانت من اللاشعور واستبطانه ومحاولة استنطاق كل الصور النمطية التي تتجاوز... ردود فعل الفرد لكي تشمل الثقافة

كلها... بل يستثمر كل ما يشوش على الوجود الإنساني ذاته، خوفه واكتئابه وقلقه وإحساسه بالذنب والشعور بالوحدة إنها كلها أحاسيس يمكن تحويلها من خلال حالات الإقناع السري إلى محفزات للشراء، بل قد يكون هناك في نفسية المستهلك ما يدعو إلي ذلك [1] من هذه النقطة الأخيرة ينطلق حديثنا عن الجانب الانفعالي في إشهارنا، إنها الحالة النفسية التي وقع فيها الملك بعد رؤياه وتفسيرها الذي زاده قلقا، حيث بين له أنه سيواجه وشعبه سنوات عجاف، يهلك فيهن الحرث والنسل ويضيع الشعب ويفنى وفي ذلك فناء له هو، فلا ملك بلا شعب، ولهذا بحث عن الحل وظهر خوفه وحيرته في طلبه السريع لرجل يتولى مسئولية الزراعة والحفاظ عليها في تلك الفترة لإخراج البلاد من ذلك الهلاك الأكيد .

فكان ظهور يوسف في هذه اللحظة وطلبه لهذه الوظيفة؛ بمثابة طوق نجاة له، فقبل هذا الطلب ووافق عليه (علي الرغم من بعض الأقوال التي ترى أنه أمهله عاما حتى ولّاه هذا العمل) .

إن شعور الخوف الذي سيطر على الملك، ولم يدركه إلا يوسف جعله يفكر في تاريخ يوسف الصديق المذكور أمامه من علم بتأويل الرؤيا وأمانة المال والأعراض، إلى جانب ما تتطلبه هذه الوظيفة من مؤهلات خاصة أرفقها يوسف في طلبه وهي العلم والحفظ، وظهرت الطاقة الانفعالية في العبارة متفجرة من كلمتين أو قل من صفتين في يوسف: الحفظ والعلم، فالأولى: شفت غليله من الخوف علي ضياع إنتاج الأرض فهو (حفيظ)، والثانية: طمأنت نفسه على نجاح عملية الزراعة وتخزين المحصول بنجاح (عليم) .

(١) الصورة الإشهارية:٢١٢ ـ ٢١٣.

إنها منظومة معقدة، تساهم في صنعها عناصر ظاهرة في شكل: كلمات وأحداث وعناصر خفية من التأثير الانفعالي، والولوج إلى اللا شعور والتخفي للوصول إليه من خلال الفكر الموارب، الذي يدخل إلى العقل فيقنعه دون أن يعلن عن غرضه الخفي أو سر اختفائه فيصل إلى ما يريد من خلال استغلال الحالة الانفعالية للمتلقي وكيفية إثارتها؛ ليصل لما يريد .

اللغة الإيحائية:

يحرص الإشهار على خلق واقع جديد للتغطية على الواقع الفعلي أو تجاوزه أو نفيه، هذه أهم خصائص اللغة الإيحاء، إنها قيمة مضافة، وهي أبعاد جديدة ينفلت من خلالها الإنسان من إكراهات الغريزي والنفعي لكي ينتشي بذاته داخل عوالم متحررة من قوانين الفضاء والزمان [1] .

هذا العالم الجديد والواقع الذي ينشده المتلقي (الملك) في هذا الإشهار (النجاة من سنوات القحط) وهي التي تنتظره ـ كما أخبره يوسف ـ فعندما عرض عليه يوسف تولى المسئولية، ولوّح له بأهم صفتين يمكن أن تحققا هذا الأمل الكبير والمطلب الخفي في نفسه، وهما (الحفظ والعلم)، فكان عمل اللغة الإيحائية متمركزا في بناء تصور ذهني للنجاة بنفسه من خلال صفتين فقط، تلك العملية جعلت الملك يوافق على طلب يوسف لتلك الوظيفة .

ذكر المفسرون أن يوسف أخطأ في طلبه للوظيفة، مما جعل الملك يمهله عاما حتى يستجيب له، وعلي الرغم من هذا فإن طلب يوسف لهذه الوظيفة أفاد القضية من جانبين، وقد ذكرهما الإمام لشعراوي، حيث أثبت ليوسف شجاعته وقدرته على تحمل تلك المسئولية بهذا الطلب، وأنه

(١) الصورة الإشهارية: ١٩٩.

حجب بطلبه من لا يستحق هذه الوظيفة عنها، ويمكن أن أضيف فائدة أخرى لطلبه هذا؛ هي أنه وضع سقفا لمن يستحق هذه الوظيفة فإمَّا أن يكون له لصفات يوسف أو لصفات أفضل منها، ولعل الملك في هذا العام الذي أمهله فيه كان يبحث عمن هو أفضل منه ولم يجده أو أنه كان يتأكد من صحة تلك الصفات في يوسف، كل هذه الأشياء أوحى بها طلب يوسف للوظيفة .

ج. الفضاء الذهني:

إن مركز عمل الفضاء الذهني هنا ذهن الملك الذي سيتم بناء فضاء ذهني جديد فيه، فيمحو هذا الإشهار الفضاء الذهني السابق بإنشاء فضاء ذهني جديد، فقد تكوّن لدى الملك فضاء ذهني معين فضاء الخوف والقلق على البلاد والعباد بنزول الكارثة الكبرى من عدم جريان النيل بالماء وفناء الزرع والخلق جميعا، فقد تكوّن هذا الفضاء الذهني الكئيب داخل الملك من مجموعة تجارب سابقة مماثلة فيما سمع من السابقين من تجارب عن جفاف النيل وما ترتب عليه من هلاك، وما رأى في منامه من هول، إذ كيف تأكل بقرة بقرة ؟! وما سمعه من تأويل تلك الرؤيا من يوسف وبيان ما فيها من هول ينتظره وبلاده، كل هذه الأشياء مجتمعه كوّنت في داخله هذا الفضاء الذهني الكئيب .

وسط هذا الفضاء الذهني الحائر الذي يعيش فيه الملك يخرج عليه يوسف ليبنى في داخله فضاءً جديدا كله طمأنينة وأمان له ولبلاده وشعبه، تكوّن هذا الفضاء الجديد (فضاء النجاة من الهلاك القادم بتولي يوسف هذا العمل) من مجموعة تجارب وخبرات، مما سمعه عن يوسف وما رآه بنفسه منه، وأول ذلك ما شاهده من قدرته على تأويل رؤيته بعد عجز الكهان من حوله عن ذلك ، ثم وقوفه بنفسه علي حقيقة ما أتُهم به يوسف من النسوة وبراءته العلنية من ذلك الإثم، كل هذه

التجارب جعلت يوسف يحتل مكانة عالية من الثقة والتقدير له وكذلك رفضه أي مقابل على عمله في تأويل تلك الرؤيا، وشجاعته لتحمل مسئولية العمل العام دون مقابل ؛ لخدمة الناس جميعا في أيام قاسية، لا يتقدم للعمل فيها إلا الأبطال، لقد بنى يوسف في داخل الملك فضاءً ذهنيا جديدا يقوم على الواقع والعلم والأمانة، فكان على الملك أن يقبل هذا العرض بما تكوّن لديه من إقناع داخلي، بقيمة هذا العمل والحاجة الضرورية له وقدرة هذا الرجل الشجاع الصديق على القيام به .

ثالثا: النظريات اللغوية الحديثة:

أ. نظرية المزج المفهومي:

يقوم المزج بتحليل عملية إنتاج المعنى الجديد من معنيين على المراحل هي :

١. **من فضاءين دخلين:** فضاء الدخل الأول (أ) حفيظ، وفضاء الدخل الثاني (ب) عليم .

٢. **الفضاء الجامع:** يتم الجمع فيه بين الفضاءين الدخلين (أ، ب) فهو الفضاء الذهني المنسوخ من الجمع بينهما؛ لإنتاج صورة ذهنية في البنية التصورية للملك في شكل صورة لوزير زراعة، يعد نموذجا لما يجب أن يكون عليه الوزير، لقد سعت هذه الأفضية الذهنية إلى ما وراء الفضاء الذهني الملموس والواقعي للملك لبناء صورة ذهنية لهذا الوزير في بنيته التصورية .

٣. **فضاء المزيج:** بعد الانتقال من الفضاء السابق ننتقل إلى فضاء المزيج حيث يتم المزج بين الدخلين (أ، ب) حفيظ عليم، فكل منهما يمثل مصدرا لإسقاط المعارف الخاصة به على الذهن، فكما قال ابن عطية الغرناطي: إن حفيظ وعليم يجب أن يفهما بمعناهما الواسع دون تخصيص لمعنى للكلمتين، كما قصرهما بعض المفسرين على حفظ

المال والعلم بالألسن، فيكون على رأي ابن عطية؛ الحفظ بجميع ألوانه، وكذا العلم بمعنى المعرفة بكل شيء فيمزج بين المعارف المتعلقة بهاتين الصفتين في فضاء المزيج، بالمزج والتوليف بين مكونات الفضاءين الدخلين التي قد تبدو متناقضة، فهي عملية عقلية تقوم على قدرة المتلقي على الجمع بينهما والإسقاط لتخرج لنا بمعان جديدة لا توجد هذه المعاني في أي من الفضاءين مستقلين .

٤ ـ **عمليات المزج:** تقوم عملية المزج على عدة عمليات هي: التركيب، الإكمال، البلورة .

أ) التركيب: وهي عملية ميلاد للفكرة الناتجة عن عملية الإسقاط الانتقائي، بالبحث عن علاقات جديدة تجمع بين الفضاءين الدخلين، فنقول: هو حفيظ فنجمع بالذهن كل السمات الانتقائية لصفة حفيظ، ثم نقول: هو عليم فنجمع بالذهن كل الصفات الانتقائية لصفة العلم، ويتم المقابلة بينهما لنخرج بمعنى جديد، هو صورة إنسان فيه هاتين الصفتين، ويصلح لهذه الوظيفة (وزير) .

ب) الإكمال: وهي عملية إنشاء لمعان جديدة لا يحملها منطوق الفضاءين الدخلين، فتأتي بعد عملية التركيب السابقة عملية الإكمال بمحور جديد؛ هو: أن هاتين الصفتين (عليم، حفيظ) يمكن أن ننتقي من السمات الانتقائية لهما السمات مطلوبة لوظيفة مسئول زراعة، وهنا تتنحى السمات غير المطلوبة لهذه الوظيفة كالعلم بالعلوم الفلسفية أو الميتافيزيقا، وكذا الحفظ للنصوص الأدبية مثلا.

فتقوم عملية الإكمال على أكساء المعاني أو التصورات الناشئة من عملية التركيب؛ جملة من الأبعاد مستمدة من المعارف العامة المشتركة والتجربة الجماعية فعلى الشخصية المتقدمة للعمل أن تحمل صفة العلم بكل ما يُصلِح ويَصلُح هذه الوظيفة أو تحتاجه، وكذلك صفة العلم بكل ما يتعلق بشئونها .

ج) البلورة: تطوير لعملية المزيج من حيث تصورها وتخيلها؛ بتوسيع مدى المعنى الجديد وتفاصيله وأبعاده وتحميله بدلالات مخصوصة رمزية وغير رمزية، فوظيفة وزير للزراعة قد اتسع مفهومُها ليشمل كل ما يتصل بها، لكن في ضوء محورين أساسيين هما الحفظ والعلم، لقد تبلورت قضية العلم والحفظ في صورة هذا الشخص الذي نعرف تاريخه الخلقي وعلمه وأمانته وحفظه وذكاءه، ولهذا تبلورت هذه الوظيفة وتجسدت في شخص يوسف .

ويمكن تصور ذلك من خلال هذا الشكل :

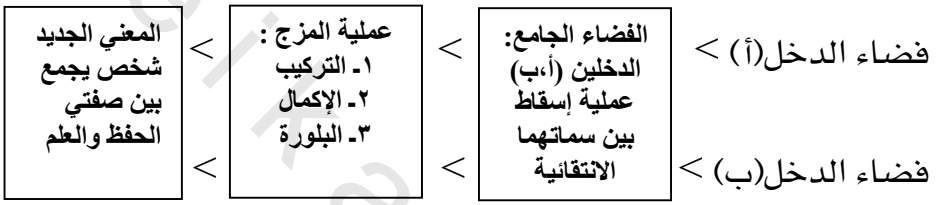

إن ما في ذهن الملك عمن يصلح لهذه الوظيفة صورة رجل حفيظ عليم وقد تحققت هذه الصورة في شخص يوسف عليه السلام .

المعطيات التي تكوّن وتغذي مفهوم صلاحيته للوظيفة في نفس الملك:

١- الأمانة: حيث حفظ سر البيت الذي كان يعمل به، فلم يسأل عما فعلته به رليخا، بل سأل عما فعلته النسوة من تقطيع أيديهن، ولم يذكر مراودتهن له، ولم يذكر اسم أي امرأة منهن ذلك حفظا علي سرية شخصيتهن .

٢- عفته: ذلك باعتراف النسوة وكذا امرأة العزيز بقولها: إنه لمن الصادقين .

٣- علمه: بتأويل الأحاديث، وكذا علمه بشئون الزراعة، والحساب والألسن .

ب. النظرية التداولية:

قام هذا الإشهار على عبارة إشهارية حوارية تداولية بين الملك ويوسف هي (اجعلني على خزائن الأرض، إني حفيظ عليم) وهذا الحوار جزء من حوار سابق، هو قول الملك ليوسف: إنك اليوم لدينا مكين أمين وقد قام الحوار على عناصر:

١ ـ **الإشاريات:** ضمير (المتكلم: الياء، المخاطب المستتر في: اجعل)، إشارة للمكان (خزائن الأرض: مصر) .

٢ ـ **الافتراض السابق:** أن يكون الملك قد طلب منه أن يعلن عما يتمناه منه .

٣ ـ **الاستلزام الحواري:** هنا أن يكون الملك قد طلب منه تقديم مؤهلاته لشغل هذه الوظيفة، فرد يوسف على ذلك الطلب بتقديم أوراقه قائلا: إني حفيظ عليم وهنا خروج عما كان في تصور الملك في شخصية يوسف وتوجيه لنظره إلى جهة أخرى، فهو يراه عالم بتفسير للرؤيا وكذلك بريء من تهمة الزنا، فهو شريف مترفع عن الفاحشة لديه علم بتأويل الأحاديث فقط، لكن يوسف وجهه من خلال هذا الحوار إلى قدرات وصفات أخرى فيه منها العلم بشأن الزراعة، والحافظ لما تنتجه الأرض .

ويقوم الاستلزام الحواري هنا على مبدأ التعاون من خلال تحديد المقصود بخزائن الأرض، والمقصود بالعلم والحفظ، ولهذا لم يذكر النص القرآني الكريم حوارا حول هذه الأشياء: كقضايا معروفة سلفا بينهما، وإيمان الملك بصدق يوسف في قوله حفيظ عليم، ولهذا تمت عملية الحوار بينهما بنجاح، ونجحت عملية التفاهم والتواصل .

٤ـ **الأفعال الكلامية:** هذه العبارة الإشهارية عدة أنواع من الأفعال الكلامية هي الأفعال:

أ. الإخباريات: هي الأفعال التي تصف وقائع وأحداثا في العالم الخارجي، وتقوم بنقل الواقع نقلا أمينا، ويبدو هذا في إخباره للملك أنه حفيظ عليم.

ب ـ الالتزامات: كما في (إني حفيظ عليم). وهي تعني التزام المتكلم بوعد يقطعه على نفسه فهو يؤكد للملك ويعده بوعد هو: أن يكون حفيظا عليما مؤكدا ذلك بـ (إنّ المؤكدة).

ج ـ الطلبيات: وتضم الأفعال الكلامية الدالة على الطلب، وقد جاء هنا فعل الطلب على صيغة افعل (اجعل).

تحليل لآلية الإقناع التداولية :

يقوم الفعل اللغوي وفق النظرية التداولية بتقسيم الملفوظ إلى ثلاثة أقسام: فعل إنتاج ـ فعل إنجاز ـ فعل تأثير.

١) فعل إنتاج: ويشمل العناصر اللغوية لإنتاج الملفوظ (صوت. نحو. دلالة)، إنه بناء الوحدة اللفظية بعيدا عن السياق.

٢) الفعل الإنجازي: يأتي السياق بعد إنتاج الوحدة اللفظية، بالفعل الإنجازي، وهو إنجاز الفعل داخل السياق، حيث ترتبط بسياقات التلفظ دلالات وأبعاد أخرى تدل على أننا نقوم بشيء ما، ونحن نتلفظ بهذه الكلمات مثل الوعد أو الوعيد أو التأكيد، وهي قيم ليست قارة في الملفوظ، لكن نستنتجها من خلال السياق، فنفهم من تلك الوحدات أشياء سنقوم بها لم تنطق في الوحدات اللغوية المذكورة.

٣) الفعل التأثيري: وهو السلوك الناتج عن فعلي القول والإنجاز السابقين.

ويمكن تصور هذا العملية بمراحلها المختلفة من هذا الشكل:

فعل إنتاج (يمثل وحدة مضمونية متضمنة في الكلمة) ـــ >> فعل إنجازي (وهو القيم المرتبطة بسياقات التلفظ، ودلالات نهائية استنتاجية لهذا الملفوظ في سياقاته التي يرد فيها) ـــ >> مما يؤدي إلى قوة ثالثة هي

الآثار النفسية التي يتركها الملفوظ في نفس المتلقي، أي الفعل التأثيري (وهي نتائج هذه الأفعال على سلوك المتلقي ومعتقداته ثم يتجسد هذا الفعل (قاعدة الفعل) في سلوك عيني، يتحقق من خلال حدوث تغير في قناعات المتلقي الفكرية أو الدينية، وهذا هو الهدف النهائي من عملية الإشهار، حيث يتحقق بتحول المتلقي من مجرد مستمع إلى مؤمن بهذه الفكرة ومقتنع بها ومقبل عليها هنا يتحول الأمر من مجرد إثارة انتباه بفعل قولي ملفوظ إلى فعل إنجازي، هو تجسيد لهذا التأثير والاقتناع بالإقبال عليه.

ويمكن تطبيق هذا القول على هذا الإشهار:

١ـ الجملة الأولى: فعل إنتاج (إنك اليوم لدينا مكين أمين) ـ >> فعل إنجازي (هذا السياق أثار في نفس يوسف الرغبة في التقدم بطلبه من الملك في لحظة انفعاله به) ـ >> فعل تأثيري (نتيجة لهذه الإثارة تقدم يوسف بطلب الآتي: اجعلني...) .

٢ـ الجملة الثانية: فعل إنتاج (اجعلني على خزائن الأرض) ـ >> فعل إنجازي (هو ما أثاره هذا القول من قوة إنجازية فهمت من هذا السياق، هي قدرة يوسف على القيام بهذا العمل) ـ >> فعل تأثيري (هو نتيجة تأثير هذا الفعل الإنجازي المتضمن في السياق السابق بتكليف يوسف لهذا العمل) بدليل قوله تعالى فور طلب يوسف للوظيفة: ﴿**وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[يوسف: ٥٦] لقد تم ليوسف ما طلبه من الملك، بلا تحديد لزمن التنفيذ، وأنه تمكين ليوسف في الأرض ليحاسب إخوته عندما يأتونه .

هذا العمل المتسلسل يعبر عن فكر متنامي حول غاية يصنعها المتكلم بفعله الكلامي لإنجاز غاية تظهر في السلوك العيني التي تتم بعد إنجاز هذا الكلام .

الفعل الكلامي: (فعل إنتاج) ـ > (فعل إنجازي) ـ > (قاعدة الفعل).

فنجد أن الهدف من الرسالة الكلامية أو الإشهارية قد تحقق، فالغرض من الإشهار هو إقناع المتلقي بالمنتج أو الفكرة أو السلعة"فكل ملفوظ إشهاري هو في الواقع سلسلة من السياقات المضمرة التي تتسلل إلى وجدان المستهلك في غفلة من كل أشكال الرقابة التي يمكن أن يستنجد بها [1] .

(١) الصورة الإشهارية: ٢٠٥.

obeikandl.com

الإشهار الثالث

إشهار عن إخوة يوسف عليه السلام

القسم الأول :إشهار يوسف عن أخيه بنيامين (سلعة مطلوبة للعرض فقط)

العبارة الإشهارية :

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ (٥٩) فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلا تَقْرَبُونِ (٦٠)﴾[يوسف]

مقدمة :

من المعتاد أن يعلن المشهر عن سلعة يبيعها أو يريد شراءها ، ولكننا أمام إشهار من نوع آخر يطلب فيه المشترى سلعة ليشاهدها فقط، ويقدم لذلك عروضا من الترغيب والترهيب بين الوعد والوعيد ، فجعل الوعد قبل الوعيد والترغيب قبل الترهيب ليقنعهم بإحضاره من البادية إليه .

إن يوسف (وقد أصبح وزيرا على مصر) جاءه إخوته فعرفهم ولم يعرفوه؛ فطلب منهم أن يأتوا بأخ لهم من أبيهم هو بنيامين، ليشركه رغد العيش مع علمه أن أباه لن يقبل أن يتركه ليذهب معهم ولو دفعوا له كل كنوز يوسف، بل كنوز الأرض فوضع لذلك خطة، تقوم على الترغيب والترهيب حتى يحضروه، لكن المشكلة ليس عندهم إنما هي عند أبيهم الذي يسلو به عن فقد يوسف، لقد خطط يوسف لهذا العمل بعمل الآتي :

١- الترحيب الزائد بهم وإظهار الحفاوة وحسن الاستقبال، وتقريبهم منه .

٢- الخروج لتوديعهم بنفسه، وتحميلهم برسالة الوعد والوعيد مقابل بنيامين .

٣- وضع ثمن الغلال في متاعهم كترغيب آخر لهم .

المقابلة بين الوعد والوعيد :

أ) الوعد	ب) الوعيد
الوفاء بالكيل. حسن الإقامة. وضع أموالهم في متاعهم. وجود أخوهم يزيدهم حمل بعير .	لا كيل لهم عنده قط . لا يقربهم إليه .

٤- إذا جاءوا بأخيهم يأخذه منهم بقانونهم الذي يجعل عقاب السارق نفسه .

أولا : مع المفسرين :

تفسير ابن كثير:

(ولما جهزهم بجهازهم) أي أوفى لهم كيلهم وحمل لهم أحمالهم قال: ائتوني بأخيكم هذا الذي ذكرتم لأعلم صدقكم فيما ذكرتم، (ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين؟) يرغبهم في الرجوع إليه، ثم رهبّهم فقال: (فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي) أي إن لم تقدموا به معكم في المرة الثانية فليس لكم عندي ميرة (ولا تقربون قالوا سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون) أي سنحرص على مجيئه إليك بكل ممكن ولا نبقي مجهوداً لتعلم صدقنا فيما قلناه (وقال لفتيانه) أي غلمانه، (اجعلوا بضاعتهم) أي التي قدموا بها ليمتاروا عوضاً عنها (في رحالهم) أي في أمتعتهم من حيث لا يشعرون (لعلهم يرجعون) بها، قيل خشي أن لا يكون عندهم بضاعة أُخرى يرجعون للميرة بها، وقيل: أراد أن يردهم إذا وجدوها في متاعهم تحرجاً وتورعاً، لأنه يعلم ذلك منهم، والله أعلم [1] .

(١) تفسير القرآن العظيم: ج٢، ص٤٨٣.

تفسير القرطبي:

قوله تعالى: (ولما جهزهم بجهازهم) يقال: جهزت القوم تجهيزا أي تكلفت لهم بجهازهم للسفر؛ والجهاز في هذه الآية الطعام الذي امتاروه من عنده ...

وكان مع إخوة يوسف أحد عشر بعيرا وهم عشرة، فقالوا ليوسف: إن لنا أخا تخلف عنا وبعيره معنا فسألهم لم تخلف ؟ فقالوا: لحب أبيه إياه، وذكروا له أنه كان له أخ أكبر منه فخرج إلى البرية فهلك؛ فقال لهم: أردت أن أرى أخاكم هذا الذي ذكرتم لأعلم وجه محبة أبيكم إياه وأعلم صدقكم، ويروى أنهم تركوا عنده شمعون رهينة حتى يأتوا بأخيه بنيامين... فقال يوسف: (ائتوني بأخ لكم من أبيكم) إن كنتم صادقين فأنا أرضى بذلك (ألا ترون أني أوفي الكيل) أي أتمه ولا أبخسه وأزيدكم حمل بعير لأخيكم (فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي) توعدهم ألا يبيعهم الطعام إن لم يأتوا به .

قال تعالى: (ألا ترون أني أوفي الكيل) يحتمل وجهين: أحدهما: أنه رخص لهم في السعر فصار زيادة في الكيل، والثاني: أنه كال لهم بمكيال واف (وأنا خير المنزلين) فيه وجهان: أحدهما: أنه خير المضيفين لأنه أحسن ضيافتهم؛ الثاني: وهو محتمل أي خير من نزلتم عليه من المأمونين؛ وهو على التأويل الأول مأخوذ من النزل وهو الطعام، وعلى الثاني من المنزل وهو الدار. قوله تعالى: (فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي) أي فلا أبيعكم شيئا فيما بعد لأنه قد وفاهم كيلهم في هذه الحال. (ولا تقربون) أي لا أنزلكم عندي منزلة القريب ولم يرد أنهم يبعدون منه ولا يعودون إليه؛ لأنه على العود حثهم. قال السدي: وطلب منهم رهينة حتى يرجعوا فارتهن شمعون عنده، قوله تعالى (قالوا سنراود عنه أباه) أي سنطلبه منه ونسأله أن يرسله معنا. (وإنا لفاعلون) أي

لضامنون المجيء به ومحتالون في ذلك. مسألة: إن قيل: كيف استجاز يوسف إدخال الحزن على أبيه بطلب أخيه ؟ قيل له: عن هذا أربعة أجوبة: أحدها: يجوز أن يكون الله عز وجل أمره بذلك ابتلاء ليعقوب ليعظم له الثواب فاتبع أمره فيه. الثاني: يجوز أن يكون أراد بذلك أن ينبه يعقوب على حال يوسف عليهما السلام. الثالث: لتتضاعف المسرة ليعقوب برجوع ولديه عليه. الرابع: ليقدم سرور أخيه بالاجتماع معه قبل إخوته لميل كان منه إليه؛ والأول أظهر والله أعلم [1] .

تفسير الرازي:

ثم بين تعالى أنه لما جهزهم بجهازهم قال:

(ائتوني بأخ لكم من أبيكم) واعلم أنه لا بد من كلام سابق حتى يصير ذلك الكلام سببا لسؤال يوسف عن حال أخيهم، وذكروا فيه وجوها:

الوجه الأول: وهو أحسنها إن عادة يوسف عليه السلام مع الكل أن يعطيه حمل بعير لا أزيد عليه ولا أنقص، وإخوة يوسف الذين ذهبوا إليه كانوا عشرة فأعطاهم عشرة أحمال فقالوا: إن لنا أبا شيخا كبيرا وأخا آخر بقي معه، وذكروا أن أباهم لأجل سنه وشدة حزنه لم يحضر، وأن أخاهم بقي في خدمة أبيه ولا بد لهما أيضا من شيء من الطعام فجهز لهما أيضا بعيرين آخرين من الطعام فلما ذكروا ذلك قال يوسف فهذا يدل على أن أحب أبيكم له أزيد من حبه لكم، وهذا شيء عجيب لأنكم مع جمالكم وعقلكم وأدبكم إذا كانت محبة أبيكم لذلك الأخ أكثر من محبته لكم دل هذا على أن ذلك أعجوبة في العقل، وفي الفضل والأدب فجيئوني به حتى أراه فهذا السبب محتمل مناسب .

(١) تفسير القرطبي: ج٥، ص٣٤٥٠.

ثم إنه تعالى حكى عنه أنه قال:

❖ (ألا ترون أني أوف الكيل) أي أتمه ولا أبخسه، وأزيدكم حمل بعير آخر لأجل أخيكم، وأنا خير المنزلين، أي خير المضيفين لأنه حين أنزلهم أحسن ضيافتهم...

قال: ❖ (فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون) واعلم أنه عليه السلام لما طلب منهم إحضار ذلك الأخ جمع بين الترغيب والترهيب .

أما الترغيب: فهو قوله: ❖ (ألا ترون أني أوف الكيل وأنا خير المنزلين)

❖ وأما الترهيب: فهو قوله: (فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون)، وذلك لأنهم كانوا في نهاية الحاجة إلى تحصيل الطعام، وما كان يمكنهم تحصيله إلا من عنده، فإذا منعهم من الحضور عنده كان ذلك نهاية الترهيب والتخويف، ثم إنهم لما سمعوا هذا الكلام من يوسف قالوا :

❖ (سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون) أي سنجتهد ونحتال على أن ننزعه من يده، وإنا لفاعلون هذه المراودة، والغرض من التكرير التأكيد، ويحتمل أن يكون (وإنا لفاعلون) أن نجيئك به، ويحتمل

❖ (وإنا لفاعلون) كل ما في وسعنا من هذا الباب [1] .

ثانيا: الدراسات اللغوية الحديثة:

هذا الإشهار يقوم على طلب سلعة للعرض على يوسف فقط، والسلعة هنا بنيامين الذي يطلب السلعة هو يوسف، أما البائع فهو يعقوب صاحب القرار في إرساله إلى مصر، أما إخوة يوسف فهم الوسيط بين البائع والمشتري أو طالب السلعة، والعبارة الإشهارية ﴿**قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ**

(١) التفسير الكبير للرازي: المجلد التاسع، ج١٨، ص١٣٧.

أَبِيكُمْ أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ (٥٩) فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلا تَقْرَبُونِ (٦٠)﴾ [يوسف] .

الإشهار والتواصل:

يقوم الإشهار على تحقيق التواصل بين الناس، ويستخدم وسائل الإقناع ليتم له ذلك في عمليتي البيع والشراء، وقد تواصل يوسف مع إخوته من خلال تلك العبارة الإشهارية التي تقوم على طلب سلعة (بنيامين) ووضع الطلب بين الترغيب والترهيب، ولم يحدد في طلبه منهم اسم هذا الأخ الذي يريده، حتى لا يتطرق الشك إلى نفوسهم فيسألوا لماذا طلب بنيامين ومن أين عرفه .

المسالك التي سلكها يوسف في سبيل تحقيق هدفه وهي:

أ- مسلك المحفز لطلبه في إطار العلاقات الاجتماعية من وضع المطلوب في دائرة العلاقات الاجتماعية الأسرية، بالسؤال عن أحوالهم وأسرتهم وأخبارهم ليبدو طلبه القادم مقنعا داخل إطار حوار بسيط تطور إلى طلبه برؤية أخيهم الذي لا يعرفه، ثم الإلحاح في هذا الطلب، والتمسك به كدليل على صدقهم فيما قالوا لتحقيق غرضه الأساسي وهو رؤية أخيه؛ وإلا فما العلاقة بين الوفاء بالكيل أو منعه ورؤية رجل من المفروض عدم وجود علاقة بينه وبين يوسف ؟!

ب - إثارة انتباههم بمثيرات تدفعهم لتنفيذ المطلوب، ومجيء السلعة إليه من عناصر الترغيب والترهيب، مع استخدام أفضل وسيلة للإقناع في هذا الإشهار هي البيان العملي والتجربة الشخصية المعاصرة للحدث، فقد كانوا على مقربة وبينة وتجربة منذ لحظات بالمتكلم، وصدق حديثه في الترغيب والترهيب، هذا أفضل الوسائل للإقناع في هذا الإشهار التي حققت الاتصال .

٢. الغاية المعلنة وغير المعلنة:

لقد توارت الغاية الحقيقية من الإشهار وراء طلب يوسف رؤية أخيهم، ولم يذكر لهم أنه أخوه وهو يريد أن يرى أخاه الشقيق الوحيد بنيامين، حيث الهدف المعلن هو طلب أخ لهم من أبيهم، وهذا القول يصح أن يطلق على أي أخ آخر لهم غير بنيامين، فربما يكون يعقوب قد تزوج وأنجب لهم أخا آخر، لكنه علم منهم أنه لا أخ لهم غير شقيق سوى بنيامين، وذلك بالدخول معهم في حوار عائلي أسريّ، حيث اطمأن منهم أن يعقوب عليه السلام لم ينجب في فترة غيابه عنهم ولم يتزوج، وقد استعان بالتعميم في حديثه لإخفاء الغاية الحقيقية من طلبه.

٣. اللغة المنطوقة وغير المنطوقة:

أ) اللغة المنطوقة:

تمثلت اللغة المنطوقة في جمل العبارة الإشهارية، التي هي جمل قصيرة موجزة حققت الغاية التواصلية منها: (ائتوني بأخ لكم من أبيكم)، هذه الجملة الطلبية التي هي أساس الإشهار، وتحمل مضمونه والغاية منه، ولهذا فهي قصيرة واضحة لا لبس فيها، وعلى الرغم من ذلك قد حققت المطلوب وحددته بدقة متناهية، تتكون من: فعل + فاعل + مفعول مجرور + مجرورات.

الجمل المكملة للإشهار: هي جملة استفهامية الغرض منها التقرير والتأكيد على ما فعله معهم وتحمل معنى الترغيب، وجملة شرطية تحمل معنى الترهيب.

لقد بدت العبارة الإشهارية متكاملة وحاملة الشيء المطلوب أو المعلن عنه في الإشهار، والترغيب والترهيب الذي هو نتيجة لفعل أو عدم فعل المطلوب من المتلقي.

ب) اللغة غير المنطوقة:

١ـ اللغة الإيحائية:

العبارة الإشهارية التي ندرسها تقدم لنا طلبا بسلعة هي بنيامين في صورة بسيطة، يطلب فيها عزيز مصر أخاهم دون تحديد لاسمه لرؤيته فقط، هذا ما يوحى به ظاهر ألفاظ العبارة، مما جعل إخوته يقتنعون ببراءة الطلب، وأنه لم يطلبه ليأخذه عنده، ولو علموا ذلك ما جاءوا به من البادية، بل إن الإيحاء البسيط ببراءة طلب المشترى جعلهم يقنعون أباهم ببسطة الطلب وحاجتهم إلى تنفيذه، فقالوا له سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون .

إن عنصر الإقناع في العبارة جاء من بساطة وبراءة المعنى الذي أوحت به العبارة لهم لذا فعلوا ما طُلب منهم، أما السبب الحقيقي لهذا الطلب فسوف تظهره الأحداث القادمة، هنا يبدو دور اللغة الإيحائية في عملية الإقناع بهذا الطلب حيث تدخل في هدوء، وتتسلل إلى اللاشعور الإنساني رافعة راية البحث عن معان إنسانية بحتة؛ كالصدق أو الأمانة والصحة والسعادة؛ وهي أشد المناطق هشاشة في داخل النفس الإنسانية، حيث لا يفكر الشخص في أي موانع نفعية أخرى (كالمال ـ الجاه ـ المكانة) في سبيل تحقيق هذه الغاية النبيلة، لكي يصل الإشهار إلى غايته الدفينة غير المعلنة، ولهذا العمل أدواته التي يحقق بها هذا الأمر عن طريق الإيحاء، وقد استخدمها يوسف وهي :

١ـ بساطة الأسئلة التي دارت بينه وبينهم عن الأهل. أحوال بلادهم. عددهم .

٢ـ تقريبهم إليه وحسن إقامتهم عنده والترحيب بهم .

٣ـ الوفاء بالكيل .

كل هذه الأشياء أوحت إليهم بحبه لهم، مما دفعهم إلى الثقة فيه وفي براءة مطلبه خاصة أنه دخل إليهم من جانب لم يتوقعوه؛ وهو اتهامهم بالتجسس وأنهم أعداء؛ فتحولوا إلى موقع المتهم ثم المدافع الذي يحاول أن يبرئ نفسه، فكيف للمتهم أن يتهم من يحقق معه، ويوجه إليه الأسئلة أو يشك فيه ؟!

إن مجمل عمل اللغة الإيحائية في هذا الإشهار ظهرت بوضوح في قوله لهم: ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين. بعد تقديم طلبه مباشرة، كأنه يقول لهم: هاأنذا أكرمتكم لكنني لي طلب واحد منكم، هو أن تأتوا بأخيكم فهل أنتم ستقدرون حسن فعلي معكم وإكرامي لكم بتحقيق طلبي هذا ؟!

وكأنه شعر بأن جانب الترغيب قد لا يجدي معهم، فألحق الترهيب بالترغيب ليتم الفعل الشرطي المقترن في العبارة، باستدعاء الاثنين معا الرغبة بالكيل والرهبة من ضياعه، فعندما يتناسون إكرامه لهم، يدركهم ترهيبه فيعودون .

كان الرد السريع منهم كنتيجة لعمل هذا الإيحاء في عقولهم: سنراود عنه أباه ولم يقولوا سنراود عنه أبانا لبيان أن الملكية الخاصة به تعود لأبيه، كأنهم يقولون: إننا ليس لنا الحق في أن نأتي به، فالحق لصاحبه وهو أبو يعقوب، ولكننا سنحاول إقناعه، وإشارة إلى تمييزهم بينهم وبين أخيهم بنيامين، فهو أخو غير شقيق والصلة بينهم وبينه هو أنه ابن يعقوب، ولهذا ينسبونه لأبيه .

٢ـ اللغة الانفعالية:

يستخدم الإشهار وسائل نفسية لإقناع المستهلك بالسلعة، وذلك بإثارة الطاقة الانفعالية التي تختفي داخل الإشهار، وتحمل حجما كبيرا من الانفعال الذي يتسلل إلى لا شعوره فيقنعه، ويجعله يستجيب لما يطلب منه ويقبل مسرعا علي تلك السلعة .

إنه لا يبحث عما داخل اللاشعور بأبعاده الفردية والجماعية، بل يشوش على الوجود الإنساني ذاته من خوف واكتئاب وقلق وإحساس بالذنب فكلها أحاسيس يمكن تحويلها من خلال وسائل الإقناع السري إلى محفزات شراء .

إن السلعة التي لدينا هي بنيامين، والمشترى هو يوسف وهو من عليه فعل ذلك لأنه صاحب مصلحة في إتمام الصفقة، فلذا سيقوم بالتأثير النفسي على البائع وليس العكس، فإخوة يوسف لم يعرضوا أخاهم للبيع ولم طلبوا من يوسف السماح لهم باستقدام بنيامين، بل هو من طلب ذلك منهم، ولهذا كان عليه أن يقوم بذلك التأثير الانفعالي عليهم ـ كما سنرى ـ لإتمام البيع .

خطة يوسف للوصول إلى منطقة لاشعور إخوته والتشويش على وجودهم :

لقد استخدم وسائل الإقناع النفسية بما لها من تأثير انفعالي على المتلقي، للوصول إلى اللاشعور وما وراء اللاشعور من حرص الإنسان على وجوده في الحياة، وما يثيره داخله من خوف وقلق واكتئاب. ففعل ما يأتي:

١ـ تم هذا كله من خلال عبارة واحدة في هذا الإشهار كان لها فعل السحر بما لديها من طاقة انفعالية تحدثنا عنها فيما سبق وهذه العبارة هي:

﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلا تَقْرَبُونِ﴾ [يوسف: ٦٠] .

إن الجزء الأول من العبارة هو أخطر ما فيها وهو (لا كيل لكم عندي) وهو أشد الترهيب، وقد جاء تركيبها النحوي على الأصل فأتى اسم لا النافية للجنس ثم بعده خبرها، ليبين نفي جنس الكيل مطلقا عنهم، وهو أشد تهديد لهم .

إن ما تم إثارته في نفوسهم هو ما يترتب على المنع من فناء لهم ولأبنائهم، فأثار شعور الخوف والحرص على البقاء لديهم، وهو أشد المناطق هشاشة في داخل أي إنسان، وهي أكثر تأثيرا من الجملة التي قبلها وهي ألا ترون أني أوف الكيل وأنا خير المنزلين، لأن شعور الإنسان بالخوف أشد تأثيرا وإثارة للهلع والفزع من شعور الأمل بالقادم، كما أنه في هذه الجملة التي توحي بالأمل في العطاء لم يذكر فيها ذلك قط، بل هي تذكير بما قدم إليهم، فلم يقل لهم سوف أعطيكم كذا وكذا إن جئتم بأخيكم، بل قال مهددا: فلا كيل لكم عندي ولا تقربون، بما يفيد النفي المطلق لأي كيل سيأخذونه منه .

كذلك حديثه عن العطاء القريب لا يؤثر في نفوسهم مثل حديثه عند التهديد القادم، فالإنسان يخاف من الغد المجهول الذي به الوعيد أكثر من شعور بالأمن، ولو كان قريبا ملموسا .

إثارة انفعال الأب:

بدأ الإخوة بالتأثير على أبيهم باستخدام اللغة الانفعالية وما بها من طاقة، وذلك من خلال الحوار الآتي :

أولا: البدء بتقديم المبرر القهري الذي دفعهم لإرسال أخيهم ثم طلب إرساله: منع منا الكيل، طلب إرسال أخيهم معهم .

ثانيا: فتح المتاع، وجود البضاعة به، معاودة الطلب السابق في هذا الحوار:

أ ـ البدء بالاستفهام الاستنكاري: يا أبانا ما نبغي ؟ ليثيروا في نفسه والحضور الدهشة لرفضه سفر بنيامين، ثم أعقبوا ذلك بذكر فوائد هذه الصفقة عليهم:

١ـ بضاعتنا ردت إلينا .

٢ـ نمير أهلنا ، وكلمة الأهل تشمل النساء والأطفال والشيوخ، وهم أقل الناس صبرا على الجوع، وكأنهم يقولون: يا أبانا ستقتل أحفادك جوعا .

٣ـ نحفظ أخانا .

٤ـ نزداد كيل بعير .

٥ ـ تبسيط القضية في عين أبيهم وبيان عظمة الربح (ذلك كيل يسير) .

وهذا اختصار لجملة الفوائد الحاصلة لهم من هذه الصفقة .

٣ـ اللغة الرمزية:

كانت كلمات العبارة ترمز إلى أشياء ومعان نفهمها منها ، وإن لم ننطق بها ، منها :

أخ: فهي تصح على أي أخ لهم من أبيهم، ولكنهم لا أخ لهم من أبيهم سوى بنيامين فهي تشير إليه فقط، وترمز إلى شدة ذكاء يوسف في إطلاق لفظ عام، مع إرادته معنى مخصوص لا ينطبق إلا عليه، مع عدم ذكر اسمه .

ائتوني: رمزت إلى مكانة بنيامين عنده، فلم يطلب منهم أن يشتريه منهم أو يأخذه عنوة على الرغم من تخطيطه لذلك، ولكن برغبة بنيامين ورضاه .

الفضاء الذهني:

الفضاء الذهني الذي يقابلنا في هذا الإشهار هو صورة بنيامين في ذهن يوسف، فقد غاب عنه سنوات عديدة وتركه طفلا صغيرا ، وكان يوسف غلاما أكبر منه، فكيف تكون صورة أخيه الحبيب الذي حرم منه، لقد رسم يوسف صورة له في ذهنه رآها في عيون إخوته، ومن خلال سؤاله عنه وحديثهم عنه، وكان يوسف يود لو أنهم أحضره معهم

ولكنه كتم شوقه إليه في نفسه؛ لأنه مأمور بفعل ذلك فعليه أن يصبر على فراق أخيه وأبيه .

ثالثا النظريات اللغوية الحديثة :

أ. نظرية التداولية :

الحوار الذي تم بين يوسف وإخوته هو (ائتوني بأخ لكم من أبيكم) وقد قام الحوار على عناصر:

١ ـ **الإشاريات:** ضمير (المتكلم: الياء، المخاطب: لكم) .

٢ ـ **الافتراض السابق:** أن يكون يوسف قد سألهم عن أفراد أسرتهم، وهو ما ذكره الرازي إن هذا الكلام (ائتوني بأخ لكم من أبيكم) قد سبق كلام أدي إلى، وهو سؤالهم عن أهلهم .

٣ ـ **الاستلزام الحواري:** هنا أن يكون إخوة يوسف قد أبدوا تقاعسا عن طلبه فأراد حثهم على تلبية طلبه فاستخدم الترغيب والترهيب؛ ليفعلوا ذلك فقال تلك العبارة التالية، ففهم من كلامه وجوب إحضار أخيهم إلى العزيز، وإن لم يفعلوا وقعوا في مشاكل كثيرة .

ويقوم الاستلزام الحواري هنا على مبدأ التعاون من خلال تحديد المقصود بأخ لكم من أبيكم فهو يعني بنيامين وهم أيضا يقصدونه أيضا، على الرغم من اعتقادهم أن يوسف لا يعرف من هو أخوهم الذي من أبيهم، كذلك فهمهم المقصود بالكيل، ولهذا تمت عملية التفاهم والتواصل بينهم بنجا لاتفاق الطرفين بصورة غير معلنة على أن المطلوب شيء واحد .

٤ـ **الأفعال الكلامية:** العبارة الإشهارية بها نوعان من الأفعال الكلامية هما الأفعال:

أ ـ **الالتزامات:** وهي تعني التزام المتكلم بوعد يقطعه على نفسه، فهو يؤكد لإخوته أن (بالوعيد) أنه لا كيل لهم ولا يُقرّبون من العزيز إن لم يحضروه .

ب ـ الطلبيات: وتضم الأفعال الكلامية الدالة على الطلب، وقد جاء هنا فعل الطلب على صيغة افعل (ائتوني) .

تحليل لآلية الإقناع التداولية:

يقوم الفعل اللغوي وفق النظرية التداولية بتقسيم الملفوظ إلى ثلاثة أقسام: فعل إنتاج ـ فعل إنجاز ـ فعل تأثير .

١) فعل إنتاج: ويشمل العناصر اللغوية لإنتاج الملفوظ (صوت. نحو. دلالة)، إنه بناء الوحدة اللفظية بعيدا عن السياق .

٢) الفعل الإنجازي: يأتي السياق بعد إنتاج الوحدة اللفظية بالفعل الإنجازي وهو إنجاز الفعل داخل السياق، حيث ترتبط بسياقات التلفظ دلالات وأبعاد أخرى تدل على أننا نقوم بشيء ما ، ونحن نتلفظ بهذه الكلمات مثل الوعد أو الوعيد أو التأكيد وهي قيم ليست قارة في الملفوظ، لكن نستنتجها من خلال السياق فنفهم من تلك الوحدات أشياء سنقوم بها لم تنطق في الوحدات اللغوية المذكورة .

٣) الفعل التأثيري: وهو السلوك الناتج عن فعلي القول والإنجاز السابقين .

ويمكن تصور هذا العملية بمراحلها المختلفة من هذا الشكل:

فعل إنتاج (يمثل وحدة مضمونية متضمنة في الكلمة) ـــ>> فعل إنجازي (وهو القيم المرتبطة بسياقات التلفظ، ودلالات نهائية استنتاجية لهذا الملفوظ في سياقاته التي يرد فيها) ـــ >> مما يؤدي إلى قوة ثالثة هي الآثار النفسية التي يتركها الملفوظ في نفس المتلقي، أي الفعل التأثيري (وهي نتائج هذه الأفعال على سلوك المتلقي ومعتقداته ثم يتجسد هذا الفعل (قاعدة الفعل) في سلوك عيني، يتحقق من خلال حدوث تغير في قناعات المتلقي الفكرية أو الدينية، وهذا هو الهدف النهائي من عملية الإشهار، حيث يتحقق بتحول المتلقي من مجرد مستمع إلى مؤمن بهذه

الفكرة ومقتنع بها ومقبل عليها هنا يتحول الأمر من مجرد إثارة انتباه بفعل قولي ملفوظ إلى فعل إنجازي، هو تجسيد لهذا التأثير والاقتناع بالإقبال عليه .

ويمكن تطبيق هذا القول على هذا الإشهار:

فعل إنتاج (ائتوني بأخ لكم من أبيكم) ـــ >> فعل إنجازي (هذا السياق أثار في نفس يوسف خشية ألا يفعلوا ما طلب منهم: فألحق طلبه وعززه بالوعد والوعيد ليعطي كلامه قوة انجازيه) ـــ >> فعل تأثيري (وكان تأثير هذه الإثارة وتلك القوة الإنجازية في الفعل الكلامي السابق بوعده ووعيده أن قالوا: سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون) .

بما يعني أنه قد تم ليوسف ما طلبه من إخوته، دون تحديد لزمن التنفيذ .

هذا العمل المتسلسل يعبر عن فكر متنامي حول غاية يصنعها المتكلم بفعله الكلامي لإنجاز غاية تظهر في السلوك العيني التي تتم بعد إنجاز هذا الكلام .

الفعل الكلامي: (فعل إنتاج) ـ > (فعل إنجازي) ـ > (قاعدة الفعل).

فنجد أن الهدف من الرسالة الكلامية أو الإشهارية قد تحقق، فالغرض من الإشهار هو إقناع المتلقي بالمنتج أو الفكرة أو السلعة .

القسم الثاني من الإشهار الثالث:

إشهار إخوة يوسف عن قوتهم:

١-﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [يوسف: ٨] .

٢-﴿ لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذاً لَخَاسِرُونَ﴾[يوسف: ١٤].

لن نتعرض له خشية الإطالة .

الإشهار الرابع

الإشهار عن سلع متنوعة

القسم الأول: إشهار عن عمل أدبي (قصة):

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣] .

مقدمة:

إنه إشهار عن عمل أدبي كما يحدث في يومنا من الإعلان في الصحف عن قصة جديدة أو رواية أو قصيدة أو غيرها، وهو هنا قصة أدبية تدخل ضمن قسم السيرة الذاتية كنوع من الأعمال القصصية، هي سيرة نبي الله يوسف بطل تلك القصة، وكان مدخل القصة هو تفسير رؤيا منامية لصبي صغير تتحول إلى حقيقة يتم عرضها في نهاية القصة، وكأن الغرض من السورة كلها ذكر هذه القصة .

يتم تقديم القصة في بداية السورة بوصف لها بأنها أحسن القصص، وهذا الوصف يمرّ علينا لأول مرة في قصص قرآني، فهو إشهار عن عمل أدبي يصفه الله بهذه الصفة، فقد ورد الفعل: (قَصَّ) بخمس مواضع قرآنية، هي :

قال تعالى: ﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا﴾ [الأعراف: ١٠١] .

قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ﴾ [هود: ١٢٠] .

قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣] .

قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ [الكهف: ١٣] .

قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ [طه: ٩٩] .

فلا نجد فيهم هذا الوصف إلا في سورة يوسف، بل لو قابلنا بين الآيتين في سورة يوسف وسورة الكهف لظهر لنا الفرق واضحا نجد أن النصين تطابقا تماما، إلا في هذه الصفة (أحسن القصص) فهذا دليل على أن ذلك إشهار عن تلك القصة ووصف لها .

عناصر البناء القصصي:

١ـ الأبطال: آل بيت يعقوب (يوسف وأبوه وإخوته)، وأشخاص ثانوية: مالك بن ذعر وعزيز مصر وملك مصر وزوجة العزيز ونسوة المدينة وأصحاب السجن .

٢ـ حبكة القصة: تظهر في توالي الأحداث وترابطها وتسلسلها مع مراحل عمره وتأويل الرؤيا في آخر القصة، والمطابقة بينهما (القصة والرؤيا) .

٣ـ العقدة والحل: إلقاء يوسف في البئر وخروجه منه/ اتهامه بالزنا وبراءته من التهمة/ دخوله السجن وخروجه منه/ الرؤيا، ثم تأويله لها .

القاص: هو أصدق القائلين سبحانه، واستخدم ضمير الجمع للمتكلم للتعظيم، **عليك:** تعظيم لمن يُقص عليه؛ فالله عظيم يقص على من يصطفيه من خلقه. **أحسن القصص:** ليس من صنع خيال الأديب، بل حديث صدق من رب الكون .

أولا : مع المفسرين:

تفسير ابن كثير:

قال تعالى: (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن) بسبب إيحائنا إليك هذا القرآن، وقد ورد في سبب نزول هذه الآية ما رواه ابن جرير عن ابن عباس قال: قالوا: يا رسول اللّه صلى اللّه عليك وسلم لو قصصت علينا ؟ فنزلت: نحن نقص عليك أحسن القصص، فأرادوا القصص فدلهم على أحسن القصص [1] .

تفسير القرطبي:

قوله تعالى: (نحن نقص عليك) ابتداء وخبره أحسن القصص بمعنى المصدر، والتقدير: قصصنا أحسن القصص. وأصل القصص تتبع

(١) تفسير القرآن العظيم: ج٢، ص٤٦٧.

الشيء، فالقاص يتبع الآثار فيخبر بها. والحسن يعود إلى القصص لا إلى القصة. يقال: فلان حسن الاقتصاص للحديث أي جيد السياقة له [1].

يذكر القرطبي أسباب الحسن في القصة وهي :

اختلف العلماء لم سميت هذه السورة أحسن القصص من بين سائر الأقاصيص ؟

١. فقيل: لأنه ليست قصة في القرآن تتضمن من العبر والحكم ما تتضمن هذه القصة؛ وبيانه قوله في آخرها: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ**﴾ [يوسف: ١١١] .

٢. وقيل: سماها أحسن القصص لحسن مجاوزة يوسف عن إخوته، وصبره على أذاهم، وعفوه عنهم - بعد الالتقاء بهم - عن ذكر ما تعاطوه وكرمه في العفو عنهم، حتى قال: ﴿**قَالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ**﴾ [يوسف: ٩٢] .

٣. وقيل: لأن فيها ذكر الأنبياء والصالحين والملائكة والشياطين، والجن والإنس والأنعام والطير، وسير الملوك والممالك، والتجار والعلماء والجهال، والرجال والنساء وحيلهن ومكرهن، وفيها ذكر التوحيد والفقه والسير وتعبير الرؤيا، والسياسة والمعاشرة وتدبير المعاش، وجمل الفوائد التي تصلح للدين والدنيا.

٤. وقيل: لأن فيها ذكر الحبيب والمحبوب وسيرهما .

٥. وقيل: (أحسن) هنا بمعنى أعجب .

٦. وقال بعض أهل المعاني: إنما كانت أحسن القصص لأن كل من ذكر فيها كان مآله السعادة؛ انظر إلى يوسف وأبيه وإخوته، وامرأة العزيز؛ قيل: والملك أيضا أسلم بيوسف وحسن إسلامه، ومستعبر الرؤيا الساقي، والشاهد فيما يقال: فما كان أمر الجميع إلا إلى خير [2] .

---

(١) تفسير القرطبي: ج٥، ص٣٣٤٩.
(٢) تفسير القرطبي: ج٥، ص٣٣٤٩.

تفسير الرازي:

وزاد الرازي بقوله: " القصص إتباع الخبر بعضه بعضا وأصله في اللغة المتابعة، قال تعالى: ﴿وَقَالَتْ لأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾ [القصص: ١١] أي اتبعي أثره، وقال تعالى: ﴿فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً﴾ [الكهف: ٦٤] أي اتباعا، وإنما سميت الحكاية قصصا لأن الذي يقص الحديث يذكر تلك القصة شيئا فشيئا، كما يقال تلا القرآن إذا قرأه لأنه يتلو أي يتبع ما حفظ منه آية بعد آية، والقصص في هذه الآية يحتمل أن يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص، يقال قص الحديث يقصه قصا وقصصا إذا طرده وساقه، وعلى هذا التقدير فالحسن يعود إلى حسن البيان لا إلى القصة، والمراد من هذا الحسن كون هذه الألفاظ فصيحة بالغة في الفصاحة إلى حد الإعجاز، ألا ترى أن هذه القصة مذكورة في كتب التواريخ مع أن شيئا منها لا يشابه هذه السورة في الفصاحة والبلاغة، وإن حملناه على المفعول كان معنى كونه أحسن القصص لما فيه من العبر والنكت والحكم والعجائب التي ليست في غيرها[1].

فوائد القصة عند الرازي: فإن إحدى الفوائد التي في هذه القصة أنه لا دافع لقضاء الله تعالى ولا مانع من قدر الله تعالى، وأنه تعالى إذا قضى للإنسان بخير ومكرمة فلو أن أهل العلم اجتمعوا عليه لم يقدروا على دفعه، والفائدة الثانية: دلالتها على أن الحسد سبب للخذلان والنقصان، والفائدة الثالثة: أن الصبر مفتاح الفرج كما في حق يعقوب عليه السلام، فإنه لما صبر فاز بمقصوده، وكذلك في حق يوسف عليه السلام[2].

تفسر النسفي:

(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القصص) نبين لك أحسن البيان، والقاص الذي يأتي بالقصة على حقيقتها عن الزجاج، وقيل: القصص يكون

(١) تفسير الرازي: المجلد التاسع، ج١٨، ص٧٠.
(٢) المرجع السابق: المجلد التاسع، ج١٨، ص٧٠.

مصدراً بمعنى الاقتصاص نقول: قص الحديث يقصه قصصاً، ويكون فعلاً بمعنى مفعول كالنفض والحسب، فعلى الأول معناه نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص، والمراد بأحسن الاقتصاص أنه اقتص على أبدع طريقة وأعجب أسلوب فإنك لا ترى اقتصاصه في كتب الأولين مقارباً لاقتصاصه في القرآن. وإن أريد بالقصص المقصوص فمعناه نحن نقص عليك أحسن ما يقص من الأحاديث، وإنما كان أحسن لما يتضمن من العبر والحكم والعجائب التي ليس في غيره.

والظاهر أنه أحسن ما يقتص في بابه كما يقال: (فلان أعلم الناس) أي في فنه، واشتقاق القصص من قص أثره إذا تبعه لأن الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئاً فشيئاً [1].

خواطر الشعراوي:

حين يتحدث الحق – سبحانه – عن فعل من أفعاله؛ ويأتي بضمير الجمع؛ فسبب ذلك أن كل فعل من أفعاله يتطلب وجودَ صفات متعددة؛ يتطلب: علماً؛ حكمة؛ قدرة؛ إمكانات.

وهنا يتكلم - سبحانه - بأسلوب يعبر عن أفعال لا يَقْدر عليها غيره؛ بالدقة التي شاءها هو – سبحانه – فيقول: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ) وحدد - سبحانه - أنه هو الذي يقصُّ، وإذا وُجِد فعل لله؛ فنحن نأخذ الفعل بذاته وخصوصه؛ ولا نحاول أن نشتق منه اسماً نطلقه على الله؛ إلا إذا كان الفعل له صفة من صفاته التي عَلِمْناها في أسمائه الحسنى؛ لأنه الذات الأقدس.

ونعلم أن كلمة " قص " تعني الإتباع، وقال بعض العلماء: إن القصة تُسمَّى كذلك لأن كل كلمة تتبع كلمة، ومأخوذة من قَصَّ الأثر، وهو تتبع أثر السائر على الأرض، حتى يعرف الإنسان مصير مَنْ يتتبعه ولا ينحرف بعيداً عن الاتجاه الذي سار فيه مَنْ يبحث عنه.

---

(١) تفسير النسفي: ج٢، ص٢١٢.

إذن فالقَصُّ ليس هو الكلمة التي تتبع كلمة، إنما القَصُّ هو تتبُّع ما حدث بالفعل. وهكذا نعلم أن القص هو تتبُّع ما حدث بالفعل، فتكون كل كلمة مُصوِّرة لواقع لا لَبْسَ فيه أو خيال ولا تزيُّد، وليس كما يحدث في القصص الفنيِّ الحديث؛ حيث يضيف القصَّاص لقطاتٍ خيالية من أجل الحَبْكة الفنية والإثارة وجَذْب الانتباه. أما قصص القرآن فوضْعُها مختلف تماماً، فكلُّ قَصص القرآن إنما يتتبع ما حدث فعلاً؛ لنأخذ منها العبرة؛ لأن القصة نوع من التاريخ. ولا يقولن أحد: إن القرآن لم يستطع أن يأتي بقصة كاملة مستوفية فقد شاء الحق - سبحانه - أن يأتي بقصة يوسف من أولها إلى آخرها مُسْتوفية، ففيها الحدث الذي دارتْ حوله أشخاصٌ، وفيها شخصٌ دارتْ حوله الأحداث. فقصة يوسف - عليه السلام - في القرآن لا تتميز بالحَبْكة فقط؛ بل جمعتْ نَوعَيْ القصة بالحدث الذي تدور حوله الشخصيات، وبالشخص الذي تدور حوله الأحداث.

جاءتْ قصة يوسف بيوسف، وما مَرَّ عليه من أحداث بَدْءً من الرُّؤيا، ومروراً بحقد الأخوة وكيدهم، ثم محاولة الغواية له من امرأة العزيز، ثم السجن، ثم القدرة على تأويل الأحلام، ثم تولِّي السلطة، ولقاء الأخوة والإحسان إليهم، وأخيراً لقاء الأب من جديد.

(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ) يبيّن لنا أن الحُسْن أتى لها من أن الكتب السابقة تحدثت عن قصة يوسف، لكن أحبار اليهود حين قرؤوا القصة كما جاءتْ بالقرآن ترك بعضهم كتابه، واعتمد على القرآن في رواياتها، فالقصة أحداثها واحدة، إلا صياغة الأداء؛ وتلمُّسات المواجيد النفسية؛ وإبراز المواقف المطْويَّة في النفس البشرية؛ وتحقيق الرُّؤى الغيبية كُلُّ ذلك جاء في حَبْكة ذات أداء بياني مُعْجز جعلها أحسنَ القَصَص.

أو: هي أحسن القصص بما اشتملتْ عليه من عِبَر متعددة، عِبَر في الطفولة في مواجهة الشيخوخة، والحقد الحاسد بين الأخوة، والتمرد، وإلقائه في الجبِّ والكيد له، ووضعه سجيناً بظلم، وموقف يوسف عليه السلام من الافتراء الكاذب، والاعتزاز بالحق حتى تمَّ له النصر والتمكين. وكيف ألقى الله على يوسف - عليه السلام - محبَّة منه؛ ليجعل كل مَنْ يلتقي به يحب خدمته.

وكيف صانَ يوسف إرثَ النبوة بما فيها من سماحة وقدرة على العفو عند المقدرة؛ فعفَا عن إخوته بما روتْه السورة: ﴿ **قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ** ﴾[يوسف: ٩٢]، وهكذا تمتلئ سورة يوسف بعِبَر متناهية، يتجلَّى بعضٌ منها في قضية دخوله السجنَ مظلوماً، ثم يأتيه العفو والحكم؛ لذلك فهي أحسنُ القَصص؛ إما لأنها جمعتْ حادثة ومَنْ دار حولها من أشخاص، أو جاء بالشخص وما دار حوله من أحداث.

أو: أنها أحسنُ القصص في أنها أدّتْ المُتَّحد والمتفق عليه في كل الكتب السابقة، وجاء على لسان محمد الأمي الذي لا خبرة له بتلك الكتب؛ لكن جاء عَرْضُ الموضوع بأسلوب جذَّاب مُسْتمِيل مُقْنع مُمْتع.

أو: أنها أحسن القصص لأن سورة يوسف هي السورة التي شملت لقطاتٍ متعددةٍ تساير العمر الزمني والعمر العقلي والعمر العاطفي للإنسان في كل أطواره؛ ضعيفاً مغلوباً على أمره وقوياً مسيطراً، مُمكَّناً من كل شيء.

بينما نجد أنباء الرسل السابقين جاءت كلقطات مُوزَّعة كآيات ضمن سُور أخرى؛ وكل آية جاءت في موقعها المناسب لها.

إذن: فالحُسْن البالغ قد جاء من أسلوب القرآن المعجز الذي لا يستطيع واحد من البشر أن يأتي بمثله.

ثانيا: الدراسات اللغوية الحديثة:

١. الإشهار والتواصل:

هذا الإشهار يحقق نوعا آخر من التواصل ليس بين أفراد المجتمع، إنما يحقق التواصل التاريخي بين الإنسان وماضيه، فقد صحح ما كان في كتب أهل الكتاب ما قصص عن نبي الله يوسف وإخوته بعد ما دخلها من تحريف وتغيير أحدثه فيه اليهود، فتم التواصل بيننا وبين الماضي القديم من تاريخ نبي الله يوسف عليه السلام، وذلك من خلال قصة رويت في سورة بأصدق كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه علي لسان نبي صادق أمين، يقصها رب العالمين، ومن أصدق من الله حديثا ؟!

لقد تبيّنَ المصدر الأصلي لتلك القصة، ليكون التواصل بين السلعة ومصدر إنتاجها وقاصها صحيحا بيِّنًا، فمصدر ذلك الله، فهو يقول: بما أوحينا إليك، أي أن ما يُقصُّ عليك من قصص إنما هو من عندنا، وقد أوحيناه إليك .

٢. الغاية من الإشهار:

الغاية الظاهرة للإشهار هي التسرية عن الصحابة، استجابة لمطلبهم بهذا الشأن، فقد قالوا لرسول الله صلي الله عليه وسلم لو تقص علينا، فأنزل الله نحن نقص عليك أحسن القصص .

لكن الغاية الحقيقية هي أخذ العبرة والموعظة، وبيان أمور كثيرة ذكرها المفسرون من غايات دينية وأخرى دنيوية، ولكن الغاية من جانب الإشهار تبدو مختلفة عما سبق بما أضافت من زوايا للرؤية جديدة هي وضع أسس للبناء الذي يجب أن يكون عليه العمل الأدبي الناجح، كصدق الرواية، وكيف يدخل القاص إلى أعماق النفس الإنسانية، ويُخْرج مكنونها ومشاعرها، بل الولوج إلى اللاشعور الإنساني ووصفه

والتفاعل معه، وكيف يجذب القاص المتلقي إليه عند تقديم قصته كسلعة له، ذلك بوصفها في جمل موجزة، وهو عنصرها في الإشهار، وهو الإيجاز فيدخل إلى لب القضية مباشرة، نحو ما نراه هنا من وصف القصة بأنها أحسن القصص، وأنها أصدق القصص، وأنها وحي من الله، وليست من وحي خواطر البشر وما بها من هوى النفس، لقد كان النص القرآني حريصا على بيان تلك الصفة في القصة، حيث ذكر تلك الغاية بوضوح في نهاية السورة أو قل في نهاية القصة، وهي رسالة لمن طلبوا التسرية بتلك القصة بأن الغاية من القصة ليست أحاديث سمر إنما هي عبرة وهي صدق جاء لتصديق ما بين يديك، وتفصيل ما كنتم تجهلون، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون. ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾[يوسف: ١١١]،

٣. اللغة المنطوقة واللغة غير المنطوقة:

أ) اللغة المنطوقة:

اللغة التي جاء ت فيها العبارة الإشهارية موجزة جدا، فهي جملة واحدة اسمية (نحن نقص عليك أحسن القصص) مكونة من جملة كبرى (الجملة الاسمية الأساسية) وجملة فعلية خبرية .

هذه الجملة عبرت بكلماتها القليلة عن الغرض منها، وهو الإشهار عن قصة هي أحسن القصص، فهذه الجملة بمحتواها اللفظي المنطوق تعبر عن معان تعجز كل عبارات اللغة أن تقولها، فلو استبدلناها بعبارة أخرى أو استبدلنا إحدى كلماتها بأخرى لم ننجح في ذلك، وهذا يدل علي البناء اللغوي المحكم للعبارة، فلو استبدلنا (نحن) بأي ضمير آخر؛ نجد أنه لا يصح غيره مكانه، فلا يعطي المعاني المستقرة في هذا الضمير من الدلالة على:

١ـ تعظيم القاص سبحانه وتعالى .

٢ـ الموقعية: وهي الدلالة التي اكتسبها هذا الضمير من موقعه في الجملة، فتقديم الفاعل على الفعل والمفعول، وتحويل الجملة الفعلية إلى اسمية أظهر أهمية الفاعل وعظمته .

٣ـ إضافة الحدث إلى الذات الإلهية عظّم القصة، ومن ستُقص عليه القصة. **عليك:** دل علي خصوصية النبي عند ربه بتوجيهه القصة له بضمير خطاب. **أحسن القصص:** كلمة (أحسن) لبيان الأفضلية على سائر القصص وقد ذكر المفسرون سبب هذه الأفضلية، فيما نقلته عنهم آنفا، كذا (قص) التي تعنى الرواية الصحيحة الدقيقة، وخصوصا إذا أُسْندتْ إلى الله تعالى، ولذا لم ترد في القرآن كله كلمة نحكي مقابل (نقص) التي تكررت خمس مرات بمواضع مختلفة ذكرتها آنفا لاختلافهما في الدلالة على الحقيقة وصدقها .

ب) اللغة غير المنطوقة:

١) اللغة الانفعالية:

الطاقة الانفعالية المودعة داخل ألفاظ هذا الإشهار تأتي من يقين هؤلاء القوم بالله الذي جعلهم يستشعرون عظمة القصة من عظمة القاص سبحانه وتعالى، فبدأ تفكيرهم ينطلق نحو سماع أحداث القصة التي ترويها لهم آيات السورة، على أنها أحداث يعيشونها كأفراد داخل الحدث، يشاركون أبطاله ما يفعلون؛ فهم ليسوا مجرد مستمعين له، بل تجد مشاعر المتلقي تتدفق مع تلك الأحداث؛ فيبكي عندما يُلْقي يوسف في البئر ويسعد عندما ينصره الله على إخوته، لقد بدأ الشعور بهذه الطاقة الانفعالية من بداية القصة في إسناد القص إلى رب العالمين، ثم وصف القصة بأنها أحسن القصص، فكلمتا نحن نقص أعطتا جلالا للقصة وصدقا للأحداث .

كذلك الطاقة الانفعالية التي في (أحسن القصص) حيث اكتملت الصورة الانفعالية السابقة، فنحن نستشعر العظمة في أن الله سيقص علينا، ثم هو يقص علينا أحسن ما في تاريخ البشرية من قصص واقعي حقيقي، فقد جمع بين عظمة القاص والقصة، فقد وصل إلي منطقة اللاشعور عندنا ليثير فيها حب الاستطلاع والمعرفة بأخبار الأولين في دقة وصدق، ولتحطم بذلك ما خُزن فيها من أساطير وأكاذيب وأغلاط صنعها اليهود حول القصة وبطلها .

٢) اللغة الرمزية:

كانت ألفاظ الإشهار ترمز إلى معان غير منطوقة فيها بل تفهم منها فقد كانت كلمة (أحسن) رمزا إلى بلوغ منتهى الحسن في العمل الأدبي.

٣) اللغة الإيحائية:

هي اللغة التي تتسلل إلى داخل النفس الإنسانية لتنشئ واقعا جديدا يعيش فيه المتلقي لحظة الإشهار فيعيش مع المنتج، يستهيم فيه ويقتنع به، فقوله تعالي: " نحن نقص عليك أحسن القصص " يحيا معها المتلقي في عالم جديد، عالم من القصص والغيبيات والخيال والتاريخ الماضي؛ القاص فيه هو الله، فكيف يكون هذا العالم ؟! فهذا إشهار عن قصة هم في شوق إلى معرفتها، لما فيها من قصص الأنبياء وبما يحيط بها من جلال وعظمة وهيبة وتقديس، فإنه سيخلق واقعا جديدا في نفوسهم بسماع تلك القصة التي هم في شوق إليها تُقص من عالم الغيب والشهادة فيمحون بذلك كل ما كان في ذاكرتهم عن تلك القصة؛ فيما سمعوه من أكاذيب من بني إسرائيل، ليستبدلوه بواقع الصدق والحقيقة؛ لأن القاص فيه هو الله، ثم وصف القصة من الله بأنها أحسن القصص أدخل القصة إلى عالم آخر جعل المتلقي يبحث عن مواضع الحسن فيها، هل في

القصة أم في العبرة ؟ أم...؟ أم...؟ وقد عدد المفسرون مواضع كثيرة للحسن في القصة .

٤. الفضاء الذهني:

هو العالم الذي يعيش فيه الحدث وصاحبه خلف حُجُبْ الواقع متسترين بستائر الصمت الذي يعملان فيه؛ لفهم ما يدور حولهما ، لقد كان الفضاء الذهني لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مليء بالأكاذيب والافتراء على يوسف وإخوته ، كقصته مع النسوة اللائي راودنه عن نفسه ، لا يسمعها أحد إلا ظن بنبي الله السوء ، وهو بريء من كذبهم ، وجاءت هذه القصة التي يقصها علينا الله رب العالمين ومن أصدق منه قيل ؟! فخلق ذلك عالما جديدا من الفضاء الذهني الواقعي الحقيقي الجديد في داخل كل المتلقين ، يضع فيه الحق كل شيء في موضعه ويبينه على حقيقته ، فيصنع ذلك صورة جديدة لهذا النبي الكريم في البنية التصورية للصحابة الكرام بملامحها ، حقيقية نقية يعلوها العفة والطهر والتسامح والكرم .

لقد تمثل الفضاء الذهني هنا في بناء صورة جديدة صحيحة لنبي الله يوسف في ذهن الصحابة ، ونحن من بعدهم ليوم الدين ، وكان ذلك من خلال أدوات لصنع هذا الفضاء منها :

١. مكانة القاص من الصدق واليقين والعلم بالغيب.

٢. ما في القصة من حقائق لا علم لهم بها ، وحقائق مشوشة يكسوها الافتراء والأكاذيب على نبي الله وإخوته .

٣. تصويره لأحداث وأصحابه وما في داخل أنفسهم من مكنون لا يعلمه إلا علام الغيوب .

٤. استخلاص العبر والعظة من القصة في نهايتها؛ قد ساعد في بناء صورة ذهنية واضحة لديهم عن طريق تلخيص الأحداث وإيجازها ، فتبني الصورة الذهنية لمجمل الأحداث وأصحابها بوضوح ونقاء .

هذا ما جعلهم يرون القصة في داخل فضاء ذهني جديد جذبهم إليها، وجعلهم يتلقون القصة وأبطالها في إطار جديد، إطار الحقيقة والصدق والحسن.

ثالثا: النظريات اللغوية الحديثة:

أ) نظرية المزج المفهومي:

تعمل عملية المزج المفهومي من خلال شبكة المزج المفهومي على توصيل الفكرة القادمة من هذا الإشهار، فيما وراء الوعي دون أن تدرك كيف تم ذلك ولكنه يتم من خلال عدة عناصر تقوم عليها هي:

١ـ الأفضية الذهنية.

٢ـ عملية الإسقاط ما بين تلك الأفضية.

٣ـ عمليات المزج والإسقاط الانتقائي (التركيب ـ الإكمال ـ البلورة).

تحليل عمل الأفضية:

١ـ الفضاءان الدخلان: فضاء الدخل الأول (أ) قصة يوسف في ذهن الصحابة وما بها من أكاذيبها، وفضاء الدخل الثاني (ب) قصية يوسف التي سيقصها الله صادقة صحيحة.

٢ـ الفضاء الجامع: يتم الجمع فيه بين الفضاءين الدخلين (أ، ب) فهو الفضاء الذهني المنسوخ من الجمع بينهما؛ لإنتاج صورة ذهنية في البنية التصورية للصحابة لقصة يوسف في شكل جديد يكسوها الصدق والحقيقة، لتخرج لنا كأحسن قصص.

٣ـ فضاء المزيج: بعد الانتقال من الفضاء السابق ننتقل إلى فضاء المزيج، حيث يتم المزج بين الدخلين (أ،ب) قصة كاذبة يقصها بنو إسرائيل وقصة صادقة يقصها الله، فكل منهما يمثل مصدرا لإسقاط المعارف الخاصة به على الذهن، وبالمزج والتوليف بين مكونات الفضاءين الدخلين المتضادين، فهي عملية عقلية تقوم على قدرة المتلقي

على الجمع بينهما، لتخرج بمعان جديدة لنا لا توجد في أي من الفضاءين مستقلين.

٤- **عمليات المزج:** تقوم عملية المزج على عدة عمليات هي: التركيب، الإكمال، البلورة.

أ) التركيب: وهي عملية ميلاد للفكرة الناتجة عن عملية الإسقاط الانتقائي، بالبحث عن علاقات جديدة تجمع بين الفضاءين الدخلين، نقول: قصة يرويها إنسان قاص، فنجمع بالذهن كل السمات الانتقائية لصفة القاص أو الراوي، ثم نقول: الله يقص علينا، فنجمع في الذهن كل الصفات الانتقائية لصفة صدق والعلم، ويتم المقابلة بينهما لنخرج بمعنى جديد، هو صورة قصة حقيقية هي أحسن القصص.

ب) الإكمال: وهي عملية إنشاء لمعان جديدة لا يحملها منطوق الفضاءين الدخلين، فتأتي بعد عملية التركيب السابقة عملية الإكمال بمحور جديد؛ هو: أن هاتين الصفتين (الصدق في قصص الله والكذب في قصص البشر) يمكن أن ننتقي من السمات الانتقائية لهما السمات مطلوبة لإنشاء قصة من أحسن القصص، فتقوم عملية الإكمال على أكساء المعاني أو التصورات الناشئة من عملية التركيب؛ جملة من الأبعاد مستمدة من المعارف العامة المشتركة والتجربة الجماعية، لما يجب أن تكون عليه القصة المثالية كعمل أدبي راق.

ج) البلورة: تطوير لعملية المزيج من حيث تصورها وتخيلها، بتوسيع مدى المعنى الجديد وتفاصيله وأبعاده وتحميله بدلالات مخصوصة رمزية وغير رمزية، فنجد صورة القصة اختلف عن ذي قبل من تحميلها مضامين إنسانية واجتماعية وعبر وحكم لكي تكون قصة من أحسن القصص.

يمكن تصور ما حدث في ذهن الصحابة من عمليات من خلال هذا الشكل:

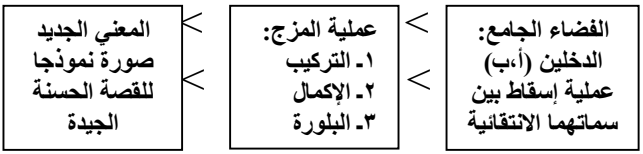

ب. النظرية التداولية:

قام هذا الإشهار على عبارة إشهارية حوارية تداولية بين الحق تبارك وتعالى وبين رسوله الكريم، وقد قام الحوار علي عناصر:

١ ـ **الإشاريات:** ضمير (المتكلم: نحن، المخاطب: الكاف) .

٢ـ **الافتراض السابق:** أن يكون الصحابة قد طلبوا من الرسول أن يقص عليهم قصة .

٣ ـ **الاستلزام الحواري:** هنا أن يكونوا قد حددوا له قصة معينة، وهي قصة آل يعقوب، وقد حدث هذا فعلا فقد سمعوها من قبل من أقوال بني إسرائيل فأرادوا معرفة حقيقة الأمر من السماء .

يقوم الاستلزام الحواري هنا على مبدأ التعاون من خلال تحديد الغرض من القصة وأصحابها، وهو اختبار السائل وهم بنو إسرائيل للمسلمين عن علمهم بهذه القصة، وعندما قصها عليهم رب العالمين في تلك السورة لم يستطيعوا إنكارها، فهي معروفة عندهم وإن أضمروه، ولهذا تمت عملية الحوار بينهما بنجاح، فقد جاءهم الخبر اليقين من السماء، فلم يعترضوا علي شيء منه .

٤ـ **الأفعال الكلامية:** يمكن النظر إلى هذه العبارة الإشهارية على أن بها نوع واحد من الأفعال الكلامية هو فعل (الإخبار): وهو من الأفعال التي تصف وقائع وأحداثا في العالم الخارجي، وتقوم بنقل الواقع نقلا أمينا، ويبدو هنا في إخبار الله لنا أنه هو من سيقص علينا أحسن القصص .

ج. النظرية العرفانية:

ترى هذه النظرية أننا لكي ندرك شيئا ما أو نفهمه، لا بد من عمليات عقلية ذهنية تمكننا من ذلك. فلكي نقبل على قصة يوسف يجب أن نعرف من سيقص علينا هذه القصة، وهذا معرف حتى في عصرنا من سؤال المتلقي عن القصة التي تقدم له؛ فيقول: لَمَنْ مِنْ الأدباء هذه القصة ؟ فإن كانت لمشاهير الأدباء أقبل عليها القارئ بشغف وتلهف، بل إنه يقرأ القصة وفي ذهنه خلفية كبيرة تدفعه للقراءة، هي التاريخ الأدبي للرجل، فإذا كان القاص علينا هنا هو الله تبارك وتعالى فإن الأمر يختلف، حيث تتم عمليات عقلية من مستوى أعلى وأعظم وأعمق من الاهتمام والشغف، وذلك لعدة أسباب:

١ـ أن القاص هو أصدق القائلين سبحانه وتعالى، فننجذب لعظمته ولصدقه .

٢ـ القصة تتناول أشخاص واقعية حقيقية والمتلقي في شغف لسماع قصتهم .

٣ـ المتلقي يريد معرفة القصة؛ للرد على بني إسرائيل وبيان كذب مزاعمهم .

٤ـ وصف الحق للقصة بأنها أحسن القصص، أعطى لها مكانة العالية لديهم .

تتركز العمليات العقلية للمتلقي حول هذه القصة في إدخالها إلى بؤرة فهمه، فتقوم عمليات إسقاط بين المجالات المختلفة لإتمام هذا الفهم، حيث نحاول فهم مجال من خلال مجال آخر، فنفهم قيمة هذه القصة ومكانتها عند المتلقي من خلال إسقاط المعارف المتعلقة بمجال المصدر (قصة يقصها الله) على المعارف المتعلقة بمجال الهدف (أفضل قصص البشر) فنرى أننا قد فهمنا أن قصة يقصها الله قد كسا ذلك هذه القصة رهبة وتقديسا واحتراما وتصديقا، مما يجعلنا نرى فيها نموذجا

لأحسن القصص، ولا يوجد أحسن منها فيما نعرف من قصص البشر، بل في قصص القرآن الكريم نفسه، فلم توصف قصة من قصص القرآن بهذه الصفة سوى هذه القصة، ونرى فيها كيف تكون القصة الأدبية الحسنة.

ويمكن تصور العملية العقلية التي تمت فيها من خلال الشكل الآتي:

١ـ المعارف المتعلقة بمجال المصدر (قصة يقصها الله) ـ >> (من خلال عملية إسقاط هذه المعارف على الهدف) .

٢ـ المعارف المتعلقة بمجال الهدف (أفضل قصص البشر) ـ >> (عملية مقابلة بين المعارف المتشابه بين المجالين) .

٣ـ النتيجة بناء صورة جديدة في ذهن المتلقي (بالبنية التصورية له) عن مجال الهدف (أفضل قصص البشر) فيرى كيف تكون أفضل القصص.

ملاحظة:

العملية العرفانية هنا تقوم على عملية المقابلة بين أفضل قصص البشر، وقصة يرويها الله تبارك وتعالى، فخلق ذلك استعدادا داخليا لدى المتلقي لقبول القصة وتصديقها، وملاحظة كل كلمة فيها، وما يمكن أن يفهمه منها، بل إنه يصل نتيجة تلك العمليات العقلية العرفانية إلي مرحلة من المعايشة للأحداث التي بالقصة كمشاركة الأبطال معاناتهم وفرحهم ، فكل ما مره من محن مختلفة يشعر به المتلقي؛ فكأني به يقول لإخوة يوسف وهم يلقونه في البئر، ويصرخ من داخله، وفي صمته الذي يكسوه :

اتقوا الله في أخيكم إنه نبي الله، فكيف تفعلون به ذلك ؟! فالحالة النفسية والعمليات العقلية التي تتم داخل ذهنه مسببة انفعالات كبيرة من الخوف عليه في البئر، أو في السجن .

القسم الثاني: إشهار عن بضاعة مزجاة:

العبارة الإشهارية: (وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ) في قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يوسف: ٨٨] .

مقدمة:

بعد أن ضاقت بإخوة يوسف سبيل العيش جاءوا إليه مستعطفين طالبين أن يرفق بهم لما وقع عليهم من مجاعة طالبين منه الميرة لأهلهم، وقد حملوا معهم بضاعة مزجاة.

وقد تحدثوا معه واضعين بضاعتهم في منزلته التي تستحقها جاعلين حديثهم في قالب إشهاري جديد لم نره من قبل في السورة حتى الآن، كان من نتائج هذا القالب أن عطف عليهم يوسف وغفر لهم ما فعلوه فيه، واستغفر لهم الله.

وقد قام هذا الإشهار الناجح على خطة وضعها الإخوة لاستعطاف أخيهم، يمكن أن نعرفها من خلال التحليل القادم .

أولا: مع المفسرين:

تفسير ابن كثير:

قَوْله: " **فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ** " تَقْدِير الْكَلَام: فَذَهَبُوا وَدَخَلُوا مِصْر وَدَخَلُوا عَلَى يُوسُف قَالُوا يَا أَيّهَا الْعَزِيز مَسَّنَا وَأَهْلنَا الضُّرّ يَعْنُونَ مِنْ الْجَدْب وَالْقَحْط وَقِلَّة الطَّعَام، " **وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاة** " أَيْ وَمَعَنَا ثَمَن الطَّعَام الَّذِي نَمْتَارُهُ وَهُوَ ثَمَن قَلِيل قَالَهُ مُجَاهِد وَالْحَسَن وَغَيْر وَاحِد وَقَالَ اِبْن عَبَّاس الرَّدِيء لَا يُنْفَق مِثْل خَلِق الْغِرَارَة وَالْحَبْل وَالشَّيْء وَفِي رِوَايَة عَنْهُ الدَّرَاهِم الرَّدِيئَة الَّتِي لَا تَجُوز إِلَّا بِنُقْصَانٍ وَكَذَا قَالَ قَتَادَة وَالسُّدِّيّ وَقَالَ

سَعِيد بْن جُبَيْر: هِيَ الدَّرَاهِم الْفُسُول وَقَالَ اِبْن صَالِح هُوَ الصَّنَوْبَر وَحَبَّة الْخَضْرَاء وَقَالَ الضَّحَّاك فَاسِدَة لَا تُنْفَق وَقَالَ أَبُو صَالِح جَاءُوا بِحَبِّ الْبُطْم الْأَخْضَر وَالصَّنَوْبَر وَأَصْل الْإِزْجَاء الدَّفْع لِضَعْفِ الشَّيْء كَمَا قَالَ حَاتِم طَيِّئ:

لِيَبْكِ عَلَى مِلْحَان ضَيْف مُدَافع وَأَرْمَلَة تُزْجِي مَعَ اللَّيْل أَرْمَلَا ...

وَقَوْله إِخْبَارًا عَنْهُمْ: " **فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْل** " أَيْ أَعْطِنَا بِهَذَا الثَّمَن الْقَلِيل مَا كُنْت تُعْطِينَا قَبْل ذَلِكَ... وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا وَقَالَ اِبْن جُرَيْج وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا بِرَدِّ أَخِينَا إِلَيْنَا وَقَالَ سَعِيد وَالسُّدِّيّ: " **وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا** " يَقُولُونَ تَصَدَّقْ عَلَيْنَا بِقَبْضِ هَذِهِ الْبِضَاعَة الْمُزْجَاة وَتَجَوَّزْ فِيهَا [1] .

تفسير القرطبي:

قوله تعالى: فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز أي الممتع، مسنا وأهلنا الضر هذه المرة الثالثة من عودهم إلى مصر وفي الكلام حذف، أي فخرجوا إلى مصر، فلما دخلوا على يوسف قالوا: مسنا أي أصابنا وأهلنا الضر أي الجوع والحاجة .

قوله تعالى: **وجئنا ببضاعة**، البضاعة القطعة من المال يقصد بها شراء شيء؛ تقول: أبضعت الشيء واستبضعته أي جعلته بضاعة. قوله تعالى: " **مزجاة** " صفة لبضاعة؛ والإزجاء السوق بدفع... والمعنى أنها بضاعة تدفع؛ ولا يقبلها كل أحد. قال ثعلب: البضاعة المزجاة الناقصة غير التامة. اختلف في تعيينها هنا؛ فقيل: كانت قديدا وحيسا؛... وقيل: خلق الغرائر والحبال؛ روي عن ابن عباس، وقيل: متاع الأعراب صوف وسمن؛ وقيل: الحبة الخضراء والصنوبر وهو البطم، حب شجر بالشام؛ يؤكل ويعصر الزيت منه لعمل الصابون فباعوها بدراهم لا تنفق في الطعام، وتنفق فيما بين الناس؛ فقالوا: خذها منا بحساب جياد تنفق من

(١) تفسير القرآن العظيم: ج٢، ص٤٨٨.

الطعام. وقيل: دراهم رديئة، وقيل: ليس عليها صورة يوسف، وكانت دراهم مصر عليهم صورة يوسف. وقال الضحاك: النعال والأدم؛ وعنه: كانت سويقا منخلا. والله أعلم .

قوله تعالى: " **فأوف لنا الكيل وتصدق** " فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: فأوف لنا الكيل يريدون كما تبيع بالدراهم الجياد لا تنقصنا بمكان دراهمنا؛ هذا قول أكثر المفسرين. وقال ابن جريج: فأوف لنا الكيل يريدون الكيل الذي كان قد كاله لأخيهم وتصدق علينا أي تفضل علينا بما بين سعر الجياد والرديئة... قيل المعنى: تصدق علينا بالزيادة على حقنا... وقال ابن جريج المعنى تصدق علينا برد أخينا إلينا. وقال ابن شجرة: تصدق علينا تجوز عنا؛ استشهد بقول الشاعر:

تصدق علينا يا ابن عفان واحتسب وأمر علينا الأشعري لياليا

إن الله يجزي المتصدقين يعني في الآخرة؛ يقال: هذا من معاريض الكلام؛ لأنه لم يكن عندهم أنه على دينهم، فلذلك لم يقولوا: إن الله يجزيك بصدقتك، فقالوا لفظا يوهمه أنهم أرادوه، وهم يصح لهم إخراجه بالتأويل؛ قاله النقاش وفي الحديث: إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب [1] .

تفسير الرازي:

اعلم أن المفسرين اتفقوا على أن ههنا محذوفاً والتقدير: أن يعقوب لما قال لبنيه: " **اذهبوا فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ** " قبلوا من أبيهم هذه الوصية فعادوا إلى مصر ودخلوا على يوسف عليه السلام فقالوا له: "هُوَ القوى العزيز" فإن قيل: إذا كان يعقوب أمرهم أن يتحسسوا أمر يوسف وأخيه فلماذا عدلوا إلى الشكوى وطلبوا إيفاء الكيل؟ قلنا: لأن

(١) تفسير القرطبي: ج٥، ص٣٤٨١ ـ ٣٤٨٣ .

المتحسسين يتوسلون إلى مطلوبهم بجميع الطرق والاعتراف بالعجز وضيق اليد ورقة الحال وقلة المال وشدة الحاجة مما يرقق القلب فقالوا: نجربه في ذكر هذه الأمور فإن رق قلبه لنا ذكرنا له المقصود وإلا سكتنا. فلهذا السبب قدموا ذكر هذه الواقعة وقالوا: (هُوَ القوى العزيز) والعزيز هو الملك القادر المنيع (مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضر) وهو الفقر والحاجة وكثرة العيال وقلة الطعام وعنوا بأهلهم من خلفهم (وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ).

واعلم أن حاصل الكلام في كون البضاعة مزجاة إما لقلتها أو لنقصانها أو لمجموعها ولما وصفوا شدة حالهم ووصفوا بضاعتهم بأنها مزجاة قالوا له: (فَأَوْفِ لَنَا الكيل) والمراد أن يساهلهم إما بأن يقيم الناقص مقام الزائد أو يقيم الرديء مقام الجيد، ثم قالوا: (وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا) والمراد المسامحة بما بين الثمنين وأن يسعر لهم بالرديء كما يسع بالجيد، وروي أنهم لما قالوا: (مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضر) وتضرعوا إليه اغرورقت عيناه فعند ذلك قَالَ: (هَلْ عَلِمْتُمْ مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ) وقيل: دفعوا إليه كتاب يعقوب فيه من يعقوب إسرائيل الله ابن إسحق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله إلى عزيز مصر. أما بعد: فإنا أهل بيت موكل بنا البلاء أما جدي فشدت يداه ورجلاه ورمي في النار ليحرق فنجاه الله وجعلها برداً وسلاماً عليه، وأما أبي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله، وأما أنا فكان لي ابن وكان أحب أولادي إلي فذهب به إخوته إلى البرية ثم أتوني بقميصه ملطخاً بالدم وقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناي من البكاء عليه، ثم كان لي ابن وكان أخاه من أمه وكنت أتسلى به فذهبوا به إليك ثم رجعوا وقالوا: إنه قد سرق وإنك حبسته عندك وإنا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقاً، فإن رددته علي وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك.

فلما قرأ يوسف عليه السلام الكتاب لم يتمالك وعيل صبره وعرفهم أنه يوسف. ثم حكى تعالى عن يوسف عليه السلام في هذا المقام أنه قال: (هَلْ عَلِمْتُمْ مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ) قيل إنه لما قرأ كتاب أبيه يعقوب ارتعدت مفاصله واقشعر جلده ولان قلبه وكثر بكاؤه وصرح بأنه يوسف.

وقيل: إنه لما رأى إخوته تضرعوا إليه ووصفوا ما هم عليه من شدة الزمان وقلة الحيلة أدركته الرقة فصرح حينئذ بأنه يوسف، وقوله: (هَلْ عَلِمْتُمْ مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ) استفهام يفيد تعظيم الواقعة، ومعناه: ما أعظم ما ارتكبتم في يوسف وما أقبح ما أقدمتم عليه، وهو كما يقال للمذنب هل تدري من عصيت وهل تعرف من خالفت ؟ [1].

تفسير الألوسي:

(فلما دخلوا عليه): أي على يوسف عليه السلام بعد ما رجعوا إلى مصر بموجب أمر أبيهم، وإنما لم يذكر إيذانا بمسارعتهم إلى ما أمروا به وإشعارا بأن ذلك أمر محقق لا يفتقر إلى الذكر والبيان...

(قالوا يا أيها العزيز): خاطبوه بذلك تعظيما له على حد خطابهم السابق به على ما هو الظاهر... يا أيها الملك القادر المنيع (مسنا وأهلنا الضر) الهزال من شدة الجوع، والمراد بالأهل ما يشمل الزوجة وغيرها.

(وجئنا ببضاعة مزجية): مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا، من أزجيته إذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب ...

وعلى كل - فمزجاة - صفة حقيقية للبضاعة، وقال الزجاج: هي من قولهم: فلان يزجي العيش أي يدفع الزمان بالقليل، والمعنى إنا جئنا ببضاعة يدفع بها الزمان وليس مما ينتفع بها، والتقدير على هذا ببضاعة

(١) التفسير الكبير: المجلد التاسع، ١٨، ص١٦٥.

مزجاة بها الأيام أي تدفع بها ويصير عليها حتى تنقضي كما قيل: **درج الأيام تندرج ❖ وبيوت الهم لا تلج.**

وما ذكر أولا هو الأولى، وعن الكلبي أن (مزجاة) من لغة العجم، وقيل: من لغط القبط، وتعقب ذلك ابن الانباري بأنه لا ينبغي أن يجعل لفظ معروف الاشتقاق والتصريف منسوبا إلى غير لغة العرب فالنسبة إلى ذلك مزجاة...

ثم قالوا: (فأوف لنا الكيل) أي أتمه لنا ولا تنقصه لقلة بضاعتنا أو رداءتها، واستدل بهذا على أن الكيل على البائع ولا دليل فيه.

(وتصدق علينا) ظاهره بالإيفاء أو بالمسامحة وقبول المزجاة أو بالزيادة على ما يساويها... والظاهر كما قال الزمخشري: أنهم تمسكنوا له عليه السلام بقولهم: (مسنا) طلبوا إليه يتصدق عليهم بقوله: (وتصدق علينا) فلو لم يحمل على الظاهر لما طابقه ذلك التمهيد ولا هذا التوطيد أعني (إن الله يجزى المتصدقين) بذكر الله تعالى وجزائه الحاملين على ذلك وإن فاعله منه تعالى بمكان.

قال النقاش: وفي العدول عن إن الله تعالى يجزيك بصدقتك إلى ما في النظم الكريم مندوحة عن الكذب فهو من المعاريض، فإنهم كانوا يعتقدونه ملكا كافرا وروى مثله عن الضحاك، ووجه عدم بدءهم بما أمروا به على القول بخلاف الظاهر في متعلق التصدق بأن فيما سلكوه استجلابا للشفقة والرحمة فكأنهم أرادوا أن يملأوا حياض قلبه من نميرها ليسقوا به أشجار تحسسهم لتثمر لهم غرض أبيهم، ووجهه بعضهم بمثل هذا ثم قال: على أن قولهم (وتصدق) الخ كلام ذو وجهين فإنه يحتمل الحمل على المحملين فلعله عليه السلام حمله على طلب الرد ولذلك (قال) مجيبا عما عرضوا به وضمنوه كلامهم من ذلك [1].

(١) روح المعاني: المجلد السابع، ج٧، ص٤١٩.

خواطر الشيخ الشعراوي:

لم يذكر الحق سبحانه اسم مَنْ دخلوا عليه، لأنه بطل القصة، والضمير في "**عليه** " لا بُدَّ أن يعود إلى معلوم، ونادوه بالتفخيم قائلين: (يا أَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ) أي: أن الجوع صَيَّرنا إلى هُزَال، وبدءوا بترقيق قلب مَنْ يسمعهم؛ بعد تفخيمهم له؛ فهو الأعلى وهُم الأدنى. ويستمر قولهم: **(وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِي ٱلْمُتَصَدِّقِينَ)** ونعلم أنهم قد جاءوا ليتحسسوا أمر يوسف وأخيه، وقد اختاروا مَدْخل الترقيق والتفخيم كَلَوْن من المَكْر، فالتفخيم بندائه بلقب العزيز؛ أي: المالك المُتمكِّن؛ ويعني هذا النداء أن ما سوف يطلبونه منه هو أمر في متناول سلطته والترقيق بشكوى الحال من جوع صار بهم إلى هُزال، وأعلنوا قدومهم ومعهم بضاعة مزجاة، أي: بضاعة تُستخدم كأثمان لِمَا سوف يأخذونه من سِلَع.

وكلمة: **(مُّزْجَاةٍ)** أي: مدفوعة من الذي يشتري أو يبيع.

إذن: فما معنى قول الحق سبحانه: **(بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ)** ولكي تعرف المعنى بإحساسك؛ جَرِّب هذا الأمر في نفسك، وراقب كيف تدفع ثمن أيَّ شيء تشتريه؛ فإنْ كان معك نقود قديمة ونقود جديدة؛ ستجد أنك تدفع قيمة ما تشتريه من النقود القديمة؛ وسوف تجد نفسك مرتاحاً لاحتفاظك بالنقود الجديدة لنفسك.

وقد يقول لك مَنْ تشتري منه: " خذ هذه الورقة النقدية القديمة التي تدفعها لي، واستبدلها لي بورقة جديدة ". فما دامت النقود سوف تُدفع؛ فأنت تريد أن تتخلص من النقود القديمة؛ وتفعل ذلك وأنت مُرتاح، وبذلك يمكننا أن نفهم معنى: (بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ) على أنها بِضَاعة رديئة. فكأن الضُّرَّ الذي أصابهم جعلهم عاجزين عن دفع الأثمان للمَيْرة التي سوف يأخذونها، مثل الأثمان السابقة التي تميزت بالجودة.

(فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِي ٱلْمُتَصَدِّقِينَ) أي: أنهم يرجونه أن يُوفِّي لهم الكيل ولا ينقصه؛ إنْ كان ما جاءوا به من أثمان لا يُوفى ما تساويه المَيْرة وطالبوه أن يعتبر تلك التَّوْفِية في الكَيْل صدقة.

وبذلك رَدُّوه إلى ثمن أعلى مما حملوه من أثمان، وفوق قدرة البشر على الدَّفْع؛ لأن الصدقة إنما يُثيب عليها الحق سبحانه وتعالى.

وانظر إلى ما فعلته الترقيقات التي قالوها؛ نظر إليهم يوسف عليه السلام وتبسم، ولما تبسَّم ظهرت ثناياه، وهي ثنايا مميزة عن ثنايا جميع مَنْ رأوه. وجاء الحق سبحانه بما قاله: (قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ) [1].

ثانيا: الدراسات اللغوية الحديثة:

١. الغاية غير المعلنة من الإشهار:

ذكر الرازي رأيين للغاية من هذا الإشهاري:

(أ) أنهم ذهبوا ليتحسسوا من يوسف وأخيه كما أمرهم أبوهم ووصاهم .

(ب) أنهم عدلوا عن تلك الوصية وطلبوا الإيفاء بالكيل، ويدافع عن الرأي الثاني بأنهم استخدموا أسلوب الاستعطاف للوصول إلي غايتهم للأخوين.

والحق أنهم جاءوا لتحقيق الهدفين معا: تحسس أخبارهما، والحصول على الكيل إذا سمحت الفرصة لهذا وذاك .

استعانوا لذلك بخطة تحقق لهم غرضهم المعلن وغير المعلن؛ ذكرها الرازي قائلا: إن المتحسسين يتوسلون إلى مطلبهم بجميع الطرق... من ضيق اليد وقلة المال وشدة الحاجة مما يرقق قلبه، فقالوا: نجربه في ذكر هذه الأمور، فإن رق قلبه لنا ذكرنا له المقصود وإلا سكتنا [2] .

كل هذا في سبيل تحقيق الغاية غير المعلنة التي جاءوا من أجلها .

---

(١) من أحاديث الشيخ على الشبكة العنكبوتية (انترنت).
(٢) التفسير الكبير: ج١٨، ص١٦٥.

٢. اللغة المنطوقة وغير المنطوقة:

أ) اللغة المنطوقة:

حققت اللغة المنطوقة في الإشهار الغاية منه، فقد عرضت المنتج بصورة جديدة رائعة، حرص فيها أصحابه على تقديم منتجهم الذي لا يساوي ثمن الحنطة التي يطلبونها في شكل جديد لا يعرفه إلا أصحاب البضاعة البسيطة، وتلك استراتيجية إخوة يوسف في عرض سلعتهم المزجاة على المشتري، تقوم على الضرب على وتر آخر لم يفكر فيه المشتري، وهو البعد الإنساني الذي يدفع المستهلك إلى الشراء، مع ترك ميدان صراع المكسب والخسارة الذي يسيطر على كل من البائع والمشتري، فكلاهما يحرص على أن يخرج من هذا الصراع رابحا، وقد علموا أنهم ولاشك خاسرون في هذا الصراع فبضاعتهم مزجاة، ولا يستطيعون خداع المشتري فهو عزيز مصر، فقالوا كما ذكر الرازي لابد أن نحاول استعطافه، واستعانوا على ذلك بالصدق في وصف بضاعتهم، فقالوا مشهرين عنها: وجئنا ببضاعة مزجاة .

إذن لابد من استراتيجية جديدة مخالفة لما سبق وهي ما ذكره الرازي من خطة الاستعطاف واسترقاق قلب الوزير، ولكن كيف يكون ذلك؟!

لقد جاءت اللغة المنطوقة معبرة بدقة عن تلك الخطة، حيث النص القرآني أتى مصورا للحدث في صورة طلب استعطاف مقدم منهم إلى عزيز مصر كالالتماس الذي يُقّدم إلى رئيس مصلحة أو هيئة للحصول على شيء منه أو أن يطلب منه العفو، فعادة ما يقوم مقدم الالتماس (في عصرنا) بالبدء بتعظيم رئيس الهيئة، ثم يستعطفه ويشكو إليه ضيق الحال والحاجة إلى المال، ثم يذكر طلبه من هذا الرئيس، ثم يختم طلبه بالشكر لهذا الرئيس، والدعاء له .

هذا ما فعله إخوة يوسف على الترتيب ذاته، وكأن أصول كتابة الشكاوى والالتماسات وما يماثلها؛ تراث متوارث في مصر، ورثه المصريون عن أجدادهم؛ فنجد الطلب المقدم مكون من خمس جمل كل جملة تقابل عنصرا من العناصر الالتماسات المعاصرة، فلننظر إليه على أساس هذا الترتيب :

١ـ المقدمة بها تعظيم رئيس الهيئة أو المصلحة: **قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ**.

٢ ـ الشكوى من ضيق الحال ومعاناتهم (الأطفال ونساء): **مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ** .

٣ـ وصف السلعة بصدق كدليل علي ضيق الحال وشدته: **وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ** .

٤ ـ طلبهم المقدم في الالتماس:

أ) **فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ** ب) **وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ**

٥ـ إنهاء الطلب بالدعاء لرئيسهم: **إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِي ٱلْمُتَصَدِّقِينَ**

لو أننا نظرنا إلى هذه الجمل لوجدنا أن الجملة الإشهارية مختفية في العبارة الإشهارية، بالضبط في وسطها بالجملة الثالثة؛ تلك الجملة التي يعلن فيها إخوة يوسف عن سبب مجيئهم إلى مصر بعد واقعة السرقة، وهو الحصول على الحنطة ببيع سلعتهم، وبينوا نوع السلعة التي جاءوا بها (سلعة رديئة) وتسبق هذه الجملة جملتان استعطافيتان، وبعدها جملتان استعطافيتان أيضا، إلى حد أننا قد لا ننتبه إلى وجود هذه الجملة الإشهارية المدسوسة وسط تلك العبارة، ولهذا لن ندرك ما قالوه في وصف بضاعتهم بالسوء وسط ما قالوه من الاستعطاف الذي رقق لهم قلب يوسف، فنجحت بذلك خطتهم فعفا عنهم .

وقولهم: إن الله يجزي المتصدقين قد حمله المفسرون على أنه من معاريض الكلام، أي أنهم قالوها وقصدوا به الله تعالى (الذي يجزي)،

مع جواز أن يفهم منه أنهم يقصدون يوسف، لأنهم اعتقدوا أنه كافر، فعظموه خشية منه .

الصور البلاغية في العبارة: لقد كانت كل جملة وكل كلمة في العبارة معبرة عن المعنى الذي جاءت من أجله على الرغم من اختصارها، فقولهم: مسنا وأهلنا الضر استعارة مكنية حيث شبه الضر بالإنسان وحذف المشبه به، ثم جاء بشيء من صفاته وهي المس، فتخلق في خيال المتلقي صورة رقيقة لما فعله الضر فيهم، فقد كانوا أحياء أصحاء، فلو قالوا: أهلكنا الضر لقال لهم كذبتم، فكانت كلمة مسنا أدق في التعبير، وعطف عليهم (أهلينا)، والأهل كما ذكر اللغويون أنهم الأسرة بما فيها من نساء وأطفال، وقد ذكروهم ضمن الحديث عمن مسهم الضر ليكون أدعى إلى استرقاق قلب العزيز .

وقد أظهروا حاجتهم الشديدة إلى الحنطة بتقديم (لنا) على الكيل، ولقد بالغوا في طلبهم من الوفاء بالكيل، أي أنهم يريدون كيلا وافيا، على الرغم من أن بضاعتهم مزجاة؛ فحاولوا تدارك الموقف الذي نتج عن كلمة (أوف) فقالوا: (وتصدق علينا) أي أننا لا نستحق هذا الوفاء في الكيل نظرا لسوء بضاعتنا، لكننا نطمع أن تحسن إلينا وقد قالوا له من قبل (إنا نراك من المحسنين) .

فإذا كان مالنا لا يساوى سلعتك فجعل الباقي صدقة منك علينا، وقد افترضوا أن يكون كافرا فلم يقولوا له: إن الله يغفر للمتصدقين، بل قالوا له إن الله يجزي المتصدقين، قبل أن يسألهم من الله، وماذا سيفعل الله لي، فسارعوا بالقول: إنه سيتولى سداد باقي الثمن عنا .

ويبدو أن لفظ (الله) كان معروفا في هذا المجتمع؛ فقد أشار يوسف في وسط حديث سابق معهم اسم الله قائلا لهم: ﴿**قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلاَّ مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ**﴾ [يوسف: ٧٩].

ولم يستنكروا عليه ذلك القول ولم يستنتجوا منه أنه مؤمن مثلهم، أو أنه على دينهم دين إبراهيم جدهم.

ب) اللغة غير المنطوقة:

١ـ اللغة الرمزية:

هذه اللغة تتمثل في كلمات ترمز إلي معان غير منطوقة وتفهم من العبارة، منها: أيها العزيز، رمزت لمكانته العالية وإلى تعظيمه وتبجيله، وأهلنا: أشارت إلى عموم البلاء ليشمل الصغير والكبير، ومزجاة: ذكر المفسرون لها كثيرا من المعاني، مما يدل على أنها ترمز إلى أشياء كثيرة؛ وأن الحق سبحانه عندما استخدمها أفسح المجال لتدخل ضمنها أشياء كثيرة يمكن أن يتصورها كل إنسان على حدة، فربما ترمز لهذا الشيء أو لذاك. والكيل: رمزت إلى كل ما يكال ويصح أن يطلق عليه هذا الاسم (مكيل) فقد يكون ما يأخذونه منه قمحا أو تمرا أو زبيبا أو شعير أو غيره مما يكال .

إن الله يجزي: رمزت إلى وجود طرف ثالث في الصفقة سوف يسدد عنهم دينهم في عملية الشراء هذه، ولهذا وجب الإعلان عن اسمه صراحة حتى يمكن مطالبته بالسداد (سبحانه وتعالي عما يشركون) وحتى لا يختلط مع غيره من الضامنين للديون، ولم يستخدم صفة من صفاته (سبحانه) نحو كريم أو رحيم أو غني، لماذا ؟ لأنه عقد بينهم وبين عزيز مصر على السداد بضامن لهم بسداد باقي المبلغ هو الله، وفي العقود لا تذكر صفات الأطراف المتعاقدة؛ بل الأسماء، فكان لزاما ذكر اسمه الله (الله) كطرف ثالث ضامن .

٢ـ اللغة الانفعالية:

كل كلمة في هذا الإشهار تتضمن طاقة انفعالية، فجّرتْ في نفس يوسف مشاعر إنسانية، وما في اللا شعوره من أحاسيس الرحمة والحب

لأهله والخوف عليهم توارت خلف انفعال الغضب من إخوته لفعلتهم السابقة، وقد استطاعت هذه الكلمات بما تحمله من تلك الطاقة أن تفجر في قلب يوسف ونفسه مشاعر الحزن والشفق على أهله وقومه، فانفجر بالبكاء أمامهم، وقد حرصتُ على نقل ما ذكره المفسرون من روايات حول ذلك لإثبات رحمته وإنسانيته، فلم يقدر على الاستمرار في إخفاء نفسه عنهم، فقال: هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون، فكانت بداية العفو العتاب، فقال ما سبق من قول، وهو عتاب لهم على ما فعلوا به وليس شماتة، ثم عفا عنهم.

وتبدأ الكلمات بتفجير الطاقة الانفعالية التي بداخلها للوصول إلى هدفها غير المعلن من أول جملة (مسنا وأهلنا الضر) فهو يعرف أنهم إخوته وأهله؛ لذا كان مرجع الضمير في (أهلنا) يشمله أيضا، وهنا يخاطب الإشهار المنطقة المختفي في أعماق يوسف وفي لا شعوره والأكثر هشاشة وضعفا ليقول له:

أهلك يا نبي الله يهلكون كبيرهم وصغيرهم شيخهم وطفلهم رجالهم ونساؤهم. فماذا أنت فاعل ؟! أتبقي على حالة القصاص ممن ظلمك، أو حاول قتلك، فتظلم من لم يظلم ؟! فهو الآن في مثل سنك يوم ألقوك في البئر أو أصغر!!

هذه الجملة تمثل القنبلة التي فجرت مشاعر الرحمة والشفقة والخوف على الأهل، فما كان من يوسف بعدها إلا أن يستجاب لهم، وما أتي بعد ذلك من جمل العبارة لا تأثير لها، فقد استسلم لهم يوسف، وحطمتْ تلك الجملة جبال الكره لهم، ولأفعالهم التي بنتْ الغضب في نفسه عبر سنين الغربة والعذاب التي عاشها بل تجرعها وحيدا، بلا عون ولا سند إلا من الله الذي كان دائما معه يثبتْ قلبه، ويمكن له في

الأرض مرات ومرات، منذ أن اشتراه عزيز مصر إلى أن ولاه ملك مصر وزارة البلاد وشئونها .

يقول سيد قطب: " يدخلون في حديثهم انكسار لم يعهد في أحاديثهم من قبل، وشكوى من المجاعة تدل على ما فعلت بهم الأيام وعندما بلغ الأمر بهم إلى هذا الحد من الاسترحام والضيق والانكسار؛ لا تبقي في نفس يوسف قدرة على المضي في تمثيل دور العزيز، والتخفي عنهم بحقيقة شخصيته، فقد انتهت الدروس وحان وقت المفاجأة [1] .

وتصدق علينا: جملة تحمل أيضا طاقة انفعالية، ليست مثل الجملة السابق، لكنها جملة انفعالية تقول له: لقد بلغت الشدة ببيت النبوة لهذا الحد من الفقر، فخرجوا في طلب الصدقة من الناس في بلاد الله من أقوام لا يعرفون مقامهم الشريف وقدرهم؛ مقام ومقدار النبوة، فأين أنت يا نبي الله ؟ !

وهم يحدثونه ولا يعلمون أنه أخوهم يوسف، إنهم يحدثونه وفي اعتقادهم أنه ليس يوسف، ولو علموا أنه يوسف ربما لا يستعطفوه بهذه الصورة حياءً منه. إنه الطاقة الانفعالية عملت في هذا الإشهار؛ فروجت للسلعة لتباع من لحظتها بنجاح .

٣ـ اللغة الإيحائية:

يسعى الإشهار إلى خلق واقع جديد في نفوس الآخرين، يغطي على الواقع الفعلي أو يتجاوزه أو ينفيه، إنه يتسلل بمكر إلى فضاء المتخيل والفكر الاجتماعي، كما يتسلل إلى الأخلاق والعوالم الروحية، لكي يسقط كونا جديدا، فيتحول إلي متحدث وحيد باسم اللذة والحلم والدين والخرافة [2] .

---

(١) في ظلال القرآن: ج٤، ص٢٠٢٧.
(٢) الصورة الإشهارية: ١٩٩ ـ ٢٠٠.

اللغة الإيحائية في هذا الإشهار تعتمد على خلق واقع جديد في نفس يوسف عما وصل إليه واقع أهله الذين غاب عنهم سنوات طويلة، إن هذا الإشهار يسعى للتسلل إلى داخل نفس يوسف في مكر ودهاء؛ لإقناعه بسوء حالهم، واستدعاء المعاني الإنسانية من الرحمة والشفقة والعطف من داخل يوسف، فكانت جملة (مسنا وأهلنا الضر) موحية بمعنى طلب الرحمة والشفقة بهم، وكذلك اللغة الثانية التي وراء جملة (فتصدق علينا) من توصيل معنى ثان إلى ذهن المتلقي هو توضيح مدى الشدة والبؤس الذي هم فيه إلى حد طلبهم الصدقة، والجملة الثالثة (إن الله يجزي المتصدقين) التي توحي بغلق كل أبواب المال والكسب أمامهم، ولا يملكون إلا اللجوء إلى الله ليمدهم بالعون ويسد عنهم ما قصروا فيه من مال له، كل هذه إيحاءات قالت بها العبارة الإشهارية دون أن تنطق بشيء .

الفضاء الذهني:

الفضاء الذهني هنا هو الفضاء خاص بذهن يوسف، وهو الذي يعمل فيه هذا الإشهار الآن، فهو فضاء يحتفظ في داخله بصورة ذهنية قديمة في بنيته التصورية لهؤلاء الإخوة، لم تتغير حتى بعد أن رآهم مرتين قبل اليوم، وما كانت تلك الصورة التي في بنيته التصورية لتتغير فهي كما هي، وما زادتها السنون إلا تثبيتا وتأكيدا، وما فعله في المرتين إلا محاولة مكافأة المظلومين من الأهل وأوّلهم بنيامين .

هذا هو الفضاء الذهني ليوسف حتى هذه اللحظة، ولكن الأمر تغير بعد هذا الإشهار، لقد تحطم هذا الفضاء لتتم عملية بناء لفضاء جديد وبنية تصورية جديدة، هذا فضاء بنيت فيه صورة لقوم منكسرين مستعطفين لم يرهم على هذه الصورة من قبل، إنها الصورة التي ستدخل فورا إلى بنيته التصورية وتستقر في الفضاء الذهني له، فتجعله يتخذا قراره بالعفو عنهم .

لقد صنع تحطيم الصورة القديمة التي في فضاء ذهني أمين يحفظ الأحزان بأمانة ويمحو الأفراح، فيقدم الحزن أولا على ما سواه؛ لقد أحدث ارتجاجا في مشاعر يوسف وزلزلها زلزالا شديدا، كأن (الفضاء الذهني القديم) لكي يسقط، ويتحطم لا بد أن يُزلزل صاحبَه، ليقنعه بالصورة الجديدة فيقبلها، وهو الذي عاش عمره محافظا عليها ومقدسا لها، وما كان يتصور يوما أن تزول، وما في نفسه دائما كيف يقتص لما حدث له من قبل ؟

وكان أول ثأره منهم ما قاله الحق تبارك وتعالى بعد أن أخذ أخاه منهم (كذلك كدنا ليوسف) فالله أعانه ليقتص منهم، على الرغم من طول السنين، فتلك الصورة التي في البنية التصورية ثابتة لم تتغير، وعلي الرغم من هذا القصاص السريع إلا أن يوسف عجز عن أن يستمر في قصاصه.

فقد تحطم محراب كرهه لإخوته بعد هذا الفضاء الجديد، وما به من صورة حزينة لهم، فبنيت بنفسه صورة جديدة على أساس سليم، لا يدخل في صناعتها شيء من الماضي .

ثالثا: النظريات اللغوية الحديثة :

أ. نظرية المزج المفهومي:

تقوم بتحليل عملية إنتاج المعنى الجديد من معنيين على المراحل الآتية:

١. **الفضاءان الدخلان:** فضاء الدخل الأول (أ) صورة الإخوة في قوة وجبروت، فضاء الدخل الثاني (ب) صورة الإخوة في ذل وانكسار .

٢. **الفضاء الجامع:** يتم الجمع فيه بين الفضاءين الدخلين (أ ، ب) فهو الفضاء الذهني المنسوخ من الجمع بينهما؛ لإنتاج صورة ذهنية في البنية التصورية للوزير تحمل معنى جديدا، هو تسامح وعفو وعطف، لقد سعت هذه الأفضية الذهنية إلى ما وراء الفضاء الذهني القديم المحفوظ في

ذاكرة الوزير لبناء صورة ذهنية في بنيته التصورية عن هؤلاء الإخوة على حالتهم الجديدة .

٣ـ فضاء المزيج: بعد الانتقال من الفضاء السابق ننتقل إلى فضاء المزيج، حيث يتم المزج بين الدخلين (أ ،ب) جبار ومنكسر، فكل منهما يمثل مصدرا لإسقاط المعارف الخاصة به على الذهن، وبالمزج والتوليف بين مكونات الفضاءين الدخلين المتناقضين، فهي عملية عقلية تقوم على قدرة المتلقي على الجمع بينهما ، والإسقاط؛ لتخرج لنا بمعان جديدة لا توجد هذه المعاني في أي من الفضاءين مستقلين، وهو هنا معنى الرحمة حتى على من ظلمني .

٤ـ عمليات المزج: تقوم عملية المزج على عدة عمليات هي: التركيب، الإكمال، البلورة .

أ) التركيب: وهي عملية ميلاد للفكرة الناتجة عن عملية الإسقاط الانتقائي، بالبحث عن علاقات جديدة تجمع بين الفضاءين الدخلين، نقول: هم جبّارون فنجمع بالذهن كل السمات الانتقائية لصفة جبار، ثم نقول: هم أذلاء، فنجمع بالذهن كل السمات الانتقائية لصفة ذليل، ويتم المقابلة بينهما لنخرج بمعنى جديد، هو صورة إنسان يستحق العطف والشفقة، فتتحول مشاعره نحوهم .

ب) الإكمال: وهي عملية إنشاء لمعان جديدة لا يحملها منطوق الفضاءين الدخلين، فتأتي بعد عملية التركيب السابقة عملية الإكمال بمحور جديد؛ هو:

أن هاتين الصفتين (جبار، منكسر) يمكن أن ننتقي من السمات الانتقائية لهما السمات مطلوبة لإنشاء صورة جديدة في ذهن يوسف حول مشاعره نحوهم هي صورة الشفقة والرحمة عليهم، وهنا تتنحى السمات غير المطلوبة من الظلم والقهر وتحل محلها سمات الإخُوّة والأهلية

والتراحم بين الأهل لتدمر المشاعر السابقة وتولد مشاعر جديدة داخله مناقضة لما سبق من كره وثأر .

فتقوم عملية الإكمال على أكساء المعاني أو التصورات الناشئة من عملية التركيب؛ جملة من الأبعاد مستمدة من المعارف العامة المشتركة والتجربة الجماعية، لما يجب أن يفعله الأخ في هذه الحالة نحو إخوته من التسامح .

ج) البلورة: تطوير لعملية المزيج من حيث تصورها وتخيلها، بتوسيع مدى المعنى الجديد وتفاصيله وأبعاده وتحميله بدلالات مخصوصة رمزية وغير رمزية، فنتيجة لما تم من تغيير في مشاعر يوسف نحوهم تمت بلورة ذلك المعنى الجديدة في شكل كلمات وسلوك نحوهم، فالكلمات في قوله لهم:

" لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم "، والسلوك في قوله لهم: "اذهبوا بقميصي هذا فألقوه علي وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين "، ويمكن تصور ما حدث في ذهن يوسف من عمليات من خلال هذا الشكل:

فضاء الدخل(أ) >
فضاء الدخل(ب) >

الفضاء الجامع: الدخلين (أ،ب) عملية إسقاط بين سماتهما الانتقائية < **عملية المزج : ١- التركيب ٢- الإكمال ٣- البلورة** < **المعني الجديد شخص منكسر يستحق العطف والتسامح**

ب. النظرية التداولية:

قام هذا الإشهار على عبارة إشهارية حوارية تداولية بين يوسف وإخوته، وقد قام الحوار على عناصر:

١- الإشاريات: ضمير (المتكلم: نا، المخاطب المستتر: أوف - تصدق) .

النداء (يا أيها العزيز)

٢ـ **الافتراض السابق:** أن يكون العزيز قد سمح لهم بالدخول عليه بعد ما اتهموا بالسرقة .

٣ـ **الاستلزام الحواري:** هنا أن يكون العزيز قد سألهم لما عدتهم بعد فعلتكم ؟! يقوم الاستلزام الحواري هنا على مبدأ التعاون من خلال تحديد الغرض من المجيء، وهو معرف عند العزيز وعند الإخوة، وإن لم يعلنوا عن هذا الغرض الحقيقي وأضمروه، ولهذا تمت عملية الحوار بينهما بنجاح، حيث تم الإعلان عنه بعد أن كشف يوسف لهم عن شخصيته، تحول الموقف فورا لصالحهم ونجحت عملية التفاهم والتواصل بينهم .

٤ـ **الأفعال الكلامية:** يمكن النظر إلى هذه العبارة الإشهارية على أن بها عدة أنواع من الأفعال الكلامية هي الأفعال:

أـ الإخباريات: هي الأفعال التي تصف وقائع وأحداثا في العالم الخارجي، وتقوم بنقل الواقع نقلا أمينا ، ويبدو هنا في إخبارهم العزيز بما آل إليه حالهم في: مسنا وأهلنا الضر، جئنا ببضاعة مزجاة، إن الله يجزي المتصدقين .

ب ـ الطلبيات: وتضم الأفعال الكلامية الدالة على الطلب، وقد جاء هنا فعل الطلب على صيغة افعل (أوف ـ تصدق) .

تحليل لآلية الإقناع التداولية:

يقوم الفعل اللغوي وفق النظرية التداولية بتقسيم الملفوظ إلى ثلاثة أقسام: فعل إنتاج ـ فعل إنجاز ـ فعل تأثير .

١) فعل إنتاج: ويشمل العناصر اللغوية لإنتاج الملفوظ (صوت. نحو. دلالة)، إنه بناء الوحدة اللفظية بعيدا عن السياق .

٢) الفعل الإنجازي: يأتي السياق بعد إنتاج الوحدة اللفظية، بالفعل الإنجازي، وهو إنجاز الفعل داخل السياق، حيث ترتبط بسياقات

التلفظ دلالات وأبعاد أخرى تدل على أننا نقوم بشيء ما، ونحن نتلفظ بهذه الكلمات مثل الوعد أو الوعيد أو التأكيد، وهي قيم ليست قارة في الملفوظ، لكن نستنتجها من خلال السياق، فنفهم من تلك الوحدات أشياء سنقوم بها لم تنطق في الوحدات اللغوية المذكورة.

٣) **الفعل التأثيري:** وهو السلوك الناتج عن فعلي القول والإنجاز السابقين. ويمكن تصور هذا العملية بمراحلها المختلفة من هذا الشكل:

فعل إنتاج (يمثل وحدة مضمونية متضمنة في الكلمة) ـ >> فعل إنجازي (وهو القيم المرتبطة بسياقات التلفظ، ودلالات نهائية استنتاجية لهذا الملفوظ في سياقاته التي يرد فيها) ـ >> مما يؤدي إلى قوة ثالثة هي الآثار النفسية التي يتركها الملفوظ في نفس المتلقي، أي الفعل التأثيري (وهي نتائج هذه الأفعال على سلوك المتلقي ومعتقداته ثم يتجسد هذا الفعل (قاعدة الفعل) في سلوك عيني، يتحقق من خلال حدوث تغير في قناعات المتلقي الفكرية أو الدينية.

وهذا هو الهدف النهائي من عملية الإشهار، حيث يتحقق بتحول المتلقي من مجرد مستمع إلى مؤمن بهذه الفكرة ومقتنع بها ومقبل عليها هنا يتحول الأمر من مجرد إثارة انتباه بفعل قولي ملفوظ إلى فعل إنجازي، هو تجسيد لهذا التأثير والاقتناع بالإقبال عليه. ويمكن تطبيق هذا القول على هذا الإشهار:

١ـ الجملة الأولى: فعل إنتاج (مسنا وأهلنا الضر) ـ >> فعل إنجازي (هذا السياق أثار في نفس يوسف الرحمة والشفقة لما وقع بهم) ـ >> فعل تأثيري (نتيجة لهذه الإثارة قال لهم لا تثريب عليكم اليوم...).

٢ـ الجملة الثانية: فعل إنتاج (تصدق علينا) ـ >> فعل إنجازي (هو ما أثاره هذا القول من قوة إنجازية، فهمت من هذا السياق، هي شدة الضيق والفقر الذي هم فيه) ـ >> فعل تأثيري (هو نتيجة تأثير هذا الفعل الإنجازي المتضمن في السياق السابق بأن عفا عنهم).

هـذا العمـل المتسلسل يعـبر عـن فكـر متنـامي حـول غايـة يـصنعها المتكلم بفعله الكلامـي لإنجـاز غاية تظهـر في السلوك العيني الـتي تتم بعد إنجاز هذا الكلام .

الفعل الكـلامي: (فعل إنتاج) ـ > (فعل إنجازي) ـ > (قاعدة الفعل).

فنجـد أن الهـدف مـن الرسـالة الكـلاميـة أو الإشـهارية قـد تحقـق، فالغرض من الإشهار هو إقناع المتلقي بالمنتج أو الفكرة أو السلعة .

ج. النظرية العرفانية:

تـري هـذه النظريـة أننـا لكـي نـدرك شـيئا مـا أو نفهمـه، لا بـد مـن عمليات عقلية ذهنية، تمكننا من ذلك. فكي يقبل يوسف هذه البضاعة المزجاة منهم لا بد من القيام بعمليات عقلية من قِبل إخوته لإقناعه بها، وذلك بالدخول لبؤرة معينة في ذهنه. وهي موضع حدوث عملية الإقناعية، وهي منطقة التشابه بين حال أهل يوسف الآن من الفقر وشدة العيش؛ وحالته السابقة من المعاناة في قعر البئر من جوع وخوف وضيق في غربته؛ لهذا كل إقناعه بحالهم سريعا من خلال جملة واحدة (مسنا وأهلنا الضر) فقط، حيث تمت عملية عرفانية من المقابلة بين الحالتين، فاستطاع يوسف أن يفهم حالة الضيق عند أهله، فهم مجال من خلال مجال آخر، حيث تتم عملية إسقاط للمعارف المتعلقة بالمجال الأول على المعارف المتعلقة بالمجال الثاني، فتكون النتيجة فهم هذا المجال الثاني نتيجة عملية الإسقاط هذه .

وكان عمل النظرية العرفانية في هذا الإشهار في جملتين هما:

الجملة الأولى: مسنا وأهلنا الضر .

ويمكن تصور العملية العقلية التي تمت فيها من خلال الشكل الآتي:

١ـ المعارف المتعلقة بمجال المصدر (معاناة يوسف السابقة) ـ >> (من خلال عملية إسقاط هذه المعارف على الهدف) .

٢ـ المعارف المتعلقة بمجال الهدف (معاناة أهله الحالية) ـ >> (عملية مقابلة بين المعارف المتشابه بين المجالين) .

٣ـ النتيجة بناء صورة جديدة في ذهن يوسف (بالبنية التصورية له) عن مجال الهدف (معاناة أهله) فيأتي رد الفعل سريعا بالعفو عنهم .

الجملة الثانية: وتصدق علينا .

لقد صورت هذه الجملة مدى الفقر والشدة التي هم فيها إلى حد استعطاف الناس، وهم أهل بيت النبوة، وقد اختلف المفسرون في جواز الصدقة عليهم، فقال بعضهم: إنه لا يجوز ذلك، وقال آخرون: إن هذا خاص بنبينا وآل بيته الكرام عليه الصلاة والسلام .

وفي إطار هذا يمكن أن نفهم العملية العقلية العرفانية التي تمت هنا:

١ـ إسقاط المعارف المتعلقة بمجال المصدر (حالة الشدة التي بها يوسف) ـ >> على المعارف المتعلقة بمجال الهدف (حالة الشدة التي يمر بها الأهل حتى طلبوا الصدقة من الناس) ـ >> النتيجة (شعوره بشدة معاناتهم) من خلال عملية التأكيد على صورة الفقر والشدة في ذهنه، وبناء صورة بينة في البنية التصورية له لها فعفا عنهم .

ملاحظة: العملية العرفانية هنا لا تقوم علي عملية المقابلة بين بضاعتهم والبضاعة الجيدة إنما تقوم ـ كما رأينا ـ على عملية مشابهة أخرى، هي ترك البضاعة والبيع والشراء على حالهم جانبا، والتفاعل العقلي في جهة أخرى، وهي جهة خلق حاجة إلى سلعة أخرى، وتوجيه الانتباه نحوها بكل مميزاتها التي تطغى على السلعة الأولى وقيمتها المادية، لقد وجه إخوة ذهنه نحو سلعة إنسانية لا تقدر بثمن، وهي خوف الإنسان على أهله والشفقة والرحمة بهم، وتقديم المال والنفع كله لهم دون مقابل، فماذا تنتظر هذه الأم من طفلها وهي تسهر عليه ؟! وكذا الأب الذي ينفق عليه ماله الذي كد وتعب من أجل الحصول عليه ؟! لذا

لا تسألني لماذا تحول اهتمام يوسف بالبضاعة المزجاة إلى العفو عن أصحابها، والسماح لهم بالمال والعطاء؛ إلا أن تجيبني على سؤاليّ السابقين؛ وهما: لماذا ينفق الأب على ابنه دون مقابل، وتسهر الأم ؟

إن العملية العقلية التي تتم الآن في رأس يوسف؛ كيف أغيث أهلي؟ وليس كيف أحاسب إخوته ندرك هذا بوضوح في قول يوسف القادم: ائتوني بأهلكم أجمعين؛ هذه الجملة يجب ألا نفهمها بظاهر لفظها، فبؤرة المشكلة والقنبلة التي تفجرت في ذهنه وحولت مشاعره من ضدهم إلى معهم؛ كانت في هذه الكلمة (الأهل) فهو لم يقل لهم في حقيقة الأمر: ائتوني بأهلكم أجمعين، إنما قال لهم: ائتوني بأهلي وأحبائي وأبي وأبناء إخوتي، وكل من تشملهم كلمة أهل من قريب أو بعيد فهم يدخلون جميعا بأمر عزيز مصر مصر مكرمين، فهم في دائرة العفو والفضل والكرم، فهم يستحقون كل هذا؛ وهذا ما قصده بهذه الكلمة (أهلكم أجمعين) فالضمير هنا للمخاطب (كم) والمقصود به المتكلم (الياء) كذا المقصود بالأهل في الحالتين واحد هم (بني يعقوب كلهم) الدليل على صحة هذا أمران الأول: أنه عرفهم بنفسه قبلها قائلا: أنا يوسف والثاني: ضمير المتكلم (الياء) السابق على ضمير المخاطب (كم) في قوله: (فألقوه على وجه أبي) في كلمة (أبي) بالتحديد، وهو الضمير المقصود .

إذن لماذا استخدم يوسف هذا التنوع الرائع في الضمائر بما يعرف بالالتفات عند البلاغيين والأسلوبين؛ من المتكلم إلى المخاطب في عبارة واحدة ؟!.

١- جاء الضمير في أبي للمتكلم: إشارة إلى أن يعقوب أبوه هو فقط، من حيث الحب والرحمة والبر، أما هم فهو أبوهم بالنسب فقط، أي إنه هو من أنجبهم ثم عقوه بعد ذلك، فانقطعت صلة المودة والرحمة والبر

بينهم وبين أبيهم لقسوتهم عليه، فلا يستحق الابن العاق الذي يرى أباه يبكي على أخيه لأنه لا يعرف مكانه، وهذا العاق يعرف مكانه، بل هو الذي وضعه في قاع البئر فأخفاه عن أبيه، ثم باعه للمارة بأبخس الأثمان. فمن هذه الجهة التي تشير إلى أشنع صور القسوة الإنسانية لا يستحق هؤلاء الأبناء أن يضيفهم يوسف إلى أبيه، فيقول: ألقوه على وجه أبيكم؛ بل قال: ألقوه على وجه أبي .

٢ـ جاء الضمير للمخاطب في (ائتوني بأهلكم أجمعين)(كم): هو قمة الكرم والفضل ممن ظُلم على ظالميه أن يقول لهم ذلك، فقد وسع من الدائرة التي يشملها هذا الفضل، فلم يقصر الأمر على أبيه ومن يعرفهم من أهله، لكنه ترك لهم الباب مفتوحا، ليدخلوا فيه من يشاءون من أهلهم ومعارفهم، فقد اتسعت تلك الدائرة بعد ذهابه عنهم، لتشمل أناسا كثيرين ممن لا يعرفهم من أهلهم الجدد: كأبناء إخوته الذين ولدوا بعد ذلك وزوجات وأقارب من هذا النسب، لهذا جعل يوسف الباب مفتوحا لتتسع دائرة من يشملهم الفضل، فحُق له أن يسميه رسولنا العظيم (يوسف الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم) .

القسم الثالث: إشهار عن أشياء مفقودة:

العبارة الإشهارية في قوله: ﴿**قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ**﴾ [يوسف: ٧٢] .

مقدمة: هذا الإشهار يعده البعض جديدا؛ فهم يرونه في الصحف المعاصرة فقط، في إشهارات عن أشياء فُقدتْ من أصحابها فيعلنون عنها أو عن أشخاص مفقودين تحت عنوان: خرج ولم يعد، فيقولون: خرج فلان من بيته منذ شهر ولم يعد؛ فنرجو ممن يجده أن يتصل بنا بالعنوان التالي، وله مكافأة مالية قدرها كذا، وقد يكون أهله لا يملكون

ثمن هذا الإعلان في الصحف، فيبعثون بمنادٍ ينادى في طرق المدينة يقول: عيل تايه يا أولاد الحلال، صفته كذا يلبس ثيابا لونه كذا [1] .

لقد حدث هذا قديما في زمن يوسف حيث فَقد عماله صواع الملك، فنادوا بين الناس يعلنون عن ضياع هذا الصواع، فكان ذلك من عادة الناس قديما وحديثا أن يرسلوا مناديا يقوم بهذا العمل نيابة عنهم، فهو ذو صوت جهور عال ينادي بين الناس، فيسمعه جميعهم؛ لهذا قال تعالى (فأذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون) أي ناداهم ذلك المنادى بصوت عال فأقبلوا عليه في دهشة يسألونه: ماذا ضاع منكم، قالوا: صواع الملك، ثم ذكر مكافأة كبري لمن يدلهم عليه .

أولا: مع المفسرين:

تفسير ابن كثير:

لما جهزهم وحَمّل معهم أبعرتهم طعاماً أمر بعض فتيانه أن يضع (السقاية) وهي إناء من فضة في قول الأكثرين، وقيل: من ذهب، ويكيل للناس به من عزة الطعام إذ ذاك، وعن ابن عباس: (صواع الملك) قال: كان من فضة يشربون فيه، فوضعها في متاع بنيامين من حيث لا يشعر أحد، ثم نادي مناد بينهم: (أيتها العير إنكم لسارقون) فالتفتوا إلى المنادي، وقالوا: (ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك) أي صاعه الذي يكيل به (ولمن جاء به حمل بعير) وهذا من باب الجعالة (وأنا به زعيم) وهذا من باب الضمان والكفالة [2] .

---

(١) وقد صاغ هذه العبارة أحد المغنيين الشعبيين في مصر في أغنية تقول: عيلة تايهة تايهة يا أولاد الحلال، بجنلة خضرة وجيبة كرستال، اللي يلاقيها ويخطرنا في الحال. وقالها أيضا الشاعر الكبير صلاح جاهين في " الليلة الكبيرة ": (يا ولاد الحلال عيلة تايهة أد كده، رجلها الشمال فيها خلخال ذى ده، زحمة يا ولداه، كم عيل تاه) (هذا في العامية المصرية) .

(٢) تفسير القرآن العظيم: ج٢، ص٤٨٥.

obeikandl.com

تفسير القرطبي:

الأولى: قوله تعالى: (ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم) البعير هنا الجمل في قول أكثر المفسرين. وقيل: إنه الحمار، وهي لغة لبعض العرب؛ والزعيم هو المؤذن الذي قال: أيتها العير .والزعيم والكفيل والحميل والضمين والقبيل سواء والزعيم الرئيس. ..

الثانية: إن قيل: كيف ضمن حمل البعير وهو مجهول، وضمان المجهول لا يصح ؟ قيل: حمل البعير كان معينا معلوما عندهم كالوسق فصح ضمانه، غير أنه كان بدل مال للسارق، ولا يحل للسارق ذلك، فلعله كان يصح في شريعتهم أو كان هذا جعالة، وبذل مال لمن كان يفتش ويطلب.

الثالثة: قال بعض العلماء: في هذه الآية دليلان: أحدهما: جواز الجُعْل وقد أجيز للضرورة؛ فإنه يجوز فيه من الجهالة ما لا يجوز في غيره؛ فإذا قال الرجل: من فعل كذا فله كذا صح. وشأن الجعل أن يكون أحد الطرفين معلوما والآخر مجهولا للضرورة إليه؛ بخلاف الإجارة؛ فإنه يتقدر فيها العوض والمعوض من الجهتين؛ وهو من العقود الجائزة التي يجوز لأحدهما فسخه [1] .

تفسير الألوسي:

أي قالوا مقبلين عليهم ماذا تفقدون، أي شيء تفقدون أو ما الذي تفقدونه ؟ والفقد كما قال الراغب: عدم الشيء بعد وجوده فهو أخص من العدم فإنه يقال له ولما لم يوجد أصلا، وقيل: هو عدم الشيء بأن يضل عنك لا بفعلك، وحاصل المعنى ما ضاع منكم ؟ وصيغة المستقبل لاستحضار الصورة .

(١) تفسير القرطبي: ج٥، ص٣٤٦١.

العدول عما يقتضيه الظاهر من قولهم: ماذا سرق منكم على ما قيل لبيان كمال نزاهتهم بإظهار أنه لم يسرق منهم شيء فضلا عن أن يكونوا هم السارقين له، وإنما الممكن أن يضيع منهم شيء فيسألونهم ماذا ؟ وفيه إرشاد لهم إلى مراعاة حسن الأدب والاحتراز عن المجازفة ونسبة البراء إلى ما لا خير فيه لا سيما بطريق التأكيد فلذلك غيروا كلامهم حيث قالوا في جوابهم: قالوا نفقد صواع الملك ولم يقولوا سرقتموه أو سرق.

وقيل: كان الظاهر أن يبادروا بالإنكار ونفى أن يكونوا سارقين ولكنهم قالوا ذلك طلبا لإكمال الدعوى إذ يجوز أن يكون فيها ما تبطل به فلا تحتاج إلى خصام، وعدلوا عن ماذا سرق منكم ؟ إلى ما في النظم الجليل لما ذكر آنفا، والصواع بوزن غراب المكيال وهو السقاية ولم يعبر بها مبالغة في الإفهام والإفصاح ولذا أعاد الفعل، وصيغة المستقبل لما تقدم أو للمشاكلة .

(قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيم) وهنا رد عليهم المؤذن ومن معه من حراس: (قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ الملك) أى: صاعه الذي يشرب فيه، ويكتال به للممتارين (وَلِمَن جَآءَ بِهِ) أي بهذا الصاع، أو دل على سارقه. (حِمْلُ بَعِيرٍ) من الطعام زيادة على حقه كمكافأة له.

(وَأَنَاْ بِهِ زَعِيمٌ) أي: وأنا بهذا الحمل كفيل بأن أدفعه لمن جاءنا بصواع الملك. ويبدو أن القائل لهذا القول هو المؤذن السابق، ولعله قد قال ذلك بتوجيه من يوسف عليه السلام [1] .

نلاحظ على الألوسي: أنه قال: التحول في خطاب المؤذن لهم جاء من ردهم عليه بـ (ماذا تفقدون) أي لم يُسرق منكم شيء؛ لأننا لسنا سارقين، فربما فقدتم هذا الشيء ولم يسرق. فرد عليهم المؤذن قائلا:

(١) روح المعاني: المجلد السابع، ص٣٩٠ ـ ٣٩١.

نفقد صواع الملك، فاتجه معهم ناحية الفقد وترك اتهامهم بالسرقة، بل جعل لهم جعلا مكافأة لمن دل عليه أو جاء به .

ثانيا الدراسات اللغوية الحديثة:

١.الإشهار والتواصل:

يحقق هذا الإشهار التواصل بين أفراد المجتمع؛ في تحقيق التعاون بينهم في الإرشاد على الشيء المفقود - كما ذكرت آنفا - إن هذا السلوك موجود قديما لدى المجتمعات الإنسانية كلها. فكانت وسيلة الناس إلى ضالتهم عن طريق النداء عليها في الطرقات، ثم تطور لينشر في الصحف وأجهزة الإعلام .

بل إنهم جعلوا مكافأة (جُعْل) لمن دل عليه، وهذا ما وجدناه في هذا الإشهار حيث أعلن المؤذن عن مكافأة لمن يأتي به، وأن يكون المؤذن كفيلا له، بل ضامنا له من المحاسبة على تهمة السرقة .

٢.اللغة المنطوقة وغير المنطوقة:

أ - اللغة المنطوقة:

لغة الإشهار واضحة في بيان المطلوب (نفقد صواع الملك) وبيان أجر من يأتي به (ولمن جاء به حمل بعير، وأنا به زعيم) وهي جمل قصيرة، كعادة الإشهار دقيقة في تحديد الغرض منها دون إسهاب .

الانسجام صوتي بين كلمتي (بعير وزعيم) حيث انتهت الجملتان بهما، وهما على وزن واحد (فعيل) فأدى هذا التوافق بينهما في الوزن إلى توافق في النغم، وهذه عادة العبارة الإشهارية التي تستخدم في البحث عن الأشياء المفقودة، حيث ينغم المنادي أو المؤذن في عبارته حتى لا يُمل منها ويتقبلها السامع وينجذب إليها ولا ينزعج بسماعها .

ب - اللغة غير المنطوقة:

١- اللغة الرمزية: ترمز كلمات العبارة لمعان غير منطوقة، نحو كلمة: سارقون، فهي اتهام صريح لهم بالسرقة، ولكن قولهم: ماذا

تفقدون ؟ رمز إلى دفعهم التهمة عنهم ضمنيا فهم لم يسرقوا شيئا، وربما ترك الصواع في مكان ما، فيجب البحث عنه أولا قبل اتهام الناس، وهم مستعدون لمعاونتهم في ذلك .

قول المؤذن (نفقد صواع الملك) رمزت إلى سرعة بديهته في التحول من اتهامهم بالسرقة إلى مشاركتهم في رأيهم فورا؛ بأنها عملية فقد أو ضياع وليست سرقة، وأن هناك مكافأة أو جُعل لمن يأتي به، وهذا يرمز إلى أنها عملية مدبرة من رجال يوسف لإيقاعهم في التهمة المخطط لها، ثم تتوالى الأحداث حتى تنتهي بإيقاعهم في التهمة .

٢- **اللغة الانفعالية:** لقد ولج هذا الإشهار إلى مسالك انفعالية في داخل إخوة يوسف، حيث بدأهم باتهامهم بالسرقة، فأثار في داخلهم طاقة انفعالية كبيرة هي طاقة الدفاع عن النفس من ذنب لم يفعلوه؛ ليشعروا بآلام الظلم كيف تكون !!! فهم أبرياء من تلك التهمة، كما أن من يوجه إليهم التهمة ويحاكمهم؛ يعلم أنهم أبرياء، ولكنهم لا يعلمون أنه يعلم ببراءتهم فهم في حيرة؛ كيف يدافعون عن أنفسهم هذه المظلمة ؟ فهم يصرخون: نحن أبرياء !!!

وكأني بيوسف واقفا وراء حجاب يخاطبهم فيصمت قائلا: ما كان ذنبي يوم أن ألقيتموني في غيابات الجب وبعتموني بأبخس الأثمان وحرمتموني من أبي بعد أن فقدت أمي! فذوقوا بعضا من ظلمكم، فما أصعب آلام الظلم على البريء !!! لا يعرفها إلا من كابدها .

إن الطاقة الانفعالية في هذا الإشهار تظهر في هذه الجمل: قالوا وأقبلوا ماذا تفقدون ؟ إنها لغة الذي يبعد عن نفسه التهمة، خوفا من قوة من يحاسبه فيسرع في لهفة إلى مشاركة صاحب المشكلة في حلها، ليس حرصا على مساعدته؛ لكن إبعادا للتهمة عن نفسه، ولإقناعه ببراءته حيث قدّم جملتي القول والفعل على السؤال عما حدث، وفهم

المشكلة ؟ فكانوا في اللحظة التي يسألونه عما حدث؛ في موقع الحدث مهرولين، مما يدل على عدم فعلهم السرقة، وعدم علمهم بما حدث، إنها لحظة توازي اللحظة التي أخرجه مالك بن ذعر من الجب، فقالوا له: هذا عبدنا آبق، تلك تهمة كبيرة ظالمة عجز أن يردها أو يدفعها عن نفسه، وفقد خاطبوه بلغتهم الكنعانية ألاّ تتكلم وإلا قتلناك، ثم وصيتهم لمن اشتراه منهم أن يقيدوه فهو لا يسافر إلا مقيدا، إنه إمعانٌ في ظلم يوسف وقد جاء يوم الحساب، فذوقوا ما كنتم تعملون !!!

٣- **اللغة الإيحائية:** إنها اللغة الثانية التي تخترق اللاشعور الإنساني، لتفجر فيه انفعالات خفية تنفلت من الوعي الإنساني، فتثير في الإنسان مشاعره المكنونة من خوف وحزن واكتئاب، كل هذا نشعر به في الجمع بين القول والحركة السريعان في لحظة واحدة، فعندما يُتهم الإنسان بالسرقة يفقد صوابه ويجن جنونه فيسرع إلى تبرئة نفسه، وهذا ما نشعر به في قوله تعالى: (وقالوا وأقبلوا) ألا يكفي أن يقولوا: ماذا تفقدون ؟! لا؛ لأن هذا لن يدفع عنهم التهمة، ولن يصور حالة الارتباك التي هم فيها، فهذا الجمع بين الفعلين (فعل القول وفعل الحركة) كان أكبر وصف لحالتهم بدقة.

لقد وصلت عبارة أيتها العير إنكم لسارقون إلى أشد المناطق هشاشة في داخل النفس الإنسانية، وهي منطقة الخوف والفزع بسبب تلك التهمة ففجرتها، لتحولهم من أشخاص في قمة السعادة لعودتهم إلى أهلهم بالميرة والربح الكثير إلى سارقين يوضعون في السجن.

فإذا بهم كالثور الهائج الناهض في خوف وفزع بقوة الثور الغاضب الخائف للدفاع عن نفسه.

٣.الفضاء الذهني:

تقوم عملية دراسة الفضاء الذهني هنا على تحليل عدة أفضية وهي:

١ـ الفضاء الأول: هو الفضاء الذي بُني بداخلهم عند سماعهم أنهم سارقون .

٢ـ الفضاء الثاني: هو الفضاء الذي يحاولون بناءه بذهن المؤذن أنهم أبرياء .

٣ـ الفضاء الثالث: هو الفضاء الذي يبنيه المؤذن لصواع يساوى حمل بعير .

الفضاء الأول:

يظهر هذا في قوله (أيتها العير إنكم لسارقون)، وهنا يبدو صورة السارق في أذهانهم بآلامها وشدة عاقبها في شريعتهم من أن السارق يصبح عبدا لمن سرقه، وهذا الفضاء الذهني أفزعهم وجعلهم يفكرون فيما سيفعلونه لدفع تهمة السرقة عن أنفسهم التي جاءت في هذه العبارة (إنكم لسارقون)، فهي صورة ذهنية بناها المنادي بندائه في فضائهم الذهني.

ظهرت آثار هذه الصورة في انفعالهم بسرعة التوجه إليه، وسؤاله عما ضاع، لقد تم بناؤها في سرعة شديدة، فهو استحضار للمصيبة والعقاب عليها في ذهنهم .

الفضاء الثاني:

فضاء البريء: إنه فضاء مناقض للفضاء السابق، يحاولون صناعته في ذهن المنادي لتحطيم الفضاء الذي تكوّن في ذهنه عنهم كسارقين من خلال القول والحركة، حيث (قالوا وأقبلوا) فيبدو ما لديهم من انفعال خوف وفزع ورفض، فيعطي تكذيبا تاما للفضاء السابق في سرعة البرق وقوة الجبال، محاولة لتحطيم ذلك الفضاء الذهني الذي بناه المنادي في أذهانهم، فيبنون بذهنه الآن صورة يريدونها أن تستقر في بنيته التصورية عن فضاء ذهني لإنسان شريف بريء من تلك التهمة .

الفضاء الثالث:

فضاء الشيء المفقود(صواع الملك) الذي يحاول المنادي بيان أهميته، بـ:

١ـ إضافة الصواع للملك: (صواع الملك) فتعطي هذه الإضافة للصواع (الذي ربما يكون في بيوت الأثرياء بمصر ما هو أفضل منه) من هيبة وجلال وفزع من عقاب شديد لمن يفكر أن يسرقه .

٢ـ بيان قيمة هذا الصواع وثمنه وذلك ببيان ما سيدفع فيه، وهو حمل بعير .

ثالثا النظريات اللغوية الحديثة:

أ ـ نظرية المزج المفهومي: تقوم نظرية المزج المفهومي بعملها في هذا الإشهار في الجمع بين فضاءين هما:

(أ) فضاء الصواع: (يوجد فيه أي صواع في الكون لدي غني أو فقير) .

(ب) فضاء صواع الملك: (يوجد فيه صواع الملك)

فبعد أن نضيفه إلى الملك، يتولد عنه نتائج هي معان جديدة منها: أسطورة الهول والفزع والخوف من اتهامهم بسرقته، فسرقة أي صواع لن يفزع أي إنسان أو يخيفه كسرقة هذا الصواع، فالإشهار هنا ليس دعوة لامتلاكه بل تحذير من الاقتراب منه، والمعنى الآخر هو: تشجيع المستمع للبحث عنه .

إذن إضافة الصواع إلى الملك ولّد من هذا التركيب (في إطار نظرية المزج المفهومي) معان جديدة، كمعنى الخوف والفزع من أن يكونوا سارقين له، ومعنى الفرحة والسعادة في حالة الحصول عليه وربح المكافأة. يمكن تصور عملية المزج بين الفضاءين التي حدثت في ذهن إخوة يوسف:

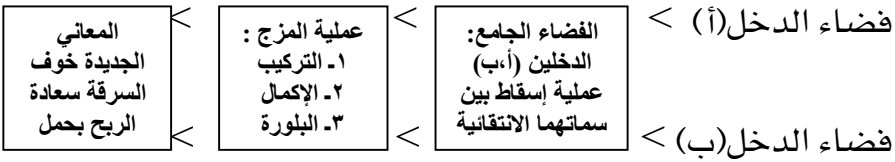

ب – النظرية التداولية: ويتمركز عملها في العبارة الإشهارية التداولية الآتية: (نفقد صواع الملك، ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم) وقد قام الحوار فيها علي عناصر:

١ ـ الإشاريات: ضمير (المتكلم: نون الجمع، وأنا) .

٢ـ الافتراض السابق: أن يكون الملك قد فقد صواعه، ولهذا فهم يعلنون عنه .

٣ ـ الاستلزام الحواري: أن تكون هناك أشياء مجهولة لهم قد حدثت كضياع صواع الملك، وقد عرفوا هذا من المنادي .

وأن يكون هناك اتهام وجه إليهم بسرقة هذا الشيء الضائع، وقد رفضوا هذا احتمال فهو إما أنه سرق أو ضاع .

يقوم الاستلزام الحواري هنا علي مبدأ التعاون من خلال افتراض الملك أولا أنه سرق؛ فأرسل من يتوعد من سرقة وقد اتهم إخوة يوسف بذلك، ولكن إخوة يوسف افترضوا أنه ضاع ولم يسرق، فكان من نتائج الاستلزام الحوار وجود التعاون بين الفريقين والاتفاق على رأي واحد وهو رأي إخوة يوسف بضياعه، و شاركهم المنادي هذا الرأي، فقال نفقد صواع الملك، وتحول هذا التعاون إلى اقتناع المنادي برأيهم، وذلك برصد جائزة لمن دل عليه، ولهذا تمت عملية الحوار بينهما بنجاح، حيث تم الإعلان عن الصواع كشيء مفقود، ونجحت عملية التفاهم والتواصل بينهم .

٤. **الأفعال الكلامية:** يمكن النظر إلى هذه العبارة الإشهارية على أن بها نوع واحد من الأفعال الكلامية هو:

الإخباريات: هي الأفعال التي تصف وقائع وأحداثا في العالم الخارجي، وتقوم بنقل الواقع نقلا أمينا، ويبدو هنا في إخبار مؤذن الملك عن ضياع صواع الملك: نفقد صواع الملك، والإخبار عن جائزة من يأتي به: ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم.

تحليل لآلية الإقناع التداولية: يقوم الفعل اللغوي وفق النظرية التداولية بتقسيم الملفوظ إلى ثلاثة أقسام: فعل إنتاج ـ فعل إنجاز ـ فعل تأثير.

١) **فعل إنتاج:** ويشمل العناصر اللغوية لإنتاج الملفوظ (صوت. نحو. دلالة). إنه بناء الوحدة اللفظية بعيدا عن السياق.

٢) **الفعل الإنجازي:** يأتي السياق بعد إنتاج الوحدة اللفظية، بالفعل الإنجازي، وهو إنجاز الفعل داخل السياق حيث ترتبط بسياقات التلفظ دلالات وأبعاد أخرى تدل على أننا نقوم بشيء ما، ونحن نتلفظ بهذه الكلمات مثل الوعد أو الوعيد أو التأكيد، وهي قيم ليست قارة في الملفوظ، لكن نستنتجها من خلال السياق، فنفهم من تلك الوحدات أشياء سنقوم بها لم تنطق في الوحدات اللغوية المذكورة.

٣) **الفعل التأثيري:** وهو السلوك الناتج عن فعلي القول والإنجاز السابقين.

ويمكن تصور هذا العملية بمراحلها المختلفة من هذا الشكل:

فعل إنتاج (يمثل وحدة مضمونية متضمنة في الكلمة) ـــ >> فعل إنجازي وهو القيم المرتبطة بسياقات التلفظ، ودلالات نهائية استنتاجية لهذا الملفوظ في سياقاته التي يرد فيها) ـــ >> مما يؤدي إلى قوة ثالثة هي الآثار النفسية التي يتركها الملفوظ في نفس المتلقي، أي الفعل التأثيري (وهي نتائج هذه الأفعال على سلوك المتلقي ومعتقداته ثم يتجسد هذا

الفعل (قاعدة الفعل) في سلوك عيني، يتحقق من خلال حدوث تغير في قناعات المتلقي الفكرية أو الدينية، وهذا هو الهدف النهائي من عملية الإشهار، حيث يتحقق بتحول المتلقي من مجرد مستمع إلى مؤمن بهذه الفكرة ومقتنع بها ومقبل عليها هنا يتحول الأمر من مجرد إثارة انتباه بفعل قولي ملفوظ إلى فعل إنجازي، هو تجسيد لهذا التأثير والاقتناع بالإقبال عليه .

ويمكن تطبيق هذا القول على هذا الإشهار :

فعل إنتاج (نفقد صواع الملك) ـ >> فعل إنجازي (هذا السياق أثار في نفس إخوة يوسف الخوف من السرقة والأمل في الجائزة) ـ >> فعل تأثيري (نتيجة لهذه الإثارة قالوا ما علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض...) .

هذا العمل المتسلسل يعبر عن فكر متنامي حول غاية يصنعها المتكلم بفعله الكلامي لإنجاز غاية تظهر في السلوك العيني التي تتم بعد إنجاز هذا الكلام .

الفعل الكلامي: (فعل إنتاج) ـ > (فعل إنجازي) ـ > (قاعدة الفعل) فنجد أن الهدف من الرسالة الكلامية أو الإشهارية قد تحقق، فالغرض من الإشهار هو إقناع المتلقي بالمنتج أو الفكرة أو السلعة .

ج ـ النظرية العرفانية: تقوم النظرية العرفانية في الإشهارية بتحليل عملية التشابه بين الأشياء التي تحدث في العقل، لفهم مجال من خلال مجال آخر، وفي هذه العبارة:

١ ـ قالوا: نفقد صواع الملك، ولمن جاء به حمل بعير، وأنا به زعيم .

٢ـ قالوا: تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض، وما كنا سارقين.

لقد ذكر المؤذن أنهم فقدوا صواع الملك، ثم ذكر المكافأة (الجُعل) لمن جاء به، ولم يذكر عقاب من سرق، لكن صورة العقاب غلبت علي

فهمهم للأمر، لذا فكروا في دفع تلك التهمة عنهم فقط، ولم يفكروا في الجائزة أو المساومة عليها.

فنرى عملية عقلية توجههم وتدفعهم ناحية التفكير في الجائزة وعملية أخرى ترفض ذلك، وتوجههم ناحية عقاب السرقة والتفكير في دفعه، لقد فهم القوم قول المنادي في ضوء عدة أشياء كونت عندهم هذا الفهم، وهي :

- الخبرات السابقة بالملوك: فقد سمعوا أنهم لا يقبلون أخذ شيء منهم عنوة .
- نداء المؤذن عليهم: إنكم لسارقون، فهو اتهام صريح لهم .

وبهذا فهموا الموقف، وبدؤوا في التفاعل معه بالدفاع عن أنفسهم .

بناء التصور الذهني:

تكوّن هذا الفهم من العمليات العقلية التي تقوم على تجميع خيوط القضية في شكل سهام اتهام موجهة إليهم، فعناصر هذا الاتهام تأتي من :

أ) النداء عليهم بتهمة السرقة .

ب) شعورهم بخطورة الأمر نتيجة بحث السلطة عنهم وما يتبعه من عقاب.

ج) التخصيص والتحديد لهم دون غيرهم بـ (أيتها العير) .

د) كلمة العير بينت أن الاتهام موجه للجماعة كلها، وهو لا يعرف أسماءهم .

هـ) معرفتهم السابقة عن عقاب الملوك إذا غضبوا، فهم هالكون لا محالة .

كل هذه الخطوط والمقابلة بينها وإسقاطها في ذهن القوم، خلقتْ في بنيتهم التصورية صورة شبح الخوف والفزع من العقاب نتيجة فهم أنهم لصوص .

لقد دفعوا التهمة عنهم بعدة أشياء يفعلها كل من وجهت إليه مثل هذه التهمة:

١ـ البدء بالقسم لنفي التهمة عنهم: (تاللّه) .

٢ـ ذكر الغاية من المجيء كقرينة على براءة ساحتهم من التهمة:

أ ـ ما جئنا لنفسد في الأرض .

ب ـ وما كنا سارقين .

٣ ـ تمجيد علم قوم يوسف بضمائر وخفايا الناس، كمدح لهم (لقد علمتم) .

٤ـ تأكيدهم للعلم القوم بقد واللام (لقد علمتم) ليبنوا عليه دفاعهم.

٥ـ تقبل العقاب عند ثبوت التهمة عليهم. وتنفيذ الحكم حسب شريعتهم .

كل هذه ضمانات يقدمونها للمنادي للتأكيد على براءتهم، وتحمل العقاب؛ كدليل على ثقتهم من تلك البراءة .

obeikandl.com

المراجع و المصادر

١- المراجع العربية:

- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر . د محمود أحمد نحلة . مكتبة الآداب . القاهرة ٢٠١٣م .
- استراتيجية التواصل الإشهاري . د سعيد بنكراد وآخرون . دار الحوار . سوريا ـ اللاذقية . ٢٠١٠م .
- الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية. د عطية سليمان أحمد. الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي . ٢٠١٤م .
- الأضداد . لأبي حاتم السجستاني . دار النهضة المصرية . القاهرة ١٩٩١م .
- التحرير والتنوير . الطاهر بن عاشور . دار سحنون ـ تونس ـ ب ت.
- التداولية . جورج يول . تر/ قصي العتابي. دار الأمان ـ الرباط ٢٠١٠م.
- تفسير القرآن العظيم . ابن كثير . مكتبة التراث الإسلامي . سوريا ـ حلب . ١٩٨٠م .
- تفسير القرطبي . القرطبي . دار الريان للتراث . القاهرة . ب ت .
- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب . الرازي . المكتبة التوفيقية . القاهرة ٢٠٠٣م .
- تفسير المراغي . الشيخ أحمد المراغي . مطبعة مصطفي البابي الحلبي . القاهرة . ب ت .
- تفسير النسفي . الإمام النسفي . دار إحياء الكتب العربية . فيصل عيسي البابي الحلبي . ب ت .
- دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني . محمد الصالح البوعمراني . مكتبة علاء الدين . صفاقس ـ تونس .٢٠٠٩م .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. الألوسي البغدادي. المكتبة التوفيقية .القاهرة . ب ت .
- الزاهر في معاني كلمات الناس . ابن الأنباري . مؤسسة الرسالة ـ بيروت .١٩٩٢م .

opelkanal.com

- سميائيات الصورة الإشهارية الإشهار والتمثيلات الثقافية . سعيد بنكراد . دار أفريقيا الشرق . المغرب ٢٠٠٦م .
- الصورة الإشهارية آليات الإقناع والدلالة . سعيد بنكراد . المركز الثقافي العربي . دار البيضاء المغرب . ٢٠٠٩م .
- علم الدلالة و العرفانية . راي جاكندوف . تر/ عبد الرزاق بنور . دار سيناترا. المركز الوطني للترجمة . تونس .٢٠١٠م .
- الفاخر .لأبي طالب بن سلمة . الهيئة المصرية للكتاب . ١٩٧٤م .
- في ظلال القرآن . سيد قطب . دار الشروق . القاهرة . ١٩٨٠م .
- القاموس المحيط . الفيروزأبادي . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٧٨م .
- كتاب الأضداد . لابن السكيت . مكتبة الثقافة الدينية . القاهرة . ب ت.
- كتاب الأضداد . لابن الأنباري . المكتبة العصرية . بيروت.١٩٨٧م.
- كتاب الأضداد. لأبي محمد التوزي . مؤسسة إيف للطباعة والتصوير . لبنان . بيروت ١٩٨٣م .
- الكنايات العامية . أحمد تيمور باشا . مطبعة الأهرام التجارية . القاهرة . ب ت .
- اللسانيات و اللغة العربية . عبد القادر الفاسي الفهري . دار توبقال للنشر . المغرب . ١٩٨٥م .
- مبادئ التداولية . جيوفري ليتش . تر / عبد القادر قنيني . أفريقيا الشرق . المغرب . ٢٠١٢م .
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . ابن عطية الغرناطي .دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . ٢٠٠٧م .
- مجموع الألفاظ القبطية المتداولة باللهجة العربية العامية. أقلوديوس. ي. لبيب. مطبعة عين شمس بطريكخانة الأقباط الأرثذوكس مصر. ب ت.

- المحكم والمحيط الأعظم . ابن سيدة . طبع معهد المخطوطات العربية . القاهرة . ٢٠٠٣م .
- مختصر من تفسير الإمام الطبري : للتجيبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٠ م
- معجم ألفاظ القرآن الكريم . مجمع اللغة العربية .القاهرة ١٩٦٨م .
- المعجم الوسيط . مجمع اللغة العربية بالقاهرة . ط٤. مكتبة الشروق الدولية . ٢٠٠٥م .
- المفردات في غريب القرآن . الراغب الأصبهاني . مكتبة الأنجلو المصرية .١٩٧٠م .
- النص والخطاب : مباحث لسانية عرفنية . د الأزهر الزناد . دار محمد علي للنشر تونس ٢٠١١م .
- نظريات لسانية عرفنية.د الأزهر الزناد . الدار العربية للعلوم٢٠١٠م
- الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز . محمد الدامغاني . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة . ١٩٩٦م .

٢- المراجع الأجنبية:

JACKEDOFF, R, (١٩٧٨):Grammar as Evidence for Conceptual Structure, in :Halle,M. and als : 1978) ,Linguistic theory and Psychological reality, M.I.T Press

JACKENDOFF.R.C : ١٩٨٣.Semantic and Cognition, MIT Press. Cambridge, Mass

JACKENDOFF,1985 : Inofrmation in the mind of the beholder . Linguistics and philosophy .8,1,Press .Lakoff , G, and Johnson, M : . ,1980 Metaphors we Live by. Univ.of Chicago

Lakoff, G. ١٩٨٧. Women, Fire and Dangerous Things : What Categories Reveal about the mind Chicago : University of Chicago Pres

Lakoff, G. ١٩٩٠ .The Invariance Hypothesis : Is Abstract Reason based on Image – schems ? Cognitive Linguistics.

M, Johnson ,THE BODY IN THE MIND, the bodily basis of meaning imagination, and reason, the University of Chicago and London. ١٩٨٧

soubli,f ,1979 : presentation : problems de la metaphore ,lanjajes